

اللَّهُمَّ
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ



مَشْرُوعُ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ

فِي الْقُرْآنِ

الأستاذ سيد علي الخامني

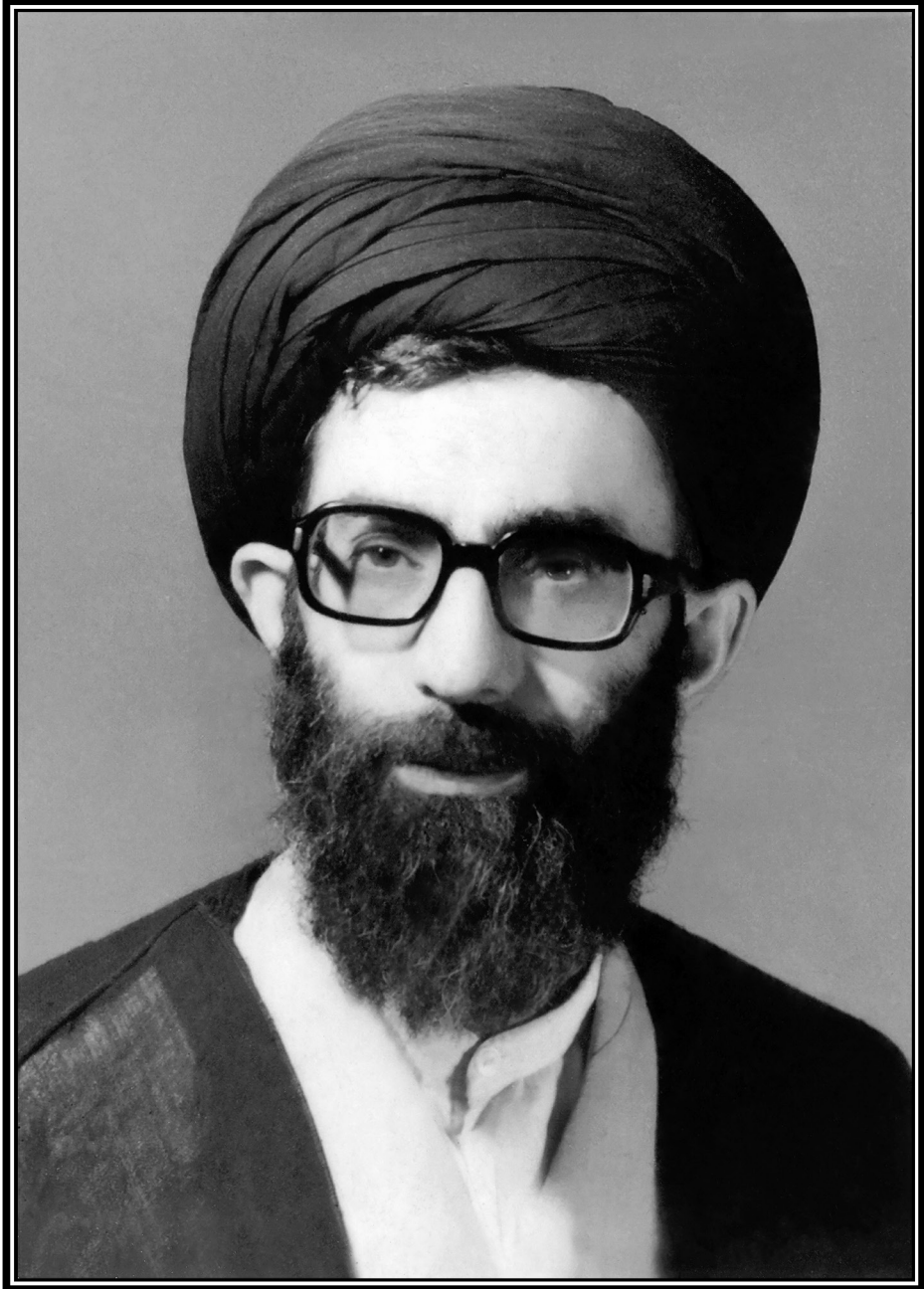
المترجم: أ.د. محمد علي آذرشب

مؤسسة صهبا

كانون الثاني - ٢٠١٧

www.sahbabooks.com

info@sahbabooks.com



سماحة الإمام الخامني
مُحيي الفكر الإسلامي الحديث

محتويات الكتاب

٩	هذا الكتاب
١١	مقدمة التعريب
٢٨	مقدمة الأستاذ المحاضر
٣٣	الإيمان
٣٥	الجلسة الأولى: الإيمان (١)
٤٣	الجلسة الثانية: الإيمان (٢)
٥٣	الجلسة الثالثة: الإيمان الواعي
٦١	الجلسة الرابعة: الإيمان المعطاء
٦٩	الجلسة الخامسة: الإيمان والالتزام بالمسؤوليات
٧٩	الجلسة السادسة: البشائر (١)
٨٩	الجلسة السابعة: البشائر (٢)
٩٩	التوحيد
١٠١	الجلسة الثامنة: التوحيد في التصور الإسلامي

- ١١١ الجلسة التاسعة: التوحيد في المنظومة العملية للإسلام
 ١٢١ الجلسة العاشرة: العبادة والطاعة منحصرة بالله
 ١٢٩ الجلسة الحادية عشرة: روح التوحيد رفض العبودية لغير الله
 ١٣٩ الجلسة الثانية عشرة: التوحيد ورفض التمييز الطبقي
 ١٤٧ الجلسة الثالثة عشرة: الآثار النفسية للتوحيد

النبوة

- ١٥٥
 ١٥٧ الجلسة الرابعة عشرة: حكمة النبوة
 ١٦٧ الجلسة الخامسة عشرة: البعثة في النبوة
 ١٧٧ الجلسة السادسة عشرة: الثورة الاجتماعية في النبوة
 ١٨٧ الجلسة السابعة عشرة: أهداف النبوة
 ١٩٧ الجلسة الثامنة عشرة: منطلق الدعوة
 ٢٠٧ الجلسة التاسعة عشرة: الجبهة المعارضة
 ٢١٧ الجلسة العشرون: انتصار النبوة (١)
 ٢٢٩ الجلسة الحادية والعشرون: انتصار النبوة (٢)
 ٢٣٩ الجلسة الثانية والعشرون: الالتزام من مستلزمات الإيمان بالنبوة

الولاية

- ٢٤٩
 ٢٥١ الجلسة الثالثة والعشرون: الولاية
 ٢٦١ الجلسة الرابعة والعشرون: وشائج الأمة الإسلامية
 ٢٧١ الجلسة الخامسة والعشرون: جنة الولاية
 ٢٧٩ الجلسة السادسة والعشرون: حول الولاية (١)
 ٢٨٧ الجلسة السابعة والعشرون: حول الولاية (٢)
 ٢٩٧ الجلسة الثامنة والعشرون: حول الولاية (٣) (الهجرة)

٣٠٧

فهرس الآيات

هذا الكتاب

ثمانى وعشرون محاضرة ألقاها الأستاذ سيد علي الحسينى الخامنئى فى شهر رمضان عام ١٣٩٤هـ، أى قبل أكثر من أربعين عامًا، تناول فيها أهم ما تحتاجه الساحة الإسلامية من أفكار ومفاهيم من منطلق قرآنى.

كان الأستاذ المحاضر يلقي محاضراته فى مسجد «الإمام الحسن» بمدينة مشهد. وبعد المحاضرة يتلو أحد القراء ما دارت حوله المحاضرة من آيات. لم يكن يجلس على منبر كما هو المعتاد فى دروس المساجد، بل كان يقف أمام المجتمعين. ولم تكن المحاضرات جديدة فى طريق إلقائها فحسب، بل كانت تحمل مفاهيم، وتتجه نحو مقاصد جديدة كل الجدة عن الساحة الإيرانية آنذاك. والذين حضروا تلك المحاضرات يتحدثون بإعجاب واستغراب عن انشداد أهالى مدينة مشهد، وخاصة فئة الشباب، إلى مسجد الإمام الحسن أثناء الإلقاء، فالمسجد يغص بهم بل ويغص المرآب الموجود خلف المسجد بمستمعين من الرجال والنساء ومن فصائل مختلفة.

ويتحدث الناشر (صهبا) عن الجهود المبذولة من أجل الحصول على أشرطة تسجيل تلك

المحاضرات، وطباعتها فى كتاب يحمل عنوان: «مشروع الفكر الإسلامى فى القرآن»، وعن مزايا الكتاب، وعن قدرة الأستاذ المحاضر على إلقاء مفاهيم القرآن الحضارية الاستنهاضية بأسلوب ذكى يبعد عنه شرّ جلاوزة نظام الشاه الاستبدادي المعادي لكل وعي إسلامي. لكن النظام تفتنّ بعد ذلك، فألقى القبض عليه وساقه نحو أفضع مراكز التعذيب آنذاك المسمى «اللجنة المشتركة ضد التخريب».

جدير بالذكر أن هذه المحاضرات قد ترجمت بحذافيرها جملة بجملة فى بيروت. وتولى الترجمة الأستاذ القدير عباس نور الدين ونشرت تحت عنوان «الفكر الإسلامى على ضوء القرآن الكريم» بواسطة دار المعارف الحكيمية.

لأسباب عديدة وجدنا من الضروري إعادة الترجمة، مراعين فيها عدم التكرار الذي يصاحب عادة المحاضرة الارتجالية العامة، ومراعين فيها أيضاً أن مخاطبنا عربي، وكذلك الوضوح فى العبارة، ومجتنبين - فيما نظن - بعض الهفوات فى الترجمة السابقة، ويبقى الفضل لمن سبق.

نرجو أن يلقى هذا التعريب الضوء على جانب من تاريخ الفكر النهضوي فى إيران، وأن يكون إثراء لمشروعنا المستقبلي فى بناء «الحضارة الإسلامية الحديثة» وبالله التوفيق.

أ. د. محمد علي آذرشب

جامعة طهران

١٠ صفر ١٤٣٨ هـ / ١٠ تشرين الثاني ٢٠١٦ م

يوم العلم العالمى لخدمة السلام والتنمية

مقدمة التعريب

القراءة الإحيائية للقرآن الكريم

دعوة الله ورسوله إلى المؤمنين تدور حول الإحياء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. وما جاء في القرآن الكريم من تعبير الخروج من الظلمات إلى النور إنما يأتي في سياق الإحياء: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. ومن أهم مظاهر الحياة هو الحركة التكاملية، ومن نتائج الحركة التكاملية القائمة على أساس الدين: «الحضارة الإسلامية».

الإحيائيون المسلمون دعوا الأمة على مرّ التاريخ إلى البناء الحضاري على مستوى متطلبات عصرهم. وها هو صوت الإمام السيد علي الخامني يرتفع في العقد الأخير خاصّة للدعوة إلى بناء «الحضارة الإسلامية الحديثة».

وإذا كانت هذه الدعوة قد ارتفعت اليوم عاليًا على لسان هذا العبد الصالح، فإنها كانت ترافقه منذ بدايات تصديه للعمل الإسلامي، فقد كان في خطابه ومواقفه ينطلق من وعي حضاري وحسّ تغيري.

هذه المحاضرات التي نقدمها بالعربيّة تبين منطلقاته وهو يخاطب عامة الناس في رمضان

١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م). ونقف عند أهم المحاور الإحيائية في تلك المحاضرات.

التنظير؛

المسلم الذي يواجه ما يموج به عالمنا المعاصر من تيارات فكرية ويريد أن يعرف مكائنه بينها، وأن يجيب عن الأسئلة المطروحة على الساحة، يحتاج إلى تنظير يبلور المدرسة الإسلامية في مجالاتها العقائدية والحياتية، وهذا ما فعله الإحيائيون في العصور الأخيرة وقدموا أعمالهم في كتب مستقلة أو محاضرات نخبوية وعامة. والأستاذ المحاضر يشير إلى ضرورة عملية «بلورة المشروع الإسلامي بصورة مدرسة اجتماعية ذات مبادئ منسجمة ومتناسقة، وذات رؤية للحياة الاجتماعية البشرية» (المقدمة).

فالضرورة تتطلب بلورة المشروع الإسلامي، وأيضاً برؤية اجتماعية لا فردية. ثم تقديم ذلك في منظومة فكرية وعملية واحدة، ولذلك يدعو إلى دراسة المسائل الفكرية في الإسلام بصورة مترابطة وبشكل أجزاء من منظومة واحدة» (المقدمة).

ويرى أن أغلب الدراسات لم يعمد أصحابها إلى هذه البلورة في منظومة عملية حياتية إذ إن «ما قدموه لا يتجاوز أن يكون معرفة ذهنية، لأن أبحاثهم بصورة عامة تدور حول قضايا هي بمعزل عن العطاء العملي وخاصة الاجتماعي» (المقدمة).

في عملية التنظير لابد أن يتجه العطاء إلى الخروج من الإطار الذهني والتركيز على مقاصد الإسلام وأهدافه الفردية والاجتماعية، والسبيل إلى تحقيق هذه الأهداف. فالأولوية هي: «الخروج من الإطار الذهني المحض، والتوجه إلى المنظومة الإسلامية باعتبارها مدرسة اجتماعية يتعين فيها المسير العملي للأفراد، وخاصة في حياتهم الاجتماعية، والتأكيد في الدراسات النظرية على مشروع الإسلام لحياة البشر وعلى أهداف الإنسان والمجتمع في الحياة، والطريق الذي يحقق هذه الأهداف» (المقدمة).

الفهم الإحيائي للتوحيد؛

لاشك أن التوحيد أول أصول الدين، لكنه بسبب غياب الذهنية الإحيائية الحضارية

دخلت فكرة التوحيد في مباحث كلامية جافة، أو منحرفة بدويّة متخلّفة. من هنا يتصدى الإحيائيون إلى تقديم هذا الأصل الديني المهم على قاعدة عملية تغييرية تتناسب مع هذا الأصل القرآني الهام يقول:

«كل تعبير في القرآن الكريم عن صفات الله سبحانه في سياق التوحيد يتضمن نفي هذه الصفات عن الآلهة المزيّفة، كما يتضمن ما ينبغي أن يتحلّى به الموحّدون في حياتهم، فقولته تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ يعني أن الآلهة المزيّفة في غفلة عن أمرها، كما يعني ما يجب أن يتحلّى به الموحّدون من وعي وصحوة وبصيرة» (المحاضرة الثامنة).

وبنظرة تغييرية قرآنية للتوحيد يقول: «لو كانت النظرة الكونية التوحيدية هي المهيمنة لما كان طواغيت العالم والمتجبرون يسيطرون على الثروات الطائلة ويسخّرون عباد الله لطاعتهم، ويدعون الناس يتسابقون لتقيل أقدامهم، ويرون أنهم خلّقوا ليكونوا سادة والآخرين عبيداً، خلّقوا ليكونوا سعداء، وغيرهم مخلوقون للبؤس والشقاء» (المحاضرة الثامنة).

ويرى أن التوحيد في إطار الشعور بالمسؤولية هو غير التوحيد في الأذهان الجامدة الخاملة يقول: «أولئك الذين يعيشون على مستوى المسؤولية والالتزام يجب أن يفهموا التوحيد بصورة غير الصورة المرتسمة في أذهان الذين يعيشون حياة البطر وعدم الالتزام. قد يُخيل إلينا أن التوحيد مسألة تعيش في الأذهان دون أن يكون لها أثر في الخارج، ودون أن تكون عامل تأثير في الحياة. بينما التوحيد الذي يدعو إليه الإسلام هو أسمى من أن يكون جواباً نظرياً على سؤال. التوحيد الإسلامي يعمل على صياغة نظام الحكم والعلاقات الاجتماعية ويوجّه حركة التاريخ، ويرسم الهدف من هذه الحركة، ويقرر مسؤوليات الناس تجاه الله وتجاه بعضهم الآخر، وتجاه سائر مظاهر الطبيعة. ليس التوحيد بالأمر الذي تقول فيه إن الله واحد وليس اثنين وكفى.. إنه يعني أن الحقّ لله وحده في أن يكون مهيمناً على حياتنا الفردية والاجتماعية» (المحاضرة التاسعة).

ويقول: «حين يسود التوحيد بهذه النظرة في مجتمع من المجتمعات فإنه يقيم ذلك المجتمع في بُناه التحتية والفوقية وفق أصول وقيم محددة. وما أبعد هذا الفهم للتوحيد عن حصر معنى التوحيد بعبارة إن الله واحد وليس اثنين!!» (المحاضرة الحادية عشرة).

الإيمان الواعي؛

الغزو الثقافي للعالم الإسلامي يسعى فيما يسعى إلى زلزلة الإيمان الديني في ساحة معينة من الشعوب المسلمة، أو إلى إثارة التعصب والتحجر في ساحات أخرى. آثار هذا الغزو مشهودة في كلا الساحتين ومن الطبيعي أن يتجه الإحيائيون إلى التأكيد على ضرورة الإيمان الواعي القائم على أساس امتلاء الوجدان وتطهير القلب، وأيضاً على أساس من العقلانية والتفكير والبعد عن التحجر والعصبية العمياء.

يقول الأستاذ المحاضر: «الإيمان لا معنى له إذا كان مثل ماء راكد لا حراك فيه. الإيمان المترزع.. الإيمان الذي يتزلزل ويتناقص على أثر هزة أو نزع مراهقة أو غيرها يمكن أن يُتلع في يوم من الأيام. المؤمن الصادق الحق ليس كذلك، إذ إن قلبه يتلقى الكلمة الصادقة، والموعظة الصائبة بتفكير وتدبر فيزداد إيماناً» (المحاضرة الثانية).

ويقول: «لابد من إيمان راسخ قائم على أساس وعي وشعور وإدراك كي يصمد أمام الإغراءات والشبهات». (المحاضرة الثالثة).

ويقول عن القرآن إنه: «يرى أولي الألباب من خلال القيم الكبرى التي تميز الإنسان، وهي الارتباط بالله سبحانه. في تعريف أولي الألباب يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾، وليس ذكر الله هنا على طريقة الدراويش، وليس الاكتفاء بقلقة اللسان، بل هو الذكر الذي يستتبعه الشعور بالمسؤولية في الحياة، ويدفع إلى العمل بهذه المسؤولية» (المحاضرة الثالثة).

ويقول: «وفي سياق الآيات التي تذكر الإيمان القائم على الوعي، ورفض ذلك الإيمان المقرون بالتقليد والتعصب، يذم القرآن أولئك الذين يلغون قدرة تفكيرهم ويرفضون ترك ما ألفوه من نهج حتى ولو كان ذلك النهج لا يقوم على علم ولا على هدى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانُوا لَآيَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾. هؤلاء هم الرجعيون والمتحجرون الجامدون القابعون على ما ألفوه من عادات وتقاليد مورثة حتى لو كانت متعارضة مع العلم ومع هداية رب العالمين. وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا في زمرة المؤمنين» (المحاضرة الثالثة)

ويقول: «الدين الذي جاء به رسول الله (ص) هو دين التعليم والتركية وتنمية العقول والنفوس: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ إنه الدين الذي يكافح ما كان عقبةً أمام العقل والفهم والوعي. هذا هو الدين.. إنه الصحو والوعي والفهم والتعقل لا كما قال بعضهم: «الدين أفيون الشعوب». تخدير الناس وإبعادهم عن قواهم العقلية وعن وعيهم ليس من الدين بشيء» (المحاضرة الرابعة).

ويقول: «خطاب الأنبياء يتجه إلى فكر الناس وعقولهم، وكلما كان فكر المخاطبين وعقلهم أدق كان قبولهم لهذا الخطاب أكثر. ومهمة الأنبياء رفع المستوى الفكري والعقلي للناس، وكل ما يحول دون أداء هذه المهمة فهو يتعارض مع الدين. وأولئك الذين يريدون أن يسيروا في خط متعارض مع الدين يعمدون إلى تجهيل الناس وتحميقهم، وإبعادهم عن مصادر معرفتهم ووعيهم» (المحاضرة الخامسة).

ويقول: «ومعنى ﴿اللَّهُ وَرَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي إنه حليفهم وفي جبهتهم. ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي ينقذهم من ظلمات الجهل، والخرافة، والغرور، والأنظمة المتجبرة المعادية للإنسان، ومن كل ما يعتبر طامورة معتمة لجوهر وعي الإنسان. ويأخذهم إلى النور.. نور المعرفة والعلم والقيم الإنسانية، وهذا الانتقال من الظلمات إلى النور خاص بالمؤمنين ولا يشمل الكفار الجاحدين وفاقدي الإيمان. لذلك كان المشرك في قلق دائم، وفي اضطراب مستمر، ليس في حياته نور، ولا معرفة حقيقية» (المحاضرة السادسة).

الانفتاح على القرآن ولغة القرآن

الابتعاد عن القرآن الكريم لا يقتصر على الذين أداروا ظهورهم للدين، بل يشمل كثيرًا من القطاعات الدينية التي ابتعدت عن القرآن لأسباب أهمها: إشاعة فكرة أن الإنسان لا يحق له أن يفهم القرآن، بل إن هذا الفهم خاص بالمعصوم، وهذا ما شاع في إيران على الأقل، ومن هذه الأسباب الابتعاد عن لغة القرآن، ومن هذه الأسباب أيضًا الانشغال في دراسات دينية جافة كلامية وفلسفية لا علاقة لها بالواقع المعاش. ومن هنا تأتي دعوة السيد المحاضر

إلى الانفتاح على القرآن وعلى اللغة العربية.

يقول: «دعونا نَعُدُّ إلى القرآن الكريم، لنملاً قلوبنا بندااء التوحيد، ولقد ابتعدنا عن القرآن الكريم وانشغلنا بأوهام واهية فارغة لا أساس لها مقرونة بخرافات، ولذلك فإن هذا الفراغ لم يقاوم أمام التيارات المادية. ومن جانب آخر انشغلنا بأبحاث فلسفية جافة لا روح فيها ولا تأثير ولا مسؤولية في حقل التوحيد. المتكلمون خاضوا بحوثاً كثيرة في التوحيد لكنها لم تُجدِ نفعاً في إقامة مجتمع توحيدي. مئات السنين انشغلوا بدراسات جافة لها ظاهر جذاب دون أن يكون لها محتوى وتأثير.. بمعزل عن الواقع الخارجي» (المحاضرة العاشرة).

ويقول: «قبل أن أدخل في استعراض آيات في التوحيد، أقف عند توصية ذكرتها مراراً، وأرى ضرورة تكرارها لأهميتها ولشعوري بالمسؤولية إن لم أعد ذكرها، وهي ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم. ذلك البحر من أيّ النواحي أتيته. اجلسوا على مائدة القرآن، ففيه زاد التوعية والكمال كما يقول أمير المؤمنين في عبارة نهج البلاغة: «ما جالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصانٍ، زيادةً في هدى أو نقصان في عمى». أهمية هذه التوصية هي وجود مكائد لإبعاد الناس عن القرآن. ومن تلك هذه التي تقول لا يمكن أن يفهم القرآن إلا الأئمة المعصومون (عليهم السلام). هذه «كلمة حق يُراد بها باطل» كما قال الإمام امير المؤمنين^(٢) في حق خوارج نهران. نعم إن المعصوم بما يتحلّى به من سمو وارتفاع هو النموذج الأسمى لفهم القرآن، بل إنه قرآن حيّ يمشي على الأرض. ولكن ذلك لا يعني أنني أنا وأنت لا نفهم شيئاً من القرآن، وأن نكون بعيدين عن كتاب الله العزيز. أصحاب هذه المقولة محرومون من فهم القرآن، فلماذا يسعون إلى إبعاد الناس عن فهم القرآن؟! لماذا تمنعون الناس أن ينهلوا من هذا النبع الفيّاض؟! اعلموا أيها الإخوة والأخوات نحن اليوم بحاجة أمسّ إلى القرآن. كما قال رسول الله^(ص): «فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن»، عليكم بالقرآن حين تحيّم الفتن وتلقي بظلامها على المجتمع، حينما نفتقد الرؤية لمعرفة الجادة الصحيحة.. حينما لا ترى الأعين ما تكيده لنا عصابات النهب وقطاع الطرق. في هذه الحالة نحو أحوج ما نكون إلى مراجعة القرآن. وذلك لا يتحقق إلا بفهمه» (المحاضرة الحادية عشرة)

ويقول: «تعلّموا لغة القرآن.. تعلموا اللغة العربية، وإن تعذّر عليكم فهم العربية فتوسلوا بترجمة معاني القرآن. كونوا بالقرآن مأنوسين ومعه أصدقاء مرافقين. وكل ساعة تمرّ دون أنس بالقرآن هي خسارة في العمر وحسرة» (المحاضرة الحادية عشرة).

الإسلام المحمدي

الإحيائيون يواجهون نظرة سلبية عند فصائل من المجتمع تجاه الإسلام. وحين طغى الفكر المادي بين شباب العالم الإسلامي في الستينات والسبعينات كانت التهمة الموجهة إلى الإسلام هي إنه أفيون الشعوب، وإنه غير قادر على أن يكون مشرعاً للحياة، وإنه يقرّ ظلم الظالمين، وليس بإمكانه أن ينتصر للمظلومين. في زمن إلقاء هذه المحاضرات كان الفكر المادي قد تسرّب حتى إلى بعض الفصائل الإسلامية، فراج الالتقاط بين الماركسية والإسلام. ومن هنا راح الأستاذ المحاضر يدافع عن الإسلام، ويبين وجهه المحمدي الصحيح، وطبيعته المناهضة للظلم والداعية إلى العدالة ورفض التمييز.

يقول: «إن أنصار المدرسة المادية في عصرنا يخالون أن المدرسة المادية أقدر على إدارة العالم وإنقاذه من الظلم والجشع والتمييز. والدين لا يستطيع أن يفعل ذلك. لماذا يصعدون حكماً كهذا على الدين؟ لأنهم يفهمون الدين بمعناه التقليدي الشائع الموروث من عصر التخلّف، الدين الذي يكتفي بالعادات والتقاليد والطقوس ولا يحرك ساكناً في المجتمع، لذلك يقولون عنه إنه أفيون الشعوب. واضح أننا حين نواجه هذا المنطق ليس لنا إلا أن نقول: لو رأيتم ديناً يقرّ على ظلم الظالمين ويساند المستبدّين، ولا يهتم بأمر المظلومين ولا يجدي نفعاً للمسحوقين فارفضوه إنا معكم رافضون. الدين الإلهي له خصائص معينة ومواصفات خاصة، إن توفرت قبله وإن لم تتوفر نرفضه» (المحاضرة التاسعة).

ويقول: «إسلامنا هو الذي يحارب التمييز والطبقية، ويقسم الثروة بالعدل، ويوفر الفرص والإمكانات المتساوية أمام أفراد المجتمع، ويُعزّز الإنسان الذي كان يعيش في الذلّ وكان يُسخّر لارتكاب ألوان الجرائم من أجل فئات موائد الطواغيت. هذا الإنسان المنحط أعزّه الإسلام وأكرمه، وأكسبه الفضائل الأخلاقية والإنسانية، كل ذلك وفرّه في ظل نظام عادل

ومتقن» (المحاضرة التاسعة).

ويقول: «لم يكنف رسول الله (ص) بموعظة الناس وبيان الصحيح وغير الصحيح من الأعمال، بل إنه أرسى قواعد نظام اجتماعي مستحکم وفق أصول معينة، ودفع بالناس إلى الحركة في ظل هذا النظام وفي هذا المسير، وبهذا جعل منهم أفرادًا صالحين. وإذا أخذت بنظر الاعتبار هذا الإسلام ثم قلت أيها المادي المعاصر بأنه لا ينسجم مع ما نريد من تحقيق الرقي والعدل والأمن وتأمين احتياجات البشر، فذلك ما لا نقبله منك...! إذ هو خلاف الإنصاف.. خلاف الإنصاف» (المحاضرة التاسعة).

عطاء التوحيد

التوحيد أهم عنصر تكاملي للفرد والمجتمع، وهو الذي يؤطر الحياة الإنسانية بكل مرافقها، لكن الذهنية الراكدة حولته إلى ما يتناسب مع حالة الركود والخمود السائدة. وقد مرّت بنا مقتطفات من أقوال الأستاذ المحاضر في هذا الصدد، وفي المحاضرات تفاصيل عن عطاء التوحيد لمعناه القرآني مثل مفهوم تساوي البشر باعتباره نتيجة طبيعية لرفض تعدد الآلهة يقول:

«وجاء الاسلام ليرفض تعدد الآلهة، ويقرر أن البشر مخلوقون من إله واحد.. ومن طينة واحدة، ولهم فطرة واحدة، والآيات الكريمة في هذا الصدد كثيرة نظير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾. فالبشر بأجمعهم من أصل واحد، ويحملون كفاءات تمكّنهم من التكامل والسمو، لا فرق بينهم في ذلك، اللهم إلا المجموعة التي اصطفها الله سبحانه هداية البشرية كالأنبياء والأئمة، فهؤلاء الصفوة خارجون من بحثنا، وحديثنا عن عامة أفراد المجتمع» (المحاضرة الثانية عشرة).

وهكذا ما يفرزه التوحيد من رفض التمييز الطبقي. يقول:

«فرص التكامل العلمي والعملية متاحة للجميع. خلافًا للمجتمعات غير التوحيدية حيث الطريق معبّد لفئة ومليء بالأشواك والعقبات لفئة أخرى. وأقف عند عبارة «يا أيها الناس» فالخطاب للبشرية جمعاء بمختلف ألسنتها وألوانها وأقاليمها واتماءتها،

وأقف عند «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» ففيها رفض تام للطبقية، ليست كرامة الإنسان من نَسَبِهِ وَحَسَبِهِ ومكانته في مجتمعه، بل من تقواه. بل — وهذه ملاحظه دقيقة وهامة — حتى المتقون ليست لهم امتيازات بشرية خاصة، المتقي لا يتمتع — باعتباره متقيًا — بامتيازات مالية أو حقوقية خاصة، فهم مكرمون ومقربون عند الله سبحانه. طبعًا التقوى لها آثار اجتماعية أيضًا، ومن هنا فإن بعض المسؤوليات لا يتولاها إلا أصحاب التقوى» (المحاضرة الثانية عشرة).

وهكذا ما ينتج عن التوحيد من مكافحة الفقر وضيق النظر والانشداد إلى الصغائر. يقول: «إن التوحيد مشروع عظيم وضخم يدخل حياة الإنسان فيؤثر في مجالاته الاقتصادية بإزالة الفقر أو تعديل الثروة، ويدخل في المجال الاجتماعي، فينتج أخلاقية خاصة في التعامل، ويدخل في مجال النظرة إلى الكون والحياة فيجعلها إلهية، ويدخل في دائرة النفس فيخلق منها نفسًا ذات خصائص سامية، مثل التخلص من ضيق النظر، ومن الشعور بالضعف والهزيمة، فلا يرى صاحبها متطلباته محدودة في الأمور المادية، ولا ينشد إلى الصغائر، ولا يرى هذه الدنيا هي نهاية الحياة، بل يؤمن بحياة أخرى خالدة، ومن هنا يرى الموت بداية حياة أخرى، وهذه الرؤية لها الأثر الكبير على حياة الإنسان وسلوكه وتعامله» (المحاضرة الثالثة عشرة).

وهكذا اقتلاع جذور الخوف، وهو من معطيات التوحيد، يقول: «ونقف عند إحدى الخصائص النفسية للتوحيد وهي اقتلاع جذور الخوف من غير الله سبحانه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فالؤمن الموحد العارف بقدرة الله تعالى لا يساوره خوف. حين تأمل في حياة البشرية قديمها وحديثها أرى أن الخوف عامل ضياع دنيا الناس وآخرتهم. الخوف من الفقر يؤدي إلى شح النفس وعدم الإنفاق، الخوف من انتهاء أيام العمر والطمع في البقاء لأيام أكثر قد يؤدي إلى فناء حياة كثيرين، وإلى شقاء الحياة البشرية. حين نطالع المآسي والجرائم في حياة البشر، حين ندرس سبب قلة أنصار الحق، وإعراض الناس عن الحق حتى بعد أن عرفوه، نرى أن جذور كل ذلك تكمن غالبًا في الخوف» (المحاضرة الثالثة عشرة).

الأمل في المستقبل

من ميزات الإحيائيين إزالة روح اليأس والهزيمة من نفوس المؤمنين. الحاجة إلى الأمل بالمستقبل والثقة بالله حاجة الرساليين في كل زمان ومكان، وهو مورد تأكيد القرآن الكريم في مواضع عديدة. لكن الحاجة إليه ازدادت بشدة في ظروف الغزو الاستعماري للعالم الإسلامي، وهزيمة المسلمين نفسياً وعسكرياً واقتصادياً أمام الغزاة. ومن هنا نجد الأستاذ المحاضر يؤكد في كل مناسبة على غرس روح الأمل في النفوس. يقول: «هذا مبدأ إسلامي يقضي أن يكون مصير البشرية إلى خير، لماذا؟ لأن الله تعالى خلق السماوات والأرض وفق موازين الحق، وخلق الإنسان لينشد الحق بفطرته. والإنسان بما عنده من إرادة يجب أن يتحرك وفق ما تقتضيه فطرته ليصل إلى ذلك المقصد» (المحاضرة العشرون).

ولا يخالّن أحد أن الأنبياء فشلوا في أداء مهمتهم الرسالية. إذ هذا الفهم لمصير الأنبياء هو ما يردده المتقاعسون لتبرير تقاعسهم وقعودهم. يذكر الأستاذ المحاضر آية ويعلق عليها يقول: «القرآن الكريم يعلمنا أن كل واحدة من النبوات كان لها دور وفاعلية في سلسلة النبوات، إضافة إلى أنها دفعت بالبشرية خطوة إلى الأمام، وهذا ما تؤيده وثائق التاريخ. وهكذا أتباع الأنبياء يستطيعون أن يحققوا النجاحات بشكل مؤكد، ولكن بشرطين وإذا تحقق هذان الشرطان فالنصر حتمي، وليس من الضروري أن يتحقق هذا الانتصار بمعجزة. وما هما الشرطان؟ الأول: الإيمان، أي العقيدة الواعية، إيمان مقرون بالتزام، ومقرون بالسعي والحركة. الثاني: الصبر، ويعني المقاومة، والثبات في الساحة، وعدم ترك الميدان في اللحظات الحساسة والخطرة» (المحاضرة العشرون).

ثم يذكر ما تحمله ذاكرته من كلام في تاريخنا الحديث يقول:

«أذكر بالمناسبة كلام شخص من تاريخنا الحديث كان يخاطب أتباعه في الحركة الدستورية الإيرانية ويقول لهم: ناضلوا، وإن اشتدت عليكم الأمور ناضلوا أيضاً، وإن أيقنتم بالفشل الحتمي واصلوا النضال، عندئذ سوف يكتب لكم النصر، هذا كلام صحيح. حين يبقى الأمل بالنصر في كل أحوال الشدة فإن النصر عاقبة الأمور، أما إذا دب اليأس فثمة الفشل والهزيمة» (المحاضرة العشرون).

ويخرج بنتيجة لها علاقة بواقعنا الراهن يقول:

«لا يخالَنَّ المسلمون أن التخلف والفقير والذلّ مقرون بهم ومطبوع عليهم ولا يمكن أن يفارقهم، وأن القوى المتجبرة في العالم قد قَدَّر لها أن تبقى مسيطرة على رقاب الأمة تمتص دماءهم وتستنزف ثرواتهم!! لا، لو أن الملايين من أبناء الأمة الإسلامية قد التزموا بالإيمان وتحلّوا بالصبر لكانت الغلبة لهم. هذه هي توصية القرآن الكريم للمسلمين في كل زمان ومكان». (المحاضرة العشرون).

الفهم الإحيائي للولاية

الولاية مفهوم إسلامي قرآني، فالله ولي الذين آمنوا، ورسله، وكذلك مَنْ لهم صفات تؤهلهم لولاية أمر المسلمين. وأتباع مدرسة أهل البيت يرون في الأئمة الاثني عشر النموذج الأسمى للولاية، لكن هذا المفهوم الهام الذي يرتبط بمصير المجتمع الإسلامي وبرسالية مسيرته وتوجهه الحضاري قد لَقَّه الغموض بل التحريف، ولذلك يتصدى السيد المحاضر لتوضيح أبعاد الولاية وعطائها يقول:

«إذن للولاية بُعدان داخلي يرتبط بالأمة الإسلامية في داخل مجتمعاتها وبُعد خارجي يرتبط بعلاقة الأمة الإسلامية بالمجتمعات الأخرى.

على الصعيد الداخلي لا بدّ من رصّ الصفوف والحذر من التفرّق. ولو حدث اختلاف بين فريقين داخل الأمة فالقرآن يأمر بالإسراع في الإصلاح بينهما. ولو أصرَّ أحد الفريقين في لجأته وتعتته ورفض الرضوخ إلى كلمة الحقّ فعلى العالم الإسلامي أن يعيد هذا الفريق إلى صوابه ولو بالقوّة والقتال.

يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾. هذا أمر الله سبحانه من أجل صيانة وحدة الأمة الإسلامية. أما في بعد علاقات الأمة الإسلامية بغيرها، فلا بد من تنظيمها بصورة تحافظ على استقلال الأمة وصيانة شخصيتها وكرامتها وهويتها. وكلّ ارتباط خارجي يسيء إلى هذه المحافظة فهو مرفوض» (المحاضرة الرابعة والعشرون).

والولاية التي يستحق صاحبها أن يكون من الفائزين في الدنيا والآخرة ليست الاكتفاء بعقد مجالس إحياء ذكر أهل البيت وبيان فضائلهم. فهذا ما يصّر عليه الجاهلون والمغرضون، وهذا ما يزري بمفهوم الولاية يقول:

«عقد مجالس لإحياء ذكر أهل البيت وبيان فضائلهم لا يخالفه عاقل، من الشيعة ولا من السنة بل ولا من غير المسلمين. كل من يعرفهم يقرّ بعظمتهم، فهم الرهط الكريم الذي قدّموا كل ما لديهم حتى أرواحهم في سبيل نشر العدل ومقارعة الظلم والدفاع عن دين الله وكرامة الإنسان. لو ذهبتم إلى أوروبا وبيّتم هناك للناس شخصية الإمام أمير المؤمنين وحياته لرأيتم احترام المخاطبين وإعجابهم بهذه الشخصية ولوجدتموهم ينحنون إجلالاً له. إذن الاكتفاء باحترام أهل البيت لا يمكن أن يكون الولاية التي يستحق الشخص بموجبها اللجنة. من المؤسف أن نفرًا يطرحون عن غرض أو جهل موضوع الولاية بشكل سطحي، ولا يكتفون بذلك بل يجاربون الذين يقدّمون الفهم الصحيح للولاية، وللعاملين على طريق الولاية. حصر الولاية في نطاق محدود وضيّق لا يليق بهذا المبدأ الإسلامي الهام» (المحاضرة الخامسة والعشرون).

وعن عطاء الولاية يرى أنه إحياء الأمة، وتنمية كفاءاتها الإنسانية وإقامة المجتمع الصالح والحكم الصالح يقول:

«طيب، يبقى السؤال عن العطاء الذي يمكن أن تقدمه الولاية للمجتمع. في كلمة واحدة نجيب: إنه انتقال من الموت إلى الحياة. تصوروا الجسم الميت الذي فيه الدماغ والعين والجهاز الهضمي والدورة الدموية ولكن كلها لا تعمل، لماذا؟ لأن هذا الجسم يفقد الروح. وهكذا المجتمع الذي يفقد الولاية، فيه كفاءات لكنها باطلة مهدورة. له قوى مفكرة لكنها تُسخر فكرها للإفساد وللقتل وإحراق الحرث والنسل. لاحظتم في التاريخ الإسلامي حينما خبت شعلة الولاية ماذا حدث. ولقد حدّرت فاطمة الزهراء سلام الله عليها مما سينزل بالمجتمع إذا ابتعد عن الولاية، لكن آذان المجتمع لم تكن تستوعب هذا التحذير، وهذا التحذير قائم إلى يومنا هذا. المجتمع صاحب الولاية مجتمع تنمو فيه الكفاءات الإنسانية، وكل شيء فيه ينحو إلى السموّ والكمال والرقّيّ. ويسير المجتمع بتوجيه من الولي الحاكم على

طريق الله، وتُقسم الثروة فيه تقسيماً عادلاً، وتتجه الطاقات فيه إلى الاستزادة من المعروف واستئصال المنكر وكل ما يسيء إلى المجتمع» (المحاضرة السادسة والعشرون).
ثم يذكر ما جرّه الابتعاد عن المفهوم الصحيح للولاية من مأس في تاريخ المسلمين وتاريخ الحضارة الإسلامية يقول:

«الذي يركز عليه الإسلام هو أن زمام أمور الناس يجب أن لا تقع بيد من يسوق الناس إلى جهنم. لقد شهد التاريخ الإسلامي استيلاء أفراد على السلطة أذاقوا الناس سوء العذاب، وعاثوا في الأرض الفساد. كل هذا حدث في جوٍّ من غياب القيم التي قرّرها الله سبحانه للحاكم في المجتمع الإسلامي. رأينا في التاريخ كم عبث بعض الحكام بأموال المسلمين وأرواحهم! أنفقوا بيت المال على قصورهم ولهوهم وحفلات زواجهم» (المحاضرة السادسة والعشرون).

وعن آثار الابتعاد عن الولاية على مسيرة الحضارة يقول:

«تعرفون أن الاسلام فجر طاقات الأمة وأيقظ كفاءاتها وقواها الفكرية فسجلت أروع انتصارات في حقل العلوم والمعارف، واقتبسوا علوم زمانهم وترجموها، وذلك ما بعث علماء الغرب أن يذكروا بإعجاب شديد ما حققه المسلمون من تقدم، من أمثال «غوستاف لوبون» الفرنسي الذي درس الحضارة الإسلامية في قرون ازدهارها، ومثل «آدم متز» الذي كتب عن الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، ولكن الذي يبعث على الأسى هو أن المجتمع الإسلامي في عصور الازدهار الحضاري كان خاضعاً لخلافة وراثية استبدادية بعيدة عن القيم الإسلامية. ولذلك كان نصيب المجتمع الإسلامي من هذا التطور العلمي ضعيفاً، ونرى التاريخ ينقل لنا الأعاجيب من التمييز الطبقي في ذلك العصر. ولهذا السبب أيضاً أفلت مسيرة التقدم العلمي والفكري، وأوصلت العالم الإسلامي إلى ما نشاهده اليوم. لو كانت ولاية الأمة بيد الصالحين، لو كان النـمـوج العـلـوي هو السائد في المجتمع، لو كانت ولاية الأمر بيد أمثال الإمام الصادق، لكان عطاء التطور العلمي يعمّ المجتمع وينقذه من عوامل التخلف كلّها، ولَكُنَّا نـنـعم حتى اليوم بذلك العطاء.

ثم هذه الحضارة الغربية المعاصرة، قد حققت انتصارات في حقل العلوم والصناعة والتطوير

لكنها كانت ولا تزال في ظل الأنظمة الحاكمة التي لا تؤمن بقيم إنسانية وأخلاقية، فقادت الغرب بل والعالم إلى حروب ودماء ودموع، وإلى تمييز عرقي وطبقي فظيع، ولم يستطع ذلك التقدم العلمي أن ينعش الحياة الإنسانية والفضائل الخلقية» (المحاضرة الرابعة العشرون).

تصحيح المفاهيم

بسبب انعزال الإسلام عن الحياة لقرون، وفرض حالة التخلف على المسلمين عشعت في ذهن المسلمين مفاهيم خاطئة. وتحولت عناصر الحركة والدفع والتكامل في الإسلام إلى عناصر ركود وتكاسل وارتخاء. من هذه المفاهيم:

الرحمة: وهذا المفهوم له قيمته الكبرى في منظومة الحضارة الإسلامية، لكنه تبدل في الذهنية الراكدة إلى انتظار هذه الرحمة لتهبط من السماء، لإنقاذ المسلمين مما يعانونه. يرفض الأستاذ المحاضر هذه النظرة، ويبين المعنى الواعي التغييري للرحمة يقول:

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ رحمة الله لا تنزل على الأمة إلا حين تلتزم بالرسالة، وتؤدي ما عليها من واجبات. ملايين المسلمين يرون بأعينهم ما يحلّ ببلدانهم من تدمير ونهب وسيطرة وإذلال، ثم يجلسون منتظرين رحمة ربّ العالمين!! لا، مثل هذا الانتظار للرحمة مخالف لسنة ربّ العالمين في الكون» (المحاضرة الأولى).

ويقول: «حين تسير الأمة على طريق سُمّوها وكهاها، وتكسر قيود أسرها، عندئذ تشملها رحمة ربّ العالمين: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾» (المحاضرة الأولى).

ومنها الغفران: الذهنية الراكدة تنتظر غفران الله بالدعاء والتضرّع فقط، غير أن الذهنية المتحركة ترى أن الذنب تأخّر عن مسيرة التكامل، ولا بدّ من حثّ الخطي لتلافي هذا التأخّر، إنه جرح لا بدّ من معالجته بالجدّ والاجتهاد. يقول: «إن الغفران يعني التمام جرح وملء فراغ» (المحاضرة الأولى).

ويقول: «ما معنى الغفران؟ إنه يعني معالجة هذا الجرح وإزالة آثاره. هذا هو الغفران. ويتم هذا بتلافي ما أنزله الذنب في الروح من انتكاس، ودفعها نحو السموّ والارتفاع» (المحاضرة الأولى).

ومنها الخوف من الله: الخوف من الله ليس من نوع الخائف من جرمه حين يقف أمام القضاء. فهذا الخوف لا ينتج كما لا بل إنه كما يقول الأستاذ المحاضر: «من نوع آخر، إنه خوف ناتج عن معرفة. حين يقف الإنسان أمام ذات عظيمة وحقيقة جليلة فإنه يصاب بالرهبة، طبيعة الإنسان تقتضي أن يقف مرهوباً أمام الموجود العظيم. هنا الرهبة ليست خوفاً، قد لا يعتريه أي خوف من ارتكاب ذنب، لكنها الرهبة الناتجة عن إحساس بالعظمة وشعور بالصغر أمام تلك العظمة» (المحاضرة الثانية).

وبكاء الأولياء أمام الله ليس تظاهراً ولا تعليماً للآخرين! بل هو الرهبة والخشوع يقول: «ليس الأمر كما يقول بعض الجاهلين: إن بكاء هؤلاء العظام وتضرعهم إنما هو من أجل أن يعلمونا البكاء والتضرع!! فهو ليس عند هؤلاء الجهلة بكاء حقيقياً، بل يتظاهرون بذلك كي يعلمونا بذلك!! هذا خطأ وجهل، هؤلاء العظام ارتفعوا في معرفة الله حتى امتلأت قلوبهم بالرهبة والخشوع والخضوع» (المحاضرة الثانية).

ومنها التوكل: التوكل في الذهنية الجامدة هو إيكال الأمر إلى عامل غيبي. وهذا هو التواكل غير أن التوكل في المفهوم القرآني له عطاؤه الحركي. يقول: «التوكل هو الاعتماد على الله وعقد الأمل عليه في كل الأحوال. والتوكل بهذه الصورة يبعد مفهومه عن حالة التخدير ويجعل منه عامل حركة واندفاع» (المحاضرة الثانية). ويقول عن الإنسان الذي يواجه طريقاً مغلقاً، فهو: «إما أن ينحرف مع ظروف الواقع المفروض، وإما أن ينهي حياته بالانتحار. لكن الإنسان السائر على طريق الله يفتح أمامه، حين يواجه طريقاً مغلقاً، سبيلٌ آخر. ما هذا السبيل؟ إنه: التوكل». (المحاضرة الثانية). ومنها الشفاعة: الشفاعة في الذهنية الراكدة هي دخول المذنب الجنة بواسطة شفاعة الأنبياء والأولياء يوم القيامة، وهذا يتعارض مع مفهوم العمل، ويشجع على الكسل. يقول: «ثمة أفكار موهومة أشيعت في أوساطنا، ولقيت ترحيباً من النفوس التي تميل إلى البطر والراحة والاسترخاء، وتتجه هذه الأفكار إلى التبشير بالجنة دونما عمل وفق معادلات خاطئة. على سبيل المثال ثمة تفسير خاطئ لمعنى الشفاعة يغري الإنسان بالكسل وترك

العمل، بينما أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يؤكدون في مواقف كثيرة أن شفاعتنا لا تُنال إلا بالعمل» (المحاضرة الرابعة).

ومنها الطمأنينة والسكينة والأمن: يمكن أن يكون لها في الذهنية الراكدة مفهوم لا ينسجم مع المنظومة الفكرية للإسلام، فيتصدى الأستاذ المحاضر لتصحيح المفاهيم بشأن هذه المفردات يقول بعد أن يورد أمثلة على معنى الاطمئنان: «أردت من هذه الأمثلة أن أبين لكم معنى الاطمئنان ومعنى سكينة القلب والنفس. إنه لا يعني الخلود إلى الراحة والبطر» ويقول: «الطمأنينة هي ثبات روح الإنسان وثبات قلبه» وعن السكينة يقول: «والسكينة أيضًا لا تعني السكون وعدم الحركة، بل تثبيت القلب لمواصلة الطريق» وعن الأمن يقول: «الأمن هنا يعني الأمن الروحي، يعني أن لا يساور الإنسان تزلزل وقلق وخوف واضطراب» (المحاضرة السابعة).

ومنها العقل والدين: اهتمّ الإحيائيون بالتركيز على عدم وجود انفصال بين العقل والدين. وهذا الاهتمام يأتي من فكرة قديمة جديدة بأن الناس اثنان: ذو عقل بلا دين وآخر عاقل لا دين له!! وفي هذا الموضوع يقول الأستاذ المحاضر:

«الدين إذن لم يأت ليكون بديلاً عن العقل، وناسخاً له، بل لهداية العقل وإعانتته، حين يكون إلى جانب العقل الأهواء والأطماع والمخاوف والأغراض الشخصية فإنّ العقل لا يستطيع أن يؤدي دوره. والدين يأتي لجعل العقل قادراً على الرؤية الصحيحة. الحثّ على التعقل والتفكير كثير في القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ والإشادة بأرباب العقول كثيرة أيضاً: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الروايات مستفيضة بعبارة: «إنّ الله على الناس حُجَّتَيْن» أي النبي والعقل. فالإنسان بدون وحي لا يستطيع أن يحقق ما يصبو إليه من سعادة. الوحي يعمل على تقوية العقل والفكر.. يزيهها.. يهدبها.. يعاضدهما. هذه هي وظيفة الوحي.. وهذه هي الحكمة من النبوة. هذا هو عطاء يد الغيب، لا كما يخال المتقاعسون الذين يكلون ما يجب أن يقوم به الناس إلى الغيب..

يكلون إلى الغيب مسؤولية إصلاح الأوضاع الاقتصادية وإزالة الفقر من المجتمع، وينسبون إلى الغيب ما يرونه من تردّي الأوضاع الاقتصادية، بينما كان من المفروض أن ينسبوا إلى الذين ﴿قَالُوا لِمَ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ﴾ ﴿وَلِمَ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ (المحاضرة الرابعة عشرة).

ومنها مهمة الأنبياء: فترة الركود خلقت تصورًا خاطئًا عن مهمة الأنبياء يتلخّص في إصلاح مَنْ يمكن إصلاحه، وحصر مهمتهم بالأعمال الفردية، لتبرير حالة التقاعس لدى بعض من يدعون أنهم يسرون على طريق الأنبياء. وهذا ما يتناوله الأستاذ المحاضر في جلسات متعددة. من ذلك قوله:

«التصور السائد في الأذهان تجاه النبي هو أنه إنسان يأتي إلى المجتمع باعتباره حكميًا عالمًا يقبع في مكان لينهل الناس من فيض علمه وحكمته. يتصورون أن إبراهيم خليل الله أو موسى كلیم الله حين مارس دوره في مجتمعه فإنه اتخذ بيتًا مناسبًا، وخصص ساعات لمقابلة الناس المؤمنين منهم وغير المؤمنين. وفي هذه المقابلات يقدم إلى الناس استدلالات بوجود الله وبضرورة الخوف من الله، فيصلح مَنْ يصلح من الناس ثم يغادر الدنيا بعد أن أدى مهمته!! لا، ليس النبي بهذه الصورة، حين يُبعث إلى مجتمعه تثور روحه ويغلي صدره، فيصبح إنسانًا آخر غير الذي كان عليه، ثم يتوجه إلى مجتمعه فيراه قائمًا على أساس مغلوط، ويرى تصميمه المعماري مخالفًا لتصميم الفطرة الإنسانية، ويرى ضرورة تغييره. يرى أن مجتمعه فيه التمييز الطبقي وفيه الظلم، وفيه التعسف، ولا بدّ أن يتغير إلى مجتمع توحيدي» (المحاضرة السادسة عشرة).

ويقول: «هدف الأنبياء في المجتمعات التي بُعثوا فيها هو تبديل المجتمع من حالته المنحرفة، من حالته غير المتعادلة، من حالة الظلم والجور إلى مجتمع متوازن متعادل عادل خال من مظاهر القبح ومفعم بمظاهر الجمال» (المحاضرة السادسة عشرة).

ويقول: «الأنبياء والسائرون على طريقهم كان لهم جواب واحد في كيفية تهذيب الإنسان وتزكيته وفق الأسلوب الإلهي الصحيح. وهو: إيجاد الجوّ الاجتماعي المناسب والملائم للتربية» (المحاضرة السابعة عشرة).

ويقول: «العمل الفردي في الإصلاح يؤدي إلى استقامة فرد أو فردين، والعمل الاجتماعي يؤدي إلى إصلاح مجتمع بملايين أفراده وإلى إصلاح أجيال متوالية» (المحاضرة السابعة عشرة).

ويقول: «ما نفهمه من القرآن الكريم أن سيرة الأنبياء في صناعة الإنسان هي خلق المجتمع الإلهي.. المجتمع التوحيدي.. خلق الجوّ المساعد على دخول الناس في دين الله أفواجًا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾» (المحاضرة السابعة عشرة). هذه بعض المحاور الإحيائية في محاضرات السيد الأستاذ، أردنا بها أن نسلط الضوء على المقصد الإحيائي الحضاري للمحاضرات، وأن نفتح أمام القارئ الكريم نافذة يطل من خلالها على سائر المحاور. فهي إضافة إلى قيمتها التاريخية في مسيرة الفكر الإسلامي بإيران تقدم دروسًا نحن بأمس الحاجة إليها اليوم.

مقدمة الأستاذ المحاضر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن اتبع هداه.
بلورة المشروع الإسلامي بصورة مدرسة اجتماعية ذات مبادئ منسجمة ومتناسقة، وذات رؤية للحياة الاجتماعية البشرية، من ألح ضرورات الفكر الديني.
أغلب الدراسات الإسلامية المطروحة على الساحة تفتقد إلى هاتين الخاصيتين الهامتين. من هنا فإن الباحثين والدارسين الساعين إلى مقارنة الإسلام بالمدارس الاجتماعية الراهنة لم يستطيعوا أن يحققوا النتيجة المرجوة، أي تعذر عليهم أن يقدموا الإسلام باعتباره مشروعاً متماسكاً منسجماً ويقارنوه بالمدارس القائمة.
إضافة إلى ما سبق، فإن ما قدّموه لا يتجاوز أن يكون معرفة ذهنية، لأن أبحاثهم بصورة عامة تدور حول قضايا هي بمعزل عن العطاء العملي وخاصة الاجتماعي، وبذلك لم ينتجوا نظرية إسلامية واضحة بشأن الحياة الاجتماعية، وخاصة ما يتعلق بصورة المجتمع المطلوب. وثمة ملاحظة هامة أخرى هي إن القرآن الكريم — وهو الوثيقة القطعية في الإسلام —

لم يكن له بين الدارسين سهم في إنارة الطريق وتوضيح معاملة، بل اتجهوا غالباً إلى الغور في الروايات والمنقولات الظنية - وأحياناً الضعيفة - ليجعلوها منطلقاً لفهمهم، وبذلك نشأت جملة من التصورات البعيدة عن الفهم القرآني. ولعل هذا التوجّه المتغافل عن القرآن هو الذي جعل التدبّر في كتاب الله العزيز يترك مكانه لتلاوة سطحية لا أثر لها في معترك الحياة، وأصبح الهدف من التلاوة محدوداً في توخي الثواب الأخروي، بل وأكثر من ذلك أصبح القرآن الكريم يُقدم بشكل سطحي وغوغائي.

هذا الوضع الموجود يفرض على المفكرين الملتزمين الواعين في عصرنا أن يركزوا على ثلاثة محاور في دراساتهم للفكر الإسلامي ولا يجوز إغفال أي واحد منها:

الأول الخروج من الإطار الذهني المحض، والتوجه إلى المنظومة الإسلامية باعتبارها مدرسة اجتماعية يتعين فيها المسير العملي للأفراد، وخاصة في حياتهم الاجتماعية، والتأكيد في الدراسات النظرية على مشروع الإسلام لحياة البشر وعلى أهداف الإنسان والمجتمع في الحياة، والطريق الذي يحقق هذه الأهداف.

والأمر الآخر دراسة المسائل الفكرية في الإسلام بصورة مترابطة وبشكل أجزاء من منظومة واحدة، أي إن كل عنصر فيها هو جزء من هذا التركيب، وغصن من هذه الدوحة، وكبنة في هذا البناء الشامخ، لا ينفصل بعضها عن بعض، لكي يتبلور المشروع الكامل الشامل للدين، باعتباره مدرسة فكرية كاملة خالية من أي إبهام، وذات أبعاد متناسبة مع حياة الإنسان بمختلف جوانبها.

وثمة مسألة أخرى هي أن فهم الإسلام ومبادئه لا بد أن يستند إلى النصوص الأساس في الدين، لا أن ينطلق هذا الفهم من الأذواق والآراء الشخصية أو من الخلفيات الفكرية والذهنية لهذا وذاك، كي نطمئن إلى أن نتيجة دراستنا «إسلامية» حقاً، لا شيئاً آخر، ولا شك أن القرآن الكريم يحقق هذا الهدف باعتباره أكمل وثيقة وأهمها: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، وهو ﴿تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ﴾، وطبعاً في إطار تدبّر عميق أمرنا به القرآن. وما تضمّمه هذه الرسالة حصيلة جهد لتحقيق هذه الرؤى بشكل تقرير عن المشروع الإسلامي طُرِح ضمن سلسلة محاضرات.

في هذه المحاضرات جرى إلقاء الضوء على أهم أسس الفكر الإسلامي في أكثر أبعادها فاعلية وحيوية من خلال آيات محكمات واطحات. ومع توضيح أسلوب التدبر في القرآن والتعمق في آياته جرى أيضًا تبين تلك الأسس في هذه الآيات.

ولمزيد من التوضيح والتأكيد تمّ الاستناد في المواضع اللازمة إلى المأثور الصحيح عن النبي (ص) وآل بيته (ع) لبلورة مبدأ من مبادئ الإسلام برؤية عملية تبعث على الالتزام والشعور بالمسؤولية، باعتبار أن ذلك المبدأ يمثل جانبًا من النهج الفكري والأيدلوجي للإسلام... ثم من أجل أن تبقى حصيلة المحاضرة وملخصها في أذهان المستمعين، وأن تكون منطلق تفكير وتدبر فقد جرى تدوين تلك الحصيلة في ورقة لتوزع يوميًا على الحاضرين.

هذا الذي بين يدي القارئ مجموع تلك المحاضرات، يجري نشره استجابة لطلب كثير من مستمعي تلك المحاضرات أو من سمع عنها.. على أمل أن تكون مفيدة ومليية لطلب الطالبين. وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.

٣ آبان ١٣٥٣

(٢٥ أكتوبر ١٩٧٤)

القسم الأول

الإيمان

الجلسة الأولى

الإيمان (١)

الخميس ٢ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٦/٢٨ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ * وَسَارِعُوا إِلَى
مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ
الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(آل عمران / ١٣٢ - ١٣٤)

الرهبان المسيحيون توجهوا إلى الرهبانية كي لا تمسهم لوثة الذنوب والآثام. لجأوا إلى المغارات والكهوف والقرآن يقول عنهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾^١، أما العالم المسلم فليس في منهجه رهبانية، ليس فيه حالة انعزال أو فرار من الساحة الاجتماعية. العالم الإسلامي سعيه دائماً لإنقاذ الغريق^٢. المسلم الواعي إسلامه مقرون بالمسؤولية.. وهذا الاقتران هو اقتران اللازم بالملزوم. يسعى دائماً لمدِّ يد العون لمن يحتاج.. للغريق.. للمريض، لمن ضلَّ الطريق، وهذا لا ينسجم مع الفرار من الساحة. يجهِّز نفسه بالتقوى، أي بالدرع الذي يقيه من إصابة سهام الآثام، ويدخل الساحة بكل ما فيها من ذنوب، لينقذ الآثمين والمذنبين. هذه هي التقوى بإيجاز.

١- الحديد / ٢٧

٢- إشارة إلى مقطع من أبيات سعدي الشيرازي ما ترجمته:

رجل يحمل قلباً واعياً جاء من الخانقاه (محل الدراويش) إلى المدرسة. وكسر بذلك عهد الصحة مع أهل الطريقة (مع الدراويش). قلت ما الفرق بين العالم والعابد حتى حدا بك أن تختار بدل أولئك (الدراويش) هذا الفريق (من العلماء). قال: ذلك يجير بساطه من الموج (ينقذ نفسه)، وهذا يجهد أن يأخذ بيد الغريق..

هل هذا المفهوم من التقوى يستطيع أن يكون عامل نجاح وانتصار؟ نعم، بكل بساطة نستطيع أن نفهم أنه عامل انتصار، وعامل غلبة على العقبات. من أراد أن يكافح مرضًا من الأمراض في منطقة لا يستطيع أن يحقق ما يريد إذا كان خائفًا من إصابته بذاك المرض، الخوف من الإصابة يمنعه من دخول الساحة الموبوءة. لا بدّ له أن يحصّن نفسه، ثم يدخل تلك الساحة بثقة واطمئنان ليتصر على المرض، ويفلح في الوصول إلى غايته. هذه هي التقوى، وهذه هي نتيجتها.. الفلاح والنجاح. ولتقف عند الآيات: يقول سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ^١ و﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ^٢.

﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ من الواضح أن إطاعة الله لا تفصل عن إطاعة الرسول، لماذا إذن هذا التأكيد على إطاعة الله وإطاعة الرسول، أليس في ذلك تكرار؟ لا، لأن الأمر في الآية لو اقتصر على إطاعة الله، واكتفت بالقول: «أطيعوا الله» ولم تذكر إطاعة الرسول باعتبارها مصداقًا لإطاعة الله سبحانه، لظهر في الجبهة المعادية للرسالة من يدعي أنه يطيع الله. بمقدور أي شخص أن يدعي الإيمان والطاعة والتدين والتقوى. في عصر الرسول (ص) كان رهبان المسيحية وأحبار اليهود يدعون أنهم أبناء الله!! ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ ^٣ كان رسول الله يعلن أنه عبدُ الله، وهؤلاء يدعون أنهم «أبناء الله»! طبعًا هؤلاء حين يخلون إلى أنفسهم يعلمون أنهم في ادعائهم هذا كاذبون، لكنهم يريدون أن يتظاهروا أمام الناس بأنهم مطيعون. إذن لا بدّ من معيار يفصل بين هؤلاء المدّعين، والمطيعين الحقيقيين. هذا المعيار هو إطاعة الرسول، أي إطاعة المنهج الذي جاء به الرسول من عند الله، وإطاعة تعاليم النبي. لا يمكن أن يكون الشخص مطيعًا لله سبحانه إذا لم يلتزم بلوازم هذه الإطاعة وهي السير على منهج ما جاء به الرسول في رسالته: ﴿اطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي لعل رحمة الله تنالكم. قارنوا بين المفهوم الشائع للرحمة وبين مفهومها القرآني. الشائع هو أننا إذا أذنبنا وأسأنا وعصينا الله، ولم نعمل بها علينا من واجب والتزام

وتكليف، وإذا لم نحذر من الدخول في دائرة الممنوعات الإلهية، فإننا نعقد الأمل على شيء واحد، وما هو؟ إنه رحمة الله!! أي إن المفهوم الشائع لرحمة الله هو تحققها في حالة العصيان وارتكاب الذنوب والموبقات!!، ولذلك يردد بعضهم القول: إن أيدينا خالية من العمل الصالح، ولا نرجو إلا رحمة الله! أي إنهم يرون رحمة الله مختصة بمن ابتعد عن العمل الصالح، بينما المنطق القرآني يرى عكس ذلك يقول: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَابُوا لِلرَّسُولِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^١ رحمة الله لا تنزل على الأمة إلا حين تلتزم بالرسالة، وتؤدي ما عليها من واجبات. ملايين المسلمين يرون بأعينهم ما يحلّ ببلدانهم من تدمير ونهب وسيطرة وإذلال، ثم يجلسون منتظرين رحمة رب العالمين!!

لا، مثل هذا الانتظار للرحمة مخالف لسنة رب العالمين في الكون، الآية تؤكد أن الرحمة لا بد أن يسبقها إطاعة الله والرسول. والإطاعة تتجلى في المؤمنين الذين يحكمون الرسالة في أمورهم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٢.. هذا هو الإنسان المؤمن المطيع لله ورسوله، وهذه هي الأمة المؤمنة المطيعة.. عندئذ تشملهم الرحمة، ويحظون بالسؤدد والعزة. حين تسير الأمة على طريق سُمّوها وكما لها، وتكسر قيود أسرها، عندئذ تشملها رحمة رب العالمين: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^٣ إنه ميدان سباق، والأمر فيه بالمسارعة. في الآية الكريمة ذكر لعلامة من علامات التقوى: يسارعون في ميدان المغفرة، وذكر لنتيجة من نتائج التقوى: ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ وسيلها ذكر العلامات الأخرى.

أيها الإنسان الذي تهافت مسرعاً على المال والمتاع، يا من تحاول جاهداً أن تسبق الآخرين حين يلوح لك بارق من حصول على قطعة أرض أو ثروة أو أسهم في شركة حتى ولو كان على حساب قيم الشرف والفضيلة.. سارع إلى هدف أكبر.. إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

١- النساء/ ٦٥

٢- آل عمران/ ١٣٣

القرآن يأمرك أن تدخل حلبة السباق، لتتقدم على الآخرين، لا يأمرك بالعود والجلوس، الدين لا يأمر بالتواني والتخلف، لا يطلب منك أن تعطل طاقاتك في حلبة السباق. من قال لك ذلك باسم الدين، فهو كاذب. الدين يطلب منك أن تسارع.. ولكن من أجل أي هدف؟! من أجل هدف كبير وعظيم يتناسب مع عظمة الإنسان. الإنسان أعظم من أن يكون مقصده مادياً صغيراً تافهاً، لأن الله كرمه، ولا بد أن يكون مقصده على قدر هذه الكرامة. فهو مطالب لأن يكون سباقاً ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكَمَّ وَجَنَّةٍ﴾.. إلى جنة تصغر أمامها السماوات والأرض. انظروا إلى التعبير القرآني، يقول سبحانه إنك حين تهتم بالحركة في ميدان السباق فلا هدف يتناسب مع كرامتك وعظمتك أقل من «مغفرة الله».

وما هي «المغفرة»؟ مغفرة الله ليست من جنس ما يتداول بين الناس أن يغفر بعضهم لبعض إساءاتهم. المتداول هو أن إنساناً قد يسيء إلى إنسان، فيطلب منه العفو والمغفرة. وذلك قد يغفر له وقد لا يغفر. وقد يرتكب شخص جريمة فيطلب العفو والمغفرة ممن أجرم بحقهم. وقد تفرض الحكومة على شخص ضرائب فيطلب ذلك الشخص أن يعفى منها أو من بعضها، عايشنا هذا اللون من العفو والمغفرة فظننا أن مغفرة الله من هذا القبيل، يظلم أحدهم ويذنب ويفسد في الأرض، ثم يرى أن الله سيغفر له لتضرع آذاه أو قطرة دم ذرفها، هل هذه مغفرة الله في قوله سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾ أم هي شيء آخر؟

إن الغفران يعني التئام جرح وملء فراغ. قد تُصاب ذراعك بجرح عميق، عندئذ يعطوك ضماداً وأدوية كي يلتئم الجرح، لكي ينمو ما حول الجرح ويملاً الشق الذي تركه في الجسم. هذا مثل ضربناه للتشبيه، إذ إن روحكم مثل جسم، ينزل بها جرح مع كل ذنب، ذلك لأن الروح من شأنها أن تتسامى وتتكامل. وكل ذنب يعيق الروح خطوة عن الحركة على طريق السموات والكمال.

الذنوب كبيرها وصغيرها تُنزل جرحاً بالروح وتشكل عقبة في مسير الإنسان نحو «غاية الآمال». هذا الذنب يحتاج الآن إلى غفران.

ما معنى الغفران؟ إنه يعني معالجة هذا الجرح وإزالة آثاره. هذا هو الغفران. ويتم هذا بتلافي ما أنزله الذنب في الروح من انتكاس، ودفعها نحو السموات والارتفاع.

ولنضرب مثلاً آخر. تصوّروا أنكم ركبت سيارة نحو مقصد معين. ولو أنكم توقفتكم أكثر من اللازم في منتصف الطريق، فإنكم ستكونون قد تأخرتم عن الوصول، ماذا تفعلون لتلافي هذا التأخير، ستزيدون من سرعتكم في السير، وسوف تمتنعون عن المزيد من الاستراحة، وتغذّون السير دون توقف، لتتلافوا هذا التأخير. ولا يحصل هذا التلافي بالجلوس في مقهى على قارعة الطريق وترديد القول: ربّ إني أخطأت وتهاونت.. هذا لا ينفعكم شيئاً، لا بد من الإسراع في الحركة لتلافي ذلك التأخير. ومثل ذلك طلب مغفرة ربّ العالمين.

هذا بالنسبة إلى المذنب واستغفاره، أما بالنسبة لربّ العالمين فهو «الغفّار»: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾^١، لا يردّ توبة التائبين، بل يقبل التوبة من عباده: ﴿لَمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثَمَّ اهْتَدَى﴾.. يضمّد جرح المجروحين، حين يعودون إليه، ويعمّقون إيمانهم به، ويهتدون إلى طريق الكمال، ويتسابقون على هذا الطريق.. هذا هو المفهوم السامي للمغفرة. لا تأتي المغفرة من الله سبحانه دوننا سعي من أجل نيل هذا اللطف الإلهي.

كلّنا نطمع أن يغفر لنا ربّنا ويدخلنا جنته، في دعائنا نعرب عن هذا الطموح.. بل أكثر من ذلك نذكر ما نأمل الحصول عليه في الجنة من نعم.. من الحور العين ولحم الطير إلى غير ذلك. لكن الله سبحانه يقول إن هذه الجنة «أعدت للمتقين» إنها لهذه المجموعة من البشرية. ومن هم المتقون؟ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ﴾^٢.. في العسر واليسر. هذا من شروط التقوى. الإنفاق هو بذل المال، ولكن أن يكون البذل يسدّ حاجة حقيقية.

فقد يبذل أحدهم الملايين، وقد يكون ظاهر هذا البذل في سبيل الخيرات، لكنه لا يسدّ ثغرة ولا يلبي حاجة، فيكون صاحبه من الأخسرين أعمالاً في تعبير القرآن الكريم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^٣. هناك حاجات ماسّة للمجتمع، وضرورة كضرة الماء والهواء، فإذا أنفقت في غير هذه الحاجات فقد أتلفت مالك. إذن الإنفاق لا يستطيع أن يقوم به إلاّ الأذكاء الواعون.

١- طه/ ٨٢

٢- آل عمران/ ١٣٤ - ١٣٦

٣- الكهف/ ١٠٣ - ١٠٤

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ ما معنى كظم الغيظ؟ إنه عدم الانسياق وراء الأحاسيس، إنه تحكيم العقل في الظروف كلها، غير أن الغيظ أحياناً يقترن بالعقل، فالقرآن يعبر عن المؤمنين بأنهم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^١ هنا الشدة من مظاهر الغيظ. حين يقول القرآن الكريم: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فإنه لا يدين غيظ الأمة على من يجب أن تغتاض منه، بل يطلب أن لا تنطلق مواقف الإنسان وأعماله من الغيظ. وكظم الغيظ غير ترك الشدة في المواقف اللازمة. إنه السيطرة على الأحاسيس كي يكون العمل مقروناً بالعقل والإدراك.

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ العفو عما صدر من الناس من زلات. وهذا العفو من التقوى.. من مظاهر الإنسان الذي يستهدف أن يعيش في الساحة الاجتماعية لإنقاذ المذنبين. شرط أن يكون ما صدر عن الخاطيء لا يعدو أن يكون زلة. أما ما كان عن عناد ولجاج فمن الصعب أن يعفو الله عنه، فما بالك بعباد الله، غير أن العفو عن زلات الناس هو من الإحسان: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

ومن علامتهم المتقين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ فالبقاء في عالم الغفلة لا يطول، بل سرعان ما يتنبه المتقي ويخرج من وادي الغفلة. وفي موضع آخر يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾^٢ ذكر الله حربة بيد المتقين في مواجهة الشيطان. إنه حبل نجاة نعتصم به لننجو من الورطة التي يدبرها لنا أعداء وعينا. ذكر الله له قيمته الكبرى. «فاستغفروا لذنوبهم» سعوا لأن تلتئم جراح روحهم جرّاء ذنوبهم. وهذا لا يكون إلا باللجوء إلى الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾. السعي من العبد والقبول من الله تعالى.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ فالإصرار يحول الزلة إلى ذنب يصعب علاجه. وهؤلاء الذين لم يصروا على ما ارتكبه من ذنب ويسعون للتخلص من لوثتهم ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾: أجر العاملين.. فالعمل من المسائل الهامة في المفاهيم الإسلامية.

الجلسة الثانية

الإيمان (٢)

الجمعة ٣ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٦/٢٩ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ﴾

(الأَنْفَالُ / ٢-٤)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾^١ الأنفال هي الثروات التي تتعلق بعامّة المسلمين، كالذي غنمه المسلمون في الحرب، والغابات، والسهول والمراتع الكبيرة والمناجم، وبعبارة أخرى هي الثروة التي لا تتعلق بفرد خاص وجماعة خاصة، بل هي ملك المسلمين جميعهم. في غزوة بدر نال المسلمون غنائم، واختلفوا في ملكية هذه الغنائم، وجاءوا إلى الرسول (ص)، فنزلت الآية الكريمة: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ما معنى «الله» يعني أنها ليست ملكاً لواحد من عباد الله، وما هو الله يعني في الواقع أن يُنفق على طريق الأهداف الإلهية. وليس لله سبحانه حاجة في هذه الأموال، إنها هي في الحقيقة أموال لعباد الله.. يجب أن تنفق في طريق المصالح العامة التي عينها سبحانه. وهذا هو معنى «الله».

وما معنى «الرسول»؟ هل الرسول (ص) قطب في مقابل الله؟ طبعاً لا. ولكن ذلك يعني تعيين مركزية قوية تكون قيّمة على أمور الناس، وإذا لم تتعين هذه المركزية فإن أية جماعة من المدّعين للملكية هذه الأنفال سيقولون إنّ هذه هي أموال الله، ونحن عباد الله، فهي

ملكنا. إذن لا بد أن يتولى عن الله مَنْ يعين كيفية توزيعها. ومن هو المخول لهذه المهمة؟ هو «الرسول». والرسول هنا لا باعتباره رسولاً ونبياً، بل باعتباره يمثل الحكومة الإلهية. وحين يتوفى الرسول يتولى ذلك الإمام، أي الحاكم الإلهي، وفي عصر عدم تولي الإمام المعصوم حكومة الأمة، فإن الذي يدير أمور الأنفال والثروات العامة هو الإمام العادل الذي بيده زمام الحكومة الإسلامية.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

بعد تعيين ملكية الأنفال، يذكر سبحانه ثلاثة واجبات للمؤمنين.

الأول: تقوى الله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، ومررنا ذكر معنى التقوى في الجلسة الأولى.

الثانية: إصلاح ذات البين: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ تجاوزوا ما بينكم من اختلافات لصالح الحقيقة، أولئك الذين يتفوهون بغير الحقيقة عليهم أن يكفوا عن مواقفهم. اقتصوا على الاختلافات. هناك من يبحثون عن أدنى حجة ليثيروا الشقاق والنزاع. إذا كنتم أهل حرب فحاربوا العدو، لا أن تشبكووا مع ذات بينكم. مع إخوانكم.. مع أصدقائكم.

التوصية الثالثة تتضمن القيام بكل عمل صالح وتجنب كل عمل طالح: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. الإيمان ما وقر في القلب من ارتباط فكري وعقدي ونفسي بمصدر معين. والإيمان ليس هذا فحسب، فالإيمان ليس ما وقر في القلب فقط، بل لا بد أن يصدق العمل. فالإيمان الحقيقي لا بد أن يقترن بما يفرضه الإيمان من التزام. الذي يستطيع أن يقول أنا مؤمن بالله هو من كانت حياته وتصرفاته تختلف عن المنكر والجاحد لله تعالى. كيف يدعي الإيمان مَنْ لا يختلف عن المنكر؟ كلاهما ظالمان، كلاهما غارقان إلى الأذقان في الماديات، كلاهما على استعداد لأن يسحقا كل فضيلة من أجل أن يظلا يومين أكثر على قيد الحياة، ومن أجل أن يأكلا لقمتين أكثر ثم يملآن الجو بالرائحة العفنة، ومن أجل راحة يومين. مع فارق هو أن المنكر يقولها صراحة إنى لا أؤمن بالله، وهذا يدعي الإيمان. أي إيمان هذا؟! الآية الكريمة تقول بصراحة إن شرط الإيمان هو ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ليس في هذا البيان استدلال عقلي كي تعتربه شبهة. أطيعوا أوامر الله.

وما هي أوامر الله سبحانه؟ هي ما قرره الله سبحانه من التزامات ومسؤوليات وتكاليف وواجبات بشأن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وعلاقة الإنسان بالله، وعلاقة الإنسان بالحيوان والنبات، إذا كنت مطيعاً لهذه المنظومة من الأوامر تستطيع أن تقول: إني مؤمن، لا بد أن يجد هذا الإيمان ما يصدقه من عمل في اللسان واليد والجوارح، وإلا فلا جدوى لهذا الإيمان.

الآيات التالية تذكر صفات المؤمنين وشروط الإيمان:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿٣﴾ خمس صفات ذكرت للمؤمنين، قد لا تتوفر هذه جميعاً فينا، لكننا يجب أن نسعى من أجل تحققها في وجودنا.

الأولى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ والوجل هو الخوف. وما معنى هذا الخوف، هل هو من نوع الخوف الذي يعترى المتهم حينما يقف أمام القاضي؟ أم هو من نوع ألطف؟ إذا كان من النوع الأول، فقد يقول قائل: أنا لم ارتكب ذنباً فلا معنى أن أخاف من الله. لأن الخائف أمام القاضي هو من ارتكب ذنباً، وإذا كان بريئاً فلا داعي للخوف، غير أن الخوف من الله هو من نوع آخر، أنه خوف ناتج عن معرفة. حين يقف الإنسان أمام ذات عظيمة وحقيقة جليلة فإنه يصاب بالرهبة. طبيعة الإنسان تقتضي أن يقف مرهوباً أمام الموجود العظيم. هنا الرهبة ليست خوفاً، قد لا يعتريه أي خوف من ارتكاب ذنب، لكنها الرهبة الناتجة عن إحساس بالعظمة وشعور بالصغر أمام تلك العظمة. هذا الوجل من الله مطلوب ومفيد. إنه يشعر أنه أمام الجبار المهيمن، ويدفعه ذلك إلى الالتزام بما أمره الله وينتهي عما نهى عنه، وهذا أكبر ضمان تنفيذي للحركة والسعي لدى الإنسان المسلم والمجتمع المسلم.

لهذا نرى أمير المؤمنين (عليه السلام) حين يتتصف الليل يهب قائماً يبكي أمام الله بكاء الحزين ويتململ تملل السليم، ولهذا نرى الإمام علي بن الحسين السجاد يضحج في بكائه أمام الله، ولهذا نرى رسول الله على عظمتهم وجلاله يطلب في العشرة الأخيرة من شهر رمضان أن يطوى فراش نومه، لأنها ليست ليالي نوم بل ليالي عبادة وتضرع وخضوع أمام رب

العالمين. هذه أعمال تنطلق من معرفة لرب العالمين. لا كما يقول بعض الجاهلين: إن بكاء هؤلاء العظام وتضرعهم إنما هو من أجل أن يعلمونا البكاء والتضرع!! فهو ليس عند هؤلاء الجهلة بكاء حقيقياً، بل يتظاهرون بذلك كي يعلمونا بذلك!! هذا خطأ وجهل، هؤلاء العظام ارتفعوا في معرفة الله حتى امتلأت قلوبهم بالرهبة والخشوع والخضوع، في مثل هذه الحالة ليس الله سبحانه لقلقة على اللسان، وليس كلمة يطلقها الفرد دونها إحساس وشعور بعظمة المسمى. الإنسان العارف بالله المستشعر لعظمته هو الذي تملأ الهيبة قلبه عند ذكر الله ويستولي عليه الشعور بالصغر أمام عظمة الخالق: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

الثانية: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ الإيمان في القلب ينمو، مثل بذرة تنمو وتتحول إلى نبتة ثم شجرة ذات جذور ضاربة في الأرض، بحيث لا يمكن اقتلاعها. الإيمان لا معنى له إذا كان مثل ماء راكد لا حراك فيه. الإيمان المتزعزع.. الإيمان الذي يتزلزل ويتناقص على أثر هزة أو نزق مراهقة أو غيرها يمكن أن يُقتلع في يوم من الأيام. المؤمن الصادق الحق ليس كذلك، إذ إن قلبه يتلقى الكلمة الصادقة، والموعظة الصائبة بتفكير وتدبر فيزداد إيماناً.

ومما تفيد هذه الآية الكريمة أيضاً أن إيمان الإنسان يزداد بتلاوة القرآن الكريم. وهذا يدحض قول القائلين بأننا لا نستطيع أن نفهم القرآن، وأن عقولنا لا تبلغ هذا الفهم، وبذلك يرفضون تفسيره وترجمة معانيه. لو كان الأمر كذلك فكيف تعمل التلاوة على زيادة الإيمان؟! يظهر من ذلك أن القرآن ليس مجموعة رموز وطلاسم. القرآن كتاب تجب قراءته من أجل فهمه، وفهمه بهدف تقوية الإيمان وزيادته: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾. هذه هي الصفة الثانية.

الثالثة: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ من خصال المؤمنين التوكل على الله سبحانه. ما هو التوكل؟ هل يعني الوقوف مكتوفي الأيدي، وإيكال الأمر إلى رب العالمين؟ لا، ليس هذا معنى التوكل، من لا يسخر طاقاته لأداء ما عليه من تكاليف والتزامات ومسؤوليات، وينتظر المعجزة الإلهية، فليس بمتوكل.

هذا النوع من التوكل رفضه القرآن حين تحدث عن بني إسرائيل بلغة التأنيب إذ قالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^١. جالسون في زاوية ينتظرون الفتح ليأتوا بعد ذلك إلى الغنيمة مسرعين. هذا التصرف مرفوض بعيد عن الإنسانية، ولا يليق بالمؤمنين. ما يدور على الألسن أحياناً من قول: بأن الله سبحانه هو الذي يجب أن يصلح الأمور، وليس بمقدور عباد الله أن يفعلوا شيئاً، فهو خطأ. لو أن عباد الله لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً لما أرسل الأنبياء والرسل، ولما دعا الناس إلى اتباعهم. بعث الله سبحانه الأنبياء برسالة ثقيلة إلى ساحة المعركة في هذا العالم ليقتلعوا جذور الفساد، وهم (عليهم السلام) من جنس البشر، إذن اعلموا أن الفساد البشري لا بد أن يُقتلع بيد البشر.

فما معنى التوكل إذن؟ التوكل هو الاعتماد على الله وعقد الأمل عليه في كل الأحوال. والتوكل بهذه الصورة يبعد مفهومه عن حالة التخدير ويجعل منه عامل حركة واندفاع. أولئك الذين يواجهون أزمات ومواقف حرجة، ويتعرضون لعدوان، ويرون في الوقت نفسه أنهم عاجزون عن معالجة الأزمة بالوسائل الاعتيادية يتخذون عدة مواقف: إما أن يستسلموا أمام العدو، يقولون: ما دمنا عاجزين عن المواجهة، فلا بد من الاستسلام. وإما أن يستسلموا أمام الظروف القائمة، هؤلاء لم ينبطحوا أمام العدو على الظاهر، ولكن انجرفهم مع الأوضاع القائمة إنما هو في الواقع استسلام للعدو.

وإما أن يقرروا إنهاء مسيرة حياتهم، فيلجأون إلى الانتحار. ثمة من يتولّى أمور الحكم في بلد معين ثم حين يرى الضغوط الهائلة التي تفرضها عليه قوى الهيمنة العالمية، وما تثيره هذه القوى كل يوم من أعمال تمرد وشغب في بلاده هنا وهناك، حين يعجز عن اتخاذ الموقف الذي يخرجه من الضائقة يلجأ إلى الانتحار.

هذه هي الطرق التي تواجه الإنسان البعيد عن الله سبحانه حين يواجه طريقاً مغلقاً، إما أن يرفع يد الاستسلام أمام العدو، وإما أن ينجرف مع ظروف الواقع المفروض، وإما أن ينهي حياته بالانتحار. لكن الإنسان السائر على طريق الله يفتح أمامه، حين يواجه طريقاً مغلقاً،

سبيلٌ آخر. ما هذا السبيل؟ إنه: التوكل. يقول إني مؤمن بأن الله سبحانه سيجعل من بعد عُسْرٍ يُسْرًا، وستفتح أمامي سبيل اجتياز الطريق المغلق. فليس هناك لدى الله طريق مغلق، فبقدرته تفتح المغاليق وتيسر السبل.

هل هناك طريق مغلق أكثر مما واجهه المسلمون في غزوة «أُحُد»؟ حين كان نفر من جيش المسلمين منشغلين بجمع الغنائم، شنَّ عليهم جيش المشركين هجومًا من جانبيين. ذاك النفر ترك سلاحه لينال الغنيمة غافلًا عن العدو المتربِّص، فواجه هجوم العدو الغاضب المسلح. وفي هذه الأثناء شاع خبر مقتل رسول الله (ص)، وهذا ما تفعله جبهة الشيطان عادة لتشيط عزيمة المؤمنين، يشيعون بأن الأمر قد انتهى ولا فائدة من المقاومة، لكن المتوكلين لا يعبأون بهذه الحرب النفسية، بل ولا يتراجعون جرأً ما أصاب المسلمين من هزيمة. يرون أن توكلهم على الله سبحانه سوف يخرجهم من المأزق، ويفتح لهم ما انسَدَّ من طريق. وفي أُحُدٍ قَرَّ مَنْ فَرَّ، وثبت من ثبت وهم المتوكلون. هذا هو التوكل.

أولئك الذين يفسِّرون معنى التوكل بأنه الوقوف دون حراك أمام المستقبل المجهول رافضين الإيمان بالطاقات الكامنة في الإنسان، ويفهمونه على أنه شطب إرادة الإنسان وقدرته، هؤلاء إما أنهم لم يفهموا معنى التوكل، أو أنهم يفهمونه ولكنهم لا يعون معنىً للشرف الإنساني. يريدون تحريف معنى التوكل كي ينتزعوا من الناس أهم عامل من عوامل الصمود على طريق الحق مهما ادلهمت الخطوب: الإنسان يخلِّق بجناحين قويين في مساعي حياته: الأول الصبر، والثاني التوكل. ومن يمتلك هذين الجناحين ينجو من سهام العدو.

الرابعة: من صفات المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أرجو الانتباه إلى الفرق بين «يصلون» و﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ لو كانت الآية تقصد بإقامة الصلاة أداء ما فيها من ركوع وسجود، لما لزم تعبير ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ ولا كتفت الآية بتعبير «يصلون» فما معنى «إقامة الصلاة»؟ هناك أكثر من احتمال لمعنى الآية، وقد تكون كلها صحيحة.

الأول: أن تؤدي الصلاة بصورتها الشاملة الكاملة. هذا أحد معاني الإقامة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾^١ أي توجه للدين بشكل كامل وبجميع جوانبه. ولو أُدِيت

الصلاة بكل معانيها وتعاليمها لأدى ذلك حتمًا إلى الفلاح والنجاح. (ولقد تحدثت في ذلك المسجد^١ بالتفصيل قبل أسابيع عن عطاء الصلاة). مَنْ أدى الصلاة حق أدائها تهون عليه المشاكل والصعاب.

ولقد سمعتم في حياة أولياء الدين أنهم إذا واجهتهم شدة يلجأون إلى الصلاة. سمعتم أن رسول الله (ص) حين تتفاقم الأزمات والمصاعب يقول: «أرحنا يا بلال». أو يقول: «أبرد أبرد يا بلال»^٢ ففي الصلاة الراحة وفيها البرد والسلام. ومن المؤكد أن المؤمنين ينالون ما وعدهم الله سبحانه إن أقاموا الصلاة بهذا المعنى.

الاحتمال الآخر من إقامة الصلاة، هو أن المؤمنين يقيمون الصلاة في مجتمعاتهم. بعض الناس ينصرفون إلى إقامة صلواتهم ونوافلهم الفردية دون الاهتمام بالحالة الدينية في مجتمعاتهم. يقولون نحن مكلفون بأن نؤدي واجبنا بأداء الصلاة، فلا شأن لنا بالآخرين. مكلفون بأن نقتد أنفسنا من الغرق، وهذا أقصى ما نستطيع، فلا يسعنا إنقاذ الآخرين. هذا اللون من التفكير ليس من الإيمان في شيء. الإيمان يكتمل حين تحمل هم الدين على الصعيد الاجتماعي. أرجو أن لا ينصرف ذهنكم إلى قوالب الألفاظ، وأن لا تفهموا من إقامة الصلاة في المجتمع أن تجعل تاركًا للصلاة مؤديًا لها، بل افهموا إقامة الصلاة أن تجعل المجتمع مرتبطًا بالله وبطريق الله سبحانه. أن تجعل المجتمع يعبد الله دون سواه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وأن يكون اعتماد المجتمع على الله دون سواه، وأن يتبرأ من أئمة الفساد المغضوب عليهم ومن أتباعهم الضالين. هذه هي إقامة الصلاة.

ولو اتجه السعي نحو إقامة الصلاة بهذا المعنى فذلك يعني السعي على طريق عبودية المطلق الحق، والسعي لاقتلاع جذور الفساد، والعمل على إزالة أصنام الذاتية لخلق وحدة اجتماعية وإنسانية بين المسلمين وبين أبناء البشرية جميعهم.

الخامسة: الإنفاق ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، في موضوع الإنفاق تحدثت من قبل كثيرًا، وهنا أكتفي بالقول إن الإنفاق ملء الفراغات وسد الاحتياجات. لو جئتم لطلاء جدران مسجد

١- في مسجد الكرامة بمدينة مشهد.

٢- من لا يحضره الفقيه، أبواب الصلاة وحدودها، باب مواقيت الصلاة، ح ٦٧٢.

هو مطليّ أساسًا، فليس ذلك بإنفاق، لأن الجدران ليست بحاجة هنا إلى طلاء، فالإنفاق ما يسدّ ثغرة ويلبّي حاجة.

وما معنى «مما رزقناهم»؟ أي مما رزقهم الله سبحانه من مال، ومن عُمر، ومن ولد، ومن جاه، ومن إمكانيات بدنية وفكرية وبيانية، ينفقون من كل هذا الرزق وهذه من صفات المؤمنين.

أيها الساعي فيما تراه إنفاقًا؟ هل ما تمدّه من موائد غنية بألوان الطعام والشراب، وتدعو إليها الموسرين هو من الانفاق؟! ويا أيها الخطيب الذي تجهد نفسك في الحديث وتبذل طاقتك في الخطاب، هل كل ما تتفوّه به هو إنفاق، أم لا بدّ أن يُبذل هذا الجهد فيما يحتاجه المخاطبون؟ ويا مَنْ تنفق من ماء وجهك ومن مكانتك لتتوسّط لهذا وذاك، هل فكرت في شرط الإنفاق؟ وأنت يا من تبذل المال باسم الدين، هل ذهب هذا المال لمعالجة تحدٍّ أو ملء فراغ، أم ذهب هدرًا؟

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وأرجو أن تتذكروا ما قلت بأن المغفرة من الله سبحانه تتجه نحو التّام ما نزل بالروح من إصابات وجروح. ولهُؤلاء المؤمنين مغفرة، ولهم رزق كريم شريف، دونما ذلة واستجداء.

قد يُرى مجتمع أنه يعيش في رفاه ورغد، لكنك لو تفحصت حياته لرأيتَه قابلاً في ذلّة وعار ومسكنة. المجتمع الذي يعيش برفعة وشرف وطُهر في حياته هو المجتمع المؤمن الذي يتمتع برزق كريم. كل الشعارات التي تطلقها المدارس الأرضية بشأن كرامة الشعوب وبشأن السلام والحرية والرفاه تتحقق في المجتمع المؤمن، لا بالصراع وسفك الدماء بل بالأخوة والتكافل وارتفاع المستوى الثقافي لأفراد ذلك المجتمع. والحمد لله رب العالمين.

الجلسة الثالثة

الإيمان الواعي

السبت ٤ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٦/٣٠ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

(آل عمران/ ١٩٠-١٩١)

من آية سورة البقرة تتبين عدة حقائق أخرى في دائرة الإيمان. الأولى، أن الخصلة البارزة لرسل الله وأتباعهم هي الإيمان، هي الاعتقاد برسالتهم. وهنا الفرق الكبير بين القادة الإلهيين وسائر حكام العالم. القائد الإلهي يؤمن بأقواله وبمسيرته من أعماق وجوده: بينما سائر ساسة العالم قد يطلقون الشعارات البراقة بأساليب جذابة، لكنهم بما يقولون لا يؤمنون، أو لا يحملون في قرار أنفسهم ما يلزم من إيمان. يروى أن أحد زعماء أكبر بلدان الكتلة الشرقية - وهو من الطبيعي يحمل فكرًا إحدائيًا ويرفض كل مدرسة غير المدرسة المادية - زار الهند بعد إعلان استقلالها، ليستقطب قلوب الملايين من الهنود الذين تحرّروا حديثًا. لقد أثار دهشة الهنود حين رأوا أن هذا الزعيم الشيوعي يحمل على جبهته صورة «تيلاك». وتيلاك زعيم روحي هندوسي يعتبر من قادة حركة تحرير الهند.

بالمناسبة قادة تحرير الهند كانوا جميعًا، خلال تسعين عامًا من حركة التحرير، رجال دين. منهم المسلمون مثل مولانا شاه محمود دهلوي (ومولانا لقب يطلق على رجال الدين مثل:

سماحة الشيخ، وآية الله) ومولانا محمود الحسن، ومولانا أبو الكلام آزاد، ومولانا محمد علي، ومولانا شوكت علي. ومنهم غير المسلمين من رجال الدين مثل المهاتما غاندي، وهو من أتباع مدرسة روحية هندية قديمة.

أعود إلى حديثي وأقول إن «تيلاك» زعيم روحي هندي، توفي قبل تحرير الهند، لكنه ارتسم في أذهان الهنود باعتباره قائدًا روحياً لتحرير الهند. وبعد استقلال الهند، يأتي هذا الزعيم الشيوعي ليتظاهر أمام الهنود بولائه لتيلاك!! مع كل ما يحمله هذا الشيوعي من فكر يتناقض تمامًا مع روحانية تيلاك.

هذا هو شأن الساسة الذين لا يحملون مسؤولية إيمانية تجاه مدرستهم، أما الأنبياء فهم مؤمنون برسالتهم بكل وجودهم. يقفون في الصف الأمامي فيما يدعون إليه. لا يدعون الناس إلى هدف دون أن يكونوا في طليعة الساعين إليه، ليسوا من النوع الذي يطلبون من شعبهم أن يضحي ويبدل وهم في رغد من العيش ماكتون دونها حراك. من حقّ الناس في هذه الحالة أن يشككوا في نوايا هؤلاء الزعماء، من حقهم أن يقولوا: لو كنتم صادقين لنزلتم أتم أيضًا إلى الساحة.

القادة الإلهيون يحملون راية الدعوة في مقدمة الصفوف. إبراهيم الخليل يؤكد أنه في طليعة من استسلم لرب العالمين: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^١. رسول الله (ص) كان مع الصحابة يخوض معارك الإسلام مع الشرك، ولاقى ما لاقى في سبيل الدعوة، وكان في مقدمة الصحابة تحملاً للأذى والمشاق. هذه هي من خصائص الأنبياء والسائرين على طريقهم. مؤمنون بكل وجودهم، وعاملون بما هم به مؤمنون: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾^٢. إنها قافلة واحدة تسير على طريق واحد، وبقيادة واحدة، وتجاه هدف واحد: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾، وهذه العبارة الأخيرة هي على لسان المؤمنين. الأنبياء محترمون بأجمعهم إبراهيم وعيسى وموسى ويعقوب وجرجيس ونوح... يبشرون كلهم بمشروع واحد: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾.

١- الأنعام/ ١٦٣

٢- البقرة/ ٢٨٥

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي تلقينا رسالة الأنبياء بوجودنا كلّه، و«سمعنا» أي فتحنا منافذ فهمنا ووعينا، «وأطعنا» والسياق يعني أن هذه الإطاعة تمت عن وعي وفهم، وليست إطاعة عمياء. وماذا يتوقع المؤمنون بعد أن استوعبوا رسالة الأنبياء، وانخرطوا فيها عملياً؟ يتوقعون الغفران: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، وستحدث عن هذا المصير في بحثنا عن المعاد في هذه السلسلة من الأحاديث بإذن الله.

مما تقدم فهمنا أن الإيمان من خصائص المتتمين إلى الدعوة الإسلامية. مَنْ كان إمعة، من يقول أنا مع الناس أينما ذهبوا فهو ليس من دائرة المؤمنين. لا بد أن يكون للإسلام والقرآن مكانة خاصة في قلوب المؤمنين وعقولهم، لا بد أن تستولي العقيدة على شغاف قلوبهم وتحيي أفتدتهم بنور الإسلام. هذا هو الأمر الأول.

والأمر الثاني، أن هناك من يرتبط بالدين عن تقليد وعصية، هؤلاء رأوا آباءهم على طريقة وهم على آثاهم مقتدون، دونما برهان ودليل. والمتعصبون يرتبطون بالدين دونما وعي وإدراك، وتراهم يخالفون الدين أحياناً لأنهم يرون ما ساور ذهنهم هو الدين. لا يعبأون بما يقوله الله ورسوله بل يتمسكون بما رسخ في أذهانهم. والتعصب قد يطال من تتوقع منه أن يكون على مستوى أرقى من الفهم. وهذا مشهود في أوساطنا اليوم. ومثل هؤلاء منغلَقون على أنفسهم، لا يفتحون على الآخر، بل يرون ما يفعلونه هو الصواب، وما يفعله الآخر مرفوض عندهم، دونما دليل.

ولابد من التأكيد على أن الإيمان في الإسلام لا يكون عن تقليد أو تعصب، فمثل هذا الإيمان لا قيمة له في ميزان الدين المبين. وهو عرضة للزوال أو الانحراف. الأخطار التي تهدد الإيمان الإسلامي اليوم كثيرة، والسهام الموجهة إلى معتقدات المسلمين هائلة، ولا يمكن للإيمان التقليدي أن يصمد أمامها. لابد من إيمان راسخ قائم على أساس وعي وشعور وإدراك كي يصمد أمام الإغراءات والشبهات. كما لا يمكن حصر المجتمع خلف جدران لا يصل إليها تأثير العدو المتربص، فلا بد أن يكون إيمان الأمة عن شعور وانتخاب ووعي كي يقاوم التحديات. إذا أردنا الحفاظ على الإيمان عن طريق منع الفرد عن كل مؤثر خارجي، فهو مستحيل اليوم، لابد من إيمان قائم على انتخاب واع، عندئذ سيكون راسخاً،

وسيكون لمن يحمل هذا الإيهام مثل مواقف المسلمين الأوائل كعمار بن ياسر وخباب بن الأرت وأمثالهما، لا يتراجع مهما واجه من مصائب ومصاعب ومغريات.

وهذه آيات من أواخر سورة آل عمران توضح لنا الإيهام الواعي.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ آيات الله لا يستوعبها إلا ذوو الأبواب، إلا أصحاب العقول المنفتحة. وذوو الأبواب ليسوا مجموعة خاصة من البشر، بل إن أبناء البشرية بأجمعهم قد خلقهم الله سبحانه ليكونوا ذوي أبواب. ولكن المشكلة هي أن من الناس من لا يستخدم عقله، فيظل راكداً، يتراكم عليه الصدأ ويفقد قدرته على النظر الصحيح. إذا تركت سيارتك دون حركة لمدة طويلة، فإن محركها يصدأ، أو لا يعمل بشكل صحيح، والمحرك ليس مقصراً هنا، بل هو عدم التشغيل والاستخدام. أولوا الأبواب هم الذين يستثيرون قواهم الفكرية والعقلية، ولا يتركونها عاطلة.

ومن هم أولوا الأبواب؟ قد يخطر في الذهن بادي الرأي أنهم الأذكياء السابقون في أعمالهم الاقتصادية والإدارية والسياسية، وأنهم الذين يتفوقون على منافسيهم في شتى المجالات. القرآن يرفض هذا اللون من فهم معنى اللب وأولي الأبواب، ويرى أولي الأبواب من خلال القيم الكبرى التي تميز الإنسان، وهي الارتباط بالله سبحانه. في تعريف أولي الأبواب يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾، وليس ذكر الله هنا على طريقة الدراويش، وليس الاكتفاء بلقلقة اللسان، بل هو الذكر الذي يستتبعه الشعور بالمسؤولية في الحياة، ويدفع إلى العمل بهذه المسؤولية.

وتوضح الآية ذلك إذ تقول: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أهم محور في المنظومة الفكرية للمدرسة الإسلامية هو ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ هذه قاعدة للحياة الفردية والاجتماعية. هذا الكون لم يُخلق باطلاً، بل خُلق لهدف معين، وفق نظام معين يجعل الإنسان أمام مسؤولية، وأمام سلوك خاص

ينسجم مع هذا النظام الهادف. وإذا سار خلاف هذا النظام يتعرض إلى غضب الله وغضب المنظومة الكونية: ﴿سُبْحَانَكَ قَبِينَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

إذن من خصال الإيمان التفكير في الكون والحياة، والخروج من هذا التفكير بنتيجة هي أن خلق السماوات والأرض كان وفق نظام وهدف يستوجب مسؤولية وسلوكًا خاصًا ينسجم مع هذا النظام، ومن خرج عن هذا النظام فإنه مهزوم لا محالة، إذ لا يوجد في الكون من يحميه وينصره: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

ومن خصال الإيمان الأخرى أن المؤمنين يستجيبون لنداء الدعوة إلى الإيمان، سواء كان صاحب الدعوة نبيًا وهو الداعي الظاهر، أو كان التفكير والعقل وهو الداعي الباطن، فهم يتجهون إلى الإيمان عن وعي وتعقل. وهذا هو الإيمان المطلوب في الإسلام: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ فقد استجبنا لنداء التكوين.

وفي سياق الآيات التي تذكر الإيمان القائم على الوعي، ورفض ذلك الإيمان المقرون بالتقليد والتعصب، يذم القرآن أولئك الذين يلغون قدرة تفكيرهم ويرفضون ترك ما ألفوه من نهج حتى لو كان ذلك النهج لا يقوم على علم ولا على هدى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا لَإِٰبَائِهِمْ لَآ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^١. هؤلاء هم الرجعيون والمتحجرون الجامدون القابعون على ما ألفوه من عادات وتقاليد موروثة حتى لو كانت متعارضة مع العلم ومع هداية رب العالمين. وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا في زمرة المؤمنين.

والحمد لله رب العالمين

الجلسة الرابعة

الإيمان المعطاء

الأحد ٥ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٦/٣١ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾
(الحج/ ٧٨)

من المسلم به أن الإيمان في رأي القرآن ليس أمرًا قليلًا فحسب، صحيح أن الإيمان اعتقاد، والاعتقاد يرتبط بالقلب، لكن القرآن لا يؤيد كل لون من الإيمان، لا يؤيد الإيمان المجرد الذي لا تظهر آثاره على جوارح المؤمن وأعضائه. لا قيمة لهذا الإيمان في المنظور الإسلامي. لو كان لهذا الإيمان قيمة لكان إبليس أول المؤمنين. لقد كان إبليس قبل خلق آدم من العابدين، لكنه سقط حين تعرضت عبادته لامتحان عملي. ولذلك اخترنا لحديثنا عنوان: الإيمان المعطاء. الإيمان مثل نبع يفيض بالعمل. الإيمان لا بد أن يقترن بالالتزام والعمل وبالشعور بالمسؤولية.

ذكر الإيمان في القرآن مقرون بالعمل الصالح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. وبدون هذا الاقتران لا ينفع الإيمان شيئًا لا في الدنيا ولا في الآخرة.

إذا لم تحس في وجودك بالتزام فشك في إيمانك. والمجتمع غير الملتزم بما يلزمه الإيمان فليس بمجتمع مؤمن. المجتمع المؤمن هو الذي يشعر باستعلاء الإيمان ولذلك قال سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^١. وإذا رأيت مجتمعًا مسلمًا لم تتحقق فيه

مقولة «الأعلون»، بل هو في أحط درجات الذلة والانحطاط والخضوع فاعلم أنه تخلى عن العمل وعن تحمل مسؤوليات الإيمان. لا تقل إننا موعودون بتحقيق العلوّ في عصر ظهور الإمام المهدي المنتظر (صلوات الله عليه)، فالوعد الإلهي هذا يتحقق في زمان المهدي وفي كل زمان يقترن فيه الإيمان بالعمل.

لو كان الإقرار بنبوة رسول الله (ص) كافياً في الإيمان، لكان أبو لهب والوليد بن المغيرة المخزومي من أول المؤمنين. ذلك أنهم أقرّوا أنّ ما سمعوه من كلام النبي ليس بكلام بشر، لقد أقرّوا بذلك مدعين، وأخبروا رهطهم بذلك، ولكننا لا نعتبرهم مؤمنين، لأن مثل هذا الإيمان لا قيمة له بسبب عدم التزامهم بلوازم الإيمان.

لو كان القبول القلبي كافياً في الإيمان لكان عمرو بن العاص من أول الموالين لأمر المؤمنين علي (عليه السلام). لأنه شهد الغدير أو سمع خبره ممن رآه، وأنشد في أمير المؤمنين شعراً، وروي أنه شعر بما ارتكبه من جرائم لدن حضرته الوفاة فقال: «أصلحت معاوية دنياه، وأفسدت ديني، آثرت دنيائي وتركت آخرتي، عمّي عليّ رُشدي حتى حضرني أجلي». فابن العاص كان مؤمناً بأن الحق مع علي (عليه السلام)، لكن هذا الإيمان لم يقترن بالعمل، فكان مع معاوية في حربه مع علي (عليه السلام).

نعود إلى أنفسنا ونقول: نحن مؤمنون بالإسلام وبنبي الإسلام وبإمامة أمير المؤمنين، فهل نحن ملتزمون بلوازم هذا الإيمان؟

إذا لم يكن إيماننا مقروناً بالالتزامات العملية، فلا يمكن أن نتوقع أن ينالنا عطاء الإيمان. يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^٢. الإيمان غير المقرون بالالتزام، والذي لا يدفع إلى نصره المؤمنين، فليس عطاؤه مضموناً، وليس من طبيعة الكون أن ينصر صاحبه.

ثمة أفكار موهومة أشيعت في أوساطنا، ولقيت ترحيباً من النفوس التي تميل إلى البطر والراحة والاسترخاء، وتتجه هذه الأفكار إلى التبشير بالجنة دونها عمل وفق معادلات

١- أورد العلامة الأميني في كتابه «الغدير» قصيدة لعمرو بن العاص يرد فيها على معاوية.

خاطئة. على سبيل المثال ثمة تفسير خاطئ لمعنى الشفاعة يغري الإنسان بالكسل وترك العمل، بينما أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يؤكدون في مواقف كثيرة أن شفاعتنا لا تُنال إلا بالعمل.

الإمام السجاد علي بن الحسين (عليه السلام) كان يعمل بشكل دائم لاعتلاء الحق والحقيقة في المجتمع، ثم يقف أمام الله خاشعاً متضرعاً باكياً يناجي ربه بأعذب المناجاة، فيسأله أحدهم: إنك ابن رسول الله وابن بنت نبيه، فلماذا كل هذا التضرع والبكاء؟! يوضح الإمام أن ما يصدر عنه من بكاء وتضرع هو لجلاء الروح، ولشحن العزيمة، ولزيادة الارتباط بمصدر القوة والعزة أي الله سبحانه. ثم يقول للسائل: «دَعَّ عَنِّي حَدِيثَ أَبِي وَأُمِّي وَجَدِّي.. الجنة للمطيعين»^١. هذه هي المعادلة الصحيحة لدخول الجنة والعمل وفق ما أَرَادَهُ اللهُ سبحانه.

تأكيدنا على مسألة ارتباط الإيمان بالعمل سببه هو الذهنية التي سادت منذ قرون بشأن ما قيل إن الإيمان أمر قلبي لا تضرَّ معه معصية وانحراف وعدم التزام، ولاقت رواجاً في الأوساط المرتخية البطرة اللاهثة وراء العافية. ولعل بداية شيوع هذه الذهنية كانت على يد معاوية بن أبي سفيان. أوصى حين حضرته الوفاة أن توضع في كفنه أشياء قال عنها إنها من أثر رسول الله (ص): لباسه وقلامه أظافره وشيء من شعره.. هذا الذي ارتكب ما ارتكب في حياته من أعمال خالف فيها كتاب الله وسنة رسوله وسار بالمسلمين بالإثم والعدوان يتوقع بهذه الطريقة أن ينال شفاعته الرسول!!

لسنين طويلة جرت محاولات إشاعة فكرة الإسلام بدون عمل، والإيمان بدون عمل، وأن دليل الإيمان يكمن في القلب لا بالعمل، بينما القرآن الكريم يكرر القول أن لطف الله سبحانه لا يناله إلا العاملون، وغير العاملين ليسوا بمؤمنين ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾^٢.

نعود إلى آيات سورة الحج المذكورة في بداية المحاضرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^٣، ترى هل

١- مناقب آل أبي طالب، باب إمامة علي بن الحسين، فصل في زهده.

٢- النور/ ٤٧

٣- الحج/ ٧٧

بمنطق هذه الآية يتحقق الفلاح دون ركوع وسجود وعبادة وفعل الخيرات؟!!

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ ولكلمة «حق جهاده» معنى كبير، إنها تعني أن يكون العمل في سبيل الله على رأس قائمة أعمالنا واهتماماتنا. أن لا نغرق في الأعمال اليومية والهموم الصغيرة وننسى مسؤوليتنا أمام رب العالمين، أن يكون عملنا كبيراً يتناسب مع عظمة رب العالمين، وأن تكون همومنا كبيرة تتناسب مع عظمة الرسالة الإسلامية.

﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ هذا الاجتباء أو الانتخاب لأمة الإسلام يعني أنها مختارة لحمل أعباء الرسالة والجهاد حق جهاده. ليس هذا الاجتباء من النوع الذي ذهب إليه اليهود معتقدين أنهم شعب الله المختار، لقد ذم القرآن أولئك الذين يعتقدون أنهم أحباء الله وأوليائه بل أبناءه، فلا تنال ولاية الله إلا بالعمل. لقد شاء الله سبحانه أن يختار أمة الإسلام لمهمة كبرى، كما اختار قبل الإسلام بني إسرائيل لهذه المهمة الكبرى.

نحن اليوم إذا أردنا أن نوكل مهمة كبيرة لشخص فإننا نختار الأقوى بنية والأكفأ عملاً والأكثر همّة. فإذا استطاع أن ينهض بهذه المهمة فقد فاق الأقران. وإن لم يفعل فلا فضل له على الآخرين. واجتباء أمة الإسلام ومن قبلها بني إسرائيل هو من هذا القبيل. بل إن التخلي عن حمل المهمة كما تخلت بنو إسرائيل يؤدي إلى ما قاله القرآن الكريم عنهم: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾^١.

﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ مهها عظمت المسؤولية فهي على مستوى ما منحه الله للإنسان من طاقات، فلم يكلفه فوق طاقته.

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ إنه دين إبراهيم (عليه السلام) ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ إشارة إلى دعاء إبراهيم: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ﴾^٢ وهذه المسؤولية وضعناها على عاتقكم، لماذا؟ ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فالمسؤول عنكم هو الرسول (ص) وأنتم تحملون مسؤولية البشرية جمعاء. فالأمة المسلمة تحمل مسؤولية الشهادة على البشرية كلها، مسؤولية قيادة الساحة الإنسانية وإدارتها. أنتم قادة هذه القافلة، فلا تغفلوا عنها.

١- البقرة/ ٦١

٢- البقرة/ ١٢٨

وإذ كانت هذه المسؤولية بهذا الحجم وبهذا الثقل فلا بد أن تعدّوا أنفسكم لهذه المهمة: ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

ارتبطوا بالله عن طريق الصلاة، وحاربوا شحّ نفسكم بإيتاء الزكاة، واعتصموا بالله واعتمدوا عليه ولا تخشوا أحداً إلا الله. فهو مولاكم وسيدكم وحارسكم (وستحدث في مناسبة أخرى عن معنى المولى في هذا الموضوع من القرآن ومواقع أخرى).

الالتزام بالصلاة والزكاة والاعتصام بحبل الله من المستلزمات العملية للإيمان، وفي الآيات الأخيرة من سورة الأنفال يتكرر التأكيد على هذه الالتزامات. وأما ما ذكرته الآية ٧٢ من سورة الأنفال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ والهجرة تعني الانقطاع عن كلّ الانشادات الصغيرة من أجل هدف كبير، من أجل الارتباط بالمجتمع الإسلامي.

المهاجرون الأوائل انقطعوا عن ارتباطاتهم وانشاداتهم بالمال والمتاع والأهل والعشيرة واتجهوا إلى المدينة، غير مباليين بما فعله المشركون من نهب أموالهم في مكة، متحملين ألوان الحرمان وأقسى المعاناة، غير أن المهمة كانت كبيرة، مهمة إقامة المجتمع المسلم، وكل مهاجر كان يشكل لبنة من هذا المجتمع الجديد. ولذلك ذكرهم القرآن هم والذين آوهم ونصروهم من الأنصار بأنهم أعضاء جبهة واحدة متحدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فهم متآزرون متناصرون مثلهم كمثل بنيان مرصوص يشدّ بعضه بعضاً.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ هؤلاء الذين لم يلتزموا بما يلزمه الإيمان من معاناة وتضحية ليسوا منكم، وليست بينكم وبينهم ولاية حتى يلتزموا بما يلزمهم الإيمان من مسؤوليات، «حتى يهاجروا».

صدق الإيمان يتبين من هذا الالتزام فالمهاجرون والمناصرون ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^١ وغيرهم في ادعائهم الإيمان كاذبون.

والحمد لله رب العالمين.

الجلسة الخامسة

الإيمان والالتزام بالمسؤوليات

الاثنين ٦ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/١ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ
بَيْنَهُمْ أَنْ يُقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْقَائِمُونَ ﴾﴾

(النور / ٥١-٥٢)

ثمة مسألة هامة في حقل الإيمان هي إن التزام الفرد المؤمن بإيمانه ثابت لا يتغير بتغيّر هوى ذلك الفرد، أي أن لا يكون إيمانه مرتبطاً بمصالحه الشخصية الضيقة، يلتزم بالإيمان متى ما اقتضت تلك المصلحة أن يكون مؤمناً، ومتى ما تعارضت مصالحه مع الإيمان يتخلّى عن الالتزام. وهنا نشير إلى أن المقصود بالمصلحة الذاتية هي المصلحة العدوانية التي تدفع الإنسان إلى أن يضحّي بالمصالح العامة من أجل مصلحته. والقرآن يصرح بأن مثل هؤلاء ليسوا مؤمنين. ذكرنا من قبل أن الإيمان يجب أن يكون مقروناً بالالتزام، وإن لم يكن مقروناً بالالتزام العملي، أو بالعمل الصالح بالتعبير القرآني، فلا يكون ذلك الإيمان منتجاً لا على مستوى الفرد ولا على مستوى المجتمع. والحقيقة الأخرى أن هذا الإيمان لا بد أن يكون ثابتاً ومستمراً لا أن يدور حول محور المصالح الذاتية التي أسمىها العدوانية تفريقاً بينها وبين المصلحة المشروعة الطبيعية.

المؤمن من التزم بأحكام الله جميعها وبصورة دائمة ومستمرة في حياته. والإيمان بالرسالة أن يكون ملتزماً بسيرة رسول الله (ص)، لا أن يظهر عليه حماس الالتزام في ساعة الرخاء، ثم يغيّر

المسير فى ساعة المهام الصعبة، لا أن يكون «أسدٌ عليّ» وفى الحروب نعامه». ولقد ذمّ الله سبحانه وتعالى اليهود الذين أخذ سبحانه ميثاقهم: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ ولكن ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ هذا التناقض فى المواقف يذمّه القرآن ويقول: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^١.

وفى أحاديث أئمة أهل البيت كثير من مثل هذا التأكيد، وخاصة فى باب أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^٢.

معاوية بن أبى سفيان كان يلجأ إلى المصحف متى ما اقتضت مصلحته ذلك، وكلكم تعرفون قضية رفع المصاحف على الرماح فى صفين، بل كان أيضاً يستخدم فرائض الدين مصلحياً ويؤم الناس فى الصلاة!، وأكثر من ذلك كان لا يأبى مصلحياً أن يذكر فضائل أمير المؤمنين علي بن أبى طالب^(ع)، فيطلب الوافد عليه الأمان فيما إذا ذكر هذه الخصال، فيعطيه الأمان، ويبدأ الوافد بذكر فضائل الإمام ومعاوية يؤيده!! يريد بذلك أن يستقطب عواطف الجماهير الموالية لأمير المؤمنين.

أما حين يرى أحكام الدين لا تتناسب مع مصالحه العدوانية، فإنه يضع كل قيم الإسلام من عدالة اجتماعية واقتصادية وسياسية وتنمية فكرية للمجتمع وراء ظهره ويعرض عنها الإعراض كله.

وأنا أضرب المثال بمعاوية لكي نقوم أنفسنا نحن بهذا المحك، ونعرف ما إذا كنا نحن أيضاً نقبل من الدين ما يتفق مع أهوائنا ونرفض ما خالف مصالحنا الضيقة التى أسميناها المصالح العدوانية.

الدين الذى جاء به رسول الله^(ص) هو دين التعليم والتزكية وتنمية العقول والنفوس:

١- البقرة/ ٨٤ - ٨٥

٢- انظر الكافي، كتاب الجهاد، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح ١ وكتاب الوافي، للفيض الكاشاني، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ﴾^١. إنه الدين الذي يكافح ما كان عَقَبَةً أمام العقل والفهم والوعي. هذا هو الدين.. إنه الصحة والوعي والفهم والتعقل لا كما قال بعضهم: «الدين أفيون الشعوب». تخدير الناس وإبعادهم عن قواهم العقلية وعن وعيهم ليس من الدين بشيء.

أمير المؤمنين علي^(ع) يقول في حديثه عن هدف بعثة الأنبياء^(ع): «ويثيروا لهم دفائن العقول»^٢ أي تفجير الطاقات الفكرية، وإزالة ماران عليها من ركام العصبية والأوهام وآثار الاضطهاد. وكل ما كان عائقاً أمام هذا الهدف فهو يتعارض مع هدف الأنبياء.

خطاب الأنبياء يتجه إلى فكر الناس وعقولهم، وكلما كان فكر المخاطبين وعقلهم أدق كان قبولهم لهذا الخطاب أكثر. ومهمة الأنبياء رفع المستوى الفكري والعقلي للناس، وكل ما يحول دون أداء هذه المهمة فهو يتعارض مع الدين. وأولئك الذين يريدون أن يسيروا في خط متعارض مع الدين يعمدون إلى تجهيل الناس وتحميقهم، وإبعادهم عن مصادر معرفتهم ووعيهم.

وفي حوار بين ابن عباس و معاوية بشأن نهى معاوية عن التعامل مع القرآن، يقول ابن عباس:

أتنهانا عن قراءة القرآن؟ معاوية: لا. ابن عباس: أفتنهانا عن تأويله؟ معاوية: نعم. ويعود ابن عباس للسؤال مستنكراً: نقرأه ولا نسأل عما عنى الله به؟ يجيبه معاوية بما يوحى بأن ابن عباس كان يقدم القرآن بما يخالف هوى معاوية وهدفه في التخدير والتحميق: سل عن ذلك مَنْ يتأوله على غير ما يتأوله أنت وأهل بيتك! يجيبه ابن عباس: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي. أنسأل عنه آل أبي سفيان؟!^٣

لا يريد معاوية أن يرتفع الناس في مستوى فكرهم وفهمهم. ذلك لكي يحكم كيف شاء،

١- آل عمران/ ١٦٤

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم ١.

٣- كتاب سليم بن قيس الهلالي، ح ٢٦.

ويفعل ما شاء، ولذلك نرى في قائمة أعماله قتل الصالحين من أمثال حُجر بن عدي^١ أو رُشيد الهجري^٢، وتعامله الفظيع مع أمثال ميثم التمار^٣. وكل ذلك من أجل أن يحول دون تقدم المسيرة الإسلامية، ودون نموّ هذا الوليد (الإسلام) الذي لم يمض من عمره أكثر من عشرين سنة. كان يريد إيقاف المسيرة، بل أن تتخلف هذه المسيرة.. ومحاولته لتخلف المسيرة كانت تتلخّص في مسح أخلاق الناس، وهو داء ما كان بالإمكان معالجته بسهولة. لقد حاول الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز^٤ بعد ثلاثين سنة من ذلك أن يصلح الأمور، فلم يستطع، ولم يبقوه في منصب الخلافة أكثر من سنتين، إذ قتلوه مسموماً. تروى الأعاجيب عمّا أصيبت به الأمة عامة، وخاصة الشام التي كانت تحت سيطرة معاوية مباشرة من جهل.

أذكر على سبيل المثال – وهو غيض من فيض – أن عبد الملك بن مروان أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي لمحاربة عبدالله بن الزبير، وكان عبدالله قد تحصّن في البيت الحرام، واستطاع الحجاج أن يستولي على البيت الحرام وعلى جبل أبو قبيس المحاذي للحرم، فكتب إلى الخليفة: أننا استعظنا بحمد الله أن نستولي على جبل أبو قبيس. فنودي بالصلاة جامعة في دمشق، واعتلى الخطيب المنبر وأعلن أن الحجاج قائد الخليفة قد استولى على أبو قبيس. فتعلت الأصوات في المسجد مشككة في الخبر وكلها تقول: لا، لا نقبل هذا الخبر إلاّ أن تأتونا بأبو قبيس الرافضي مخفوراً، لنراه بأم أعيننا. هؤلاء تصوروا بأن أبو قبيس رجل رافضي في مكة!! هكذا كان مستوى معلومات الناس وإدراكهم.

من هو المسؤول عن هذا الهبوط في مستوى وعي الناس؟! هل كان وعاظ السلاطين من

١- حجر بن عدي، صحابي، زاهد ورع شجاع مجاهر بالحق مقاوم للظلم، ومن أصحاب أمير المؤمنين علي، قُتل هو وأصحابه في الشام بمرج عذرا على يد معاوية.

٢- رشيد الهجري، صحابي، ومن خواص أصحاب أمير المؤمنين والحسن والحسين، قتله عبيد الله بن زياد بالصورة التي أخبره أمير المؤمنين، قطعوا يديه ورجليه وصلبوه ودفن في العراق بين مدينتي الكوفة والحلة.

٣- ميثم بن يحيى التمار، من خواص صحابة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^٥، استشهد بأمر من ابن زياد بعد قطع يديه ورجليه ولسانه ليتبرأ من علي بن أبي طالب.

٤- عمر بن عبدالعزيز، الخليفة الأموي في عصر الإمام السجاد، عرف بعدالته، وبمعرفته بمنزلة أهل البيت. منع سب علي على المنابر وأعاد فدك إلى أهل البيت، وألغى منع كتابة الحديث.

أمثال شريح القاضي^١!؟ الواقع أن الذي استقطب هؤلاء المأجورين ليتخذوا مواقف معادية لمسيرة القرآن هو معاوية. فالمسؤولية بالتالي تقع على عاتق هؤلاء من بني أمية وبني العباس وغيرهم من الذين يتظاهر ون أحياناً بالدين!

وأعود فأقول إن القرآن لا يعتبر أولئك الذين يتأرجحون بين الإيمان والإعراض عن الإيمان، لا يعتبرهم مؤمنين، وفي حياتنا الحاضرة أمثال هؤلاء كثير، فالإيمان ما وَقَرَّ في القلب وصدقه العمل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾. كل ما وعده الله سبحانه وتعالى للمؤمنين إنما هو للمؤمنين الذين يقرون إيمانهم بالعمل الصالح بشكل متواصل وبثبات على طريق المبدأ، وإذا لم نر في إيماننا تحقيقاً لما وعده الله للمؤمنين، فإن ذلك يعود إلى أن هذا الإيمان ليس من النوع الذي يتحقق فيه ما وعد الله المؤمنين.

أعود إلى ما أردنا الوقوف عنده من آيات^٢:

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾ والنص يؤكد أن آيات القرآن مبيّنات، وهذا ردّ على أولئك الذين يجرمون أنفسهم من فهم القرآن، فهم يصدّون عن هذا التبيين.

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وما معنى: «يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»؟ هل يعني أنه سبحانه يريد الهداية لفرد ولا يريد لها لفرد آخر؟! هل تعني أن الفرد مسلوب الإرادة تجاه نيل الهداية الإلهية؟ كلا.. إرادة الله ومشيئته — في الأمور الاعتيادية — لا تظهر إلا في إطار العلل الطبيعية. لو قررت أنت أن تسير على طريق الهداية فإن الله سبحانه شاء أن تسير على هذا الطريق، وإذا تقاعست أنت عن المسير في طريق الهداية وأوصدت أبواب الفهم والإدراك عليك، فإن الله أراد أن لا تفهم ولا تدرك. إذا وفّرت أنت العلل والمقدمات بإرادتك للحصول على المعلول، فإن الله تعالى شاء ذلك. وإذا أنت لم تفعل ذلك، فمن الواضح أن الله لا يريد ذلك، لا أن مشيئة الله اقتضت أن لا تريد ذلك. أنت في إرادتك مختار، ومعنى: لم يشأ الله ذلك هو أن العلة اللازمة غير متوفّرة.

١- شريح بن حارث، ولي قضاء الكوفة في زمن الخليفة الثاني، التحق بعبيد الله بن زياد بعد دخوله الكوفة، وأفتى بهدر دم الحسين، ثم أصبح من بطانة الحجاج.

ولماذا نقول: إن الله لم يرد ذلك حين تكون العلة غير محققة. ذلك لأن الله سبحانه هو موجود العلة وهو خالق الخواص في العلة. إذا مدت يدك إلى نار مشتعلة، فإنها تحترق، والله شاء أن تحترق. وإذا أبعدت يدك عن النار فإنها لا تحترق، وشاء الله أن لا تحترق. فالاحتراق يحدث حين تتوفر علته الطبيعية. وعدم الاحتراق يحدث حين لم تتوفر العلة الطبيعية، كأن لم تمد يدك إلى النار، أو كانت اليد مبتلة، أو كانت النار خافتة. ولماذا ننسب الظواهر المرتبطة بعلتها إلى الله. ذلك لأن الله سبحانه هو خالق العلة. وهذا معنى «من يشاء» في مواضع القرآن كلها. ولقد فصلنا القول في ذلك في مناسبات أخرى، ونكتفي هنا بالإشارة إليه.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ هؤلاء يدعون الإيمان بالله وبالرسول، ويدعون الطاعة، لكن فريقاً منهم يعرض عن ذلك. وليس الحديث هنا عن الكفار ولا عن المرتدين الذين يخرجون فجأة من دائرة الإسلام، لا، إنه حديث عن هؤلاء المؤمنين العاديين في المجتمعات الإسلامية. ثم يقول سبحانه:

﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بكل وضوح وصراحة ليس هؤلاء بمؤمنين.

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرَضُونَ﴾ ظاهر الآية يدل على حكم القضاء، فهؤلاء يابون أن يذهبوا إلى الرسول ليقضي بينهم. غير أن مضمون الآية عام، لا ينحصر الأمر بحكم القضاء، ويشمل الإعراض عن أوامر الرسول (ص) في غير مواضع القضاء أيضاً.

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ أي ينصاعون إلى الله ورسوله حين يكون الأمر لصالحهم، وحين يحتلمون أن يكون الحكم بضررهم فإنهم يعرضون عن الدين. والقرآن الكريم يستجوب هؤلاء، لماذا يعرضون عن الدين حين يكون الحكم بضررهم؟ يعود ذلك إلى ثلاثة أسباب:

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ هؤلاء إما أن يكونوا مرضى القلوب. ومصابين بمرض النفاق، أو مرض الأهواء، أو مرض الجهل والغرور. أو أن يكون الأمر أكبر من ذلك؟!

﴿أَمْ أَرْتَابُونَ﴾ فهؤلاء قد يكونون قد شكوا في الدين أصلاً. إذا لم يكونوا شاكين في الدين، فلماذا يأتون إلى الدين مذعنين حين يكون لصالحهم، ويعرضون عنه حين لا يكون كذلك؟!

﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ لعل هؤلاء يخافون أن يظلمهم الله ورسوله!! وهذا أفظع من الشك. إنه عين الكفر. هذا الذي يظن أنه سيتعرض إلى ظلم الله ورسوله فإنه لا يعرف الله ولا يعرف رسوله.

﴿بَلْ أَوْلِيَّكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ إن هؤلاء الذين ينسبون الظلم إلى الله ورسوله هم الظالمون. هؤلاء يظلمون أنفسهم ويظلمون الحقيقة ويظلمون الناس.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وسمعنا تعني فهمنا وأدركنا. وفي كثير من المواضع القرآنية السمع يعني الفهم والاستيعاب مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَلْمِزْهُمْ عَذَابُهُمْ وَالْوَالِدَاتُ اللَّاتِيْنَ يَرْبَيْنَهُمْ كَأَنَّهِنَّ الْعَذْرَاءُ الَّتِي لَمْ يُكْرَمُوا مِنْهَا إِنْ يَخَافُوا رَبَّهُمْ فَنُحِّلْ لِهِنَّ خَيْرَ مِمَّا يَحْتَمِلْنَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^١ وهؤلاء هم المفلحون أي إنهم نالوا ما يطلبون. والفلاح يعني النجاح، ونيل المطلوب. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ والفوز يعني بلوغ المطلوب وهو الفلاح.

وبعد ذلك بآيتين نصل إلى قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^٢ هذا الوعد الإلهي للمؤمنين الملتزمين، أنه سبحانه يجعل العالم يستظل بمدرستهم وفكرهم ويبدل خوفهم إلى أمن بعدما تجرّعوه من عذاب وقهر. يعبدونه سبحانه ويزيل من طريقهم الآلهة الكاذبة.

هناك من يفهم الآية بشكل يتناسب مع جموده الفكري فيقول إن هذا الآية تختص بزمان الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام). لا شك أن تحقق مصداق هذه الآية بشكل كامل يكون على عهد المهدي المنتظر، ولكن ما الدلالة على أنها مختصة بعصر ظهور المهدي؟! وأية رواية تدل على ذلك؟ ألم تتحقق هذه الآية للمؤمنين في صدر الإسلام؟! هؤلاء المؤمنون جاؤوا المدينة وأقاموا تلك الحكومة. وبلال الذي كان يتعرض لأقسى أنواع الاضطهاد حين كان ينطق بالتوحيد، ها هو الآن يرفع صوته في الأذان بالتهليل والتكبير.

هؤلاء الذين كانوا مضطرين أن يسجدوا ليل نهار لأصنام غير بشرية وبشرية ولأهواء أنفسهم وشهواتهم، هؤلاء الذين كان لهم هذا العدد الكبير من الشركاء مع الله، هؤلاء

جاؤوا إلى تلك الأرض ليعيشوا في أمن وسلام ووثام دون أن يخشوا أحداً. هذه الآية قد تحققت مرة هناك ويمكن أن تتحقق آلاف المرات الأخرى بشرط أن يتحقق وجود ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. ولقد رأيتُ من يفسّر «في الأرض» بمعنى في أرض الجزيرة العربية. وهو تفسير يثير الشك في هدف المفسّر، هل إن الإسلام جاء لإقليم معين، أليس هو رحمة للعالمين؟!!

وقوله سبحانه: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني أن سنة الله في الكون كانت نصرة المؤمنين وتمكينهم من الأرض على مرّ التاريخ، وليس كما يظن البعض أن الفئة المؤمنة كانت مقهورة مظلومة مهزومة في التاريخ. ولقد ذكرت في محاضرة سابقة أن الدين كان في نجاح مستمر منذ أن ظهر على ظهر الأرض حتى يومنا هذا. كانت قيمته في تقدم مطّرد ولم تكن له هزيمة على الإطلاق. وهذا ما أثبتته في تلك المحاضرة.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى﴾ هذا الدين الذي ارتضاه الله للمؤمنين، هذا الدين الذي يشتمل على شؤون الدنيا والآخرة ويلبي احتياجات الجسم والروح سوف يكون متمكناً ومستقراً ومهيماً.

﴿وَلَيَبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ والأمن الذي يوفره الله لهم ليس للبطر والانتجاع والارتقاء، بل لتتوفر الفرصة من أجل قطع المزيد من الخطوات على طريق الكمال الإنساني.. على طريق عبودية الله:

﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾. هذا هو الذي يتحقق في ظل الأمن.

ثم تذكّر الآية أن الذين يعودون إلى حظيرة الشرك هم الفاسقون: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي الخارجون عن دائرة الإيمان. والحمد لله رب العالمين.

الجلسة السادسة

البشائر (١)

الثلاثاء ٧ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/٢ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ
نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ
فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾

(النساء / ١٧٤-١٧٥)

في أحاديثنا السابقة عن الإيمان توخينا بيان قيمة الإيمان وكيفية الإيمان، ليكون مقدّمة لبحث جادّ عن فهم الدين ومعرفة الدين.

الموضوعات التي ركزنا عليها في أحاديث الإيمان هي إن الإيمان يجب أن يكون عن وعي وفهم وإدراك، وأن يكون مقرونًا بالعمل، لا أن يكون فكرة مجردة في الذهن، وأن يكون متواصلًا لا مؤقتًا ومصليًا.

وقبل أن نتناول المعارف العقائدية في الإسلام، لابد أن نتناول اليوم باختصار موضوعًا آخر، ونتابعه غدًا بإذن الله تعالى، وهو أن نعرف البشائر التي يزفّها الله سبحانه للمؤمنين. ما هو الجزاء الذي أعدّه سبحانه لمن يلتزم بالإيمان وبمستلزمات الإيمان؟ فالإنسان عادة يحبّ أن يرى ما يناله من ربح في متاجرته، ولذلك يودّ أن يعرف ما ضمنه الله سبحانه للمؤمنين العاملين من أجر وبشرى. وهذه البشائر لها وقع لذيد على القلب والعقل، وتزيد من عزم المؤمن وثقته. جمعتُ الآيات المرتبطة بالإيمان وبالمؤمن وكانت ما يقارب من سبعمائة آية لأرى ما يترتب على الإيمان من عطاء (أقول ذلك لأبين للإخوة والأخوات

المتعاملين مع القرآن كيفية البحث في الموضوعات القرآنية).

بحثت في هذه الآيات لأرى بشائر الله سبحانه للمؤمنين العاملين، فوجدتها تقرب من أربعين بشرى وامتياز، وكلها كبيرة ومهمة لإسعاد الإنسان. واحدة منها النعيم الأخروي: **﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** ' أذكر اليوم بعضها وأترك الباقي لكم لتستخرجوها بأنفسكم من القرآن الكريم.

سأذكر اليوم أحد عشر امتيازاً للمؤمن العامل وجميعها تحقق سعادة الإنسان. انظروا في هذه الامتيازات، هل تتحقق سعادة الإنسان إذا لم يتحقق واحد منها؟ ذكرها القرآن باعتبارها بشائر للمؤمن الملتزم. نستنتج من ذلك أن الإيمان المقرون بالعمل يطابق — كما يذكره القرآن — جميع شروط تحقق سعادة الإنسان وتلبية احتياجاته.

يمكن لغير المتدين أيضاً أن يرى في هذه البشائر ما يحقق سعادته. هذه الامتيازات التي يمنحها القرآن للمؤمن العامل يمكن أن يفهمها الإنسان المادي أيضاً بأنها من مستلزمات سعادة الإنسان، غير أن القرآن الكريم يوجهها خاصة للمؤمنين العاملين.

ما هي احتياجات الإنسان لتحقيق سعادته؟

١- أن يعرف الهدف وساحل النجاة والسعادة، ويعرف إلى أين يتجه ولأى هدف يسعى ويجتهد، أن يعرف نهاية طريقه منذ انطلاقه، وأيَّ طريق يسلكه ليصل بشكل أسرع إلى هدفه. أليس معرفة كل ذلك من العناصر الأساسية في سعادة الإنسان؟ ليس هنا فرق بين الإنسان الإلهي والإنسان المادي. المادي أيضاً يقرّ بذلك ويشعر به.

٢- أن تزول من أمام عين الإنسان وعقله ظلمات الجهل والغرور والأوهام، وكل ما يحول دون أن يعي الإنسان ويفهم ويدرك الحقائق، وجميع ما تحاول الأنظمة الجائرة أن تغطي به على عقول الناس ومداركهم.

ثمة عوائق وحُجُب تحول دون نشاط العقول والأفهام، وتجعل الإنسان سجيناً في الظلمات. وأحد أركان سعادة الإنسان أن ينجو من هذه الظلمات، ومن كل ما يخلق هذه الظلمات،

وأن يخرج إلى نور الحقيقة، ويجعل قلبه ساطعًا بنور الفهم والوعي.

٣- أن يتخلّص في مسيرته الطويلة نحو السعادة من الوسواس الداخلية، وهي أفضع وأقوى من الوسواس الخارجية. أحيانًا يواجه الإنسان وسواس خارجية في طريقه تقول له: أنت لا تستطيع أن تقطع هذا الطريق. تجارب التاريخ أثبتت أن مثل هذه المعوقات الخارجية تزيد الإنسان إصرارًا على المواصلة، وترفع من درجة شوقه لأن يصل إلى مبتغاه. أما الوسواس الداخلية فهي المثبطات التي تهزم الإنسان داخليًا. لا تسدّ الطريق، بل تهدم في وجوده قوة السير والمواصلة، تسلب الإنسان قدرة السعي وبذل الجهد. تقول له من داخله: لماذا تذهب؟ ما فائدة مسيرك؟ لعلك لا تصل. لعل قاطع طريق يواجهك. لعلك تواجه من يفترسك. من الذي سمح لك بالذهاب؟ لا، لا تذهب. وهذه الوسوسة هي أسوأ بكثير من الوسواس الخارجية.

هذه المعوقات الداخلية واجهت أكثر قادة طريق السعادة على مرّ التاريخ. كان قوم موسى يواجهون نبهم بهذه الوسواس. ويصرحون له بأننا نخشى أن لا نتحقق ما وعدتنا به. والقرآن الكريم يشير إلى أن ظروف الشدة والأزمات أدت ببعض الخواص أن يقولوا: ﴿مَتَى نَصُرُ اللَّهَ؟﴾^١! حتى الخواص تساورهم هذه الوسواس والمعوقات!

من شروط نيل السعادة أن يتخلّص الإنسان من هذا الاضطراب الداخلي والقلق النفسي، وأن يكون قادرًا على أن يتغلب على هذه الحالة.

لقد كررت مرارًا ما في «دعاء كميل»^٢ من إيماءات تشدّ العزيمة وتخلّص الإنسان من هذا الضعف الذي يساور داخل الإنسان. جاء في بعض مقاطعه: «ياربّ، ياربّ، يا ربّ. قوّة على خدمتك جوارحي. واشدد على العزيمة جوانحي». يطلب الإنسان من ربّ العالمين أن يرزقه قوّة التغلب على كل شك و تردد يعوق دون حركته.

٤- أن يكون سعيه مثمرًا. أن يحدوه أمل بأن مساعيه ستبلغ الغاية التي يريد. الذين يعانون من اليأس لا يبلغون أهدافهم، ولا يحقّقون ما يصبون إليه من سعادة، فلا بدّ أن يثق الفرد بأن

١- البقرة/ ٢١٤

٢- دعاء رواه كميل بن زياد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، من أدعية كتاب مفاتيح الجنان.

سعيه سيكون مثمرًا، وأنه يقطع في كل خطوة شوطاً على طريق هدفه. لو كنت في صحراء قاحلة وكنت تعرف اتجاه الطريق إلى مقصدك، فإنك ستسير في الطريق بعزم وثبات وسعي حتى ولو تأخرت عن القافلة.. حتى ولو كنت وحيداً. أما إذا كنت قد ظلمت الطريق، ولا تعرف اتجاه المسير، فإن خطأك ستكون رخوة ضعيفة، ذلك لأنك لا تعلم أن مسعاك مثمر. تحتمل أنك في خطواتك تبتعد عن الهدف. لذلك فإنك تتجه يمنة ويسرة. إذن أحد شروط سعادة الإنسان أن يؤمن الإنسان بأن سعيه سيكون مثمرًا منتجًا.

٥- أن تكون أخطاؤه وزلاته قابلة للعتو والغفران والجران. فالإنسان في مسيرته يتعرض لأخطاء وزلات. وإذا كان في كل خطأ وزلة قد أصيب بجرح لا يقبل التضميد، وأن تكون أخطاؤه لا تقبل الجبران فإنه يبقى في قلق مستمر، يائس من ماضيه ومتشائم من مستقبله. أما لو علم أن كل ما صدر عنه من خطأ وزلل قابل للجران حين يعزم على أن يجر خطأه وأن يكون نادماً على ما صدر منه، فإنه يزداد نشاطاً وشوقاً وأملًا في تحقيق ما يصبو إليه.

٦- أن يكون للإنسان سند مطمئن في المسير. أي أن يعلم بأنه يستطيع أن يطلب من ذلك السند المساعدة في الظروف كلها. تمامًا مثل شخص في حقيبته خارطة شاملة جامعة، يسير في الطريق بثقة واطمئنان، وإذا أخطأ في المسير يستخرج الخارطة فتدله على الطريق الصحيح، يشعر دائماً بأن له مستمسكاً ومستعصماً يستفيد منه.

٧- أن يكون له في مواجهة العدو من الله نصر وإمداد. وهذا أيضاً من شروط تحقيق السعادة والنجاح. المادي طبعاً لا يؤمن بالله، ولذلك فإننا لا نذكر اسم الله سبحانه مع المادي. لكننا نستطيع أن نقول له: لو أنك في مسعاك المادي وفي نضالك الاجتماعي قد علمت أن قوة ما وراء قوة المادة والطبيعة ستساندك، فإنه لا شك سيظير فرحاً، وسيرحب بتلك القوة التي تسانده في مواجهة العدوان. المادي لا يؤمن بالله طبعاً، لكن الإنسان الإلهي يثق بوجود تلك القدرة المسيطرة على كل شيء. وهذا الشعور يزيد سرعة الإنسان في حركته نحو سعاده.

٨- أن يرى الإنسان بأنه متفوق على صفوف الجبهة المقابلة. ويرى أن العاقبة هي له في هذه المواجهة. وهذا الشعور أيضاً له التأثير الكبير على أن يطوي الإنسان طريقه بسهولة وسرعة أكثر.

٩- أن ينتصر على أعداء مسيرته والصادين له عن بلوغ هدفه.. أن يحقق الانتصار في نهاية المسير. وهذا أيضًا من أهم عناصر سعادة الإنسان.

١٠- أن يتجاوز العقبات والضغوط والموانع ويبلغ الهدف. ويحقق الفوز والفلاح.

١١- ومما له دخل في سعادة الإنسان أن يكون له في طريق وصوله إلى الهدف، وعند الهدف نفسه، عالم مهياً يستطيع أن يستثمر بركات أرضه وسنائه وجميع خيراته من غابات ومناجم وجبال و.. وأكثر من ذلك أن تنفتح أمامه أبواب مصادر عقله وإدراكه وفهمه وكفاءاته وطاقاته ليستفيد منها.

ثم بعد هذا الاستثمار كله في حياته تبدأ بعد وفاته مرحلة استراحته ومرحلة نيل أجره. الإنسان المادي يتوقع الحصول على نتائج عمله في حياته، ولا يعقد أملاً على ما بعد وفاته. ولو قيل له افترض - وفرض المحال ليس محالاً - أن موتك بداية راحتك. كيف سيتلقى هذا الافتراض؟! تلاحظون أن هذا أكبر أركان السعادة.. أن يرى أنه بعد انتهاء شوط الحياة الدنيوية سينال جزاء مساعيه وينعم بالجنة والرضوان.

هذه هي بعض الشروط اللازمة لتوفر السعادة للإنسان، وهي في المنطق القرآني مقرونة بالإيمان والعمل الصالح.

لنبدأ بالآيات القرآنية التي تزفّ هذه البشائر كلها وعشرات غيرها للمؤمنين. تبشر المؤمنين بالهداية، والنور، والسكينة، وتحقيق الهدف. ولو أمعنا النظر في التاريخ لرأينا تحقق هذه السنة الكونية الإلهية على مرّ العصور.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾^١ ونعيد التأكيد هنا أن العمل الصالح هو أداء الالتزام الذي يوجبه الإيمان على الإنسان، وهذا الإيمان يؤدي بالمؤمنين أن يهتدوا إلى الطريق. بسبب إيمانهم يهتدون إلى الطريق، يهتدون إلى الهدف وإلى السبيل الذي يؤدي بهم إلى الهدف.

تسمعون من يقول حين يرى الهدف بعيداً والإمكانات ضعيفة: هل يمكن أن نصل إلى

الهدف المطلوب؟ لو تفحصت في هذا الكلام لرأيت عدم وجود الإيمان بالخطوة الأولى، أو أن يكون ذلك الإيمان غير مقرون بالعمل. لو آمن الشخص وعمل لانفتحت أمامه الهداية إلى الطريق، وسيقطع الخطوة الثانية. «الطريق نفسه يقول لك كيف تسير» كما يقول العطار النيسابوري^١. حين يؤمن الإنسان بالهدف ويتبع هذا الإيمان حركة نحو الهدف، فإن الطريق سوف يفتح أمامه.

القادة والرواد وأتباعهم لا يعلمون وهم في الخطوة الأولى ما هي الخطوة العاشرة. أحياناً أضرب لذلك مثلاً وأقول هب أنك كنت وحيداً في صحراء، وفي ليلة مظلمة لا يرى في سماءها قمر ولا نجوم، وليس في يدك سوى شمعة صغيرة، وتريد بهذه الشمعة الصغيرة أن تقطع هذه الصحراء الممتدة. ستقول مع نفسك إن هذه الشمعة سوف لا تضيء لأكثر من عدة أمتار من الطريق، وأنا أمامي عشرة كيلو مترات. هذا كلام من ليس له تجربة في قطع الطريق. المجرب سيقول له: سر هذه الأمتار التي تساعدك فيها إنارة الشمعة. وإذا تيسر لك بعدها سبيل للمواصلة فواصل، وإلا فلا تذهب. اقطع ما استطعت من الطريق بما لديك من إمكانات الإضاءة، وسترى أنك قادر بعدها أن تواصل الطريق إلى نهايته: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾. الله سبحانه سيهديهم بواسطة إيمانهم. الإيمان سيدفع الإنسان لأن يجد السبيل. وفي موضع آخر يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^٢. الإيمان نفسه يؤدي إلى الهداية وإلى تعميق الإيمان في النفوس.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا^٣ والبرهان والنور هنا بمعنى القرآن الكريم. والمؤمنون بشرط الاعتصام به، أي الاعتصام بدينه

١- العطار النيسابوري (ت ٦١٨هـ) من كبار رجل العرفان في الأدب الفارسي، صاحب منظومة منطق الطير، قتل في هجوم المغول. مرقد في نيسابور من أعمال خراسان.

٢- التوبة/ ١٢٤

٣- النساء/ ١٧٤ - ١٧٥

ورسالته، ستنالهم الرحمة والهداية نحو الطريق المستقيم.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وجاهدوا فينا، أي جاهدوا لتحقيق الأهداف الإلهية، وما هي الأهداف الإلهية في هذا العالم؟ هي العدل، والأمن، وعبودية الله، ونمو الإنسان وتكامله، وعمارة الأرض، وعمارة قلب الإنسان، وعمارة الدنيا والآخرة، وسير الموجودات على طريق كمالها. هذا ما يريده الله سبحانه في هذا العالم. يريد زوال الظن والشرك والكفر وانعدام الأمن والتوحش والطغيان. من يجاهد لإقامة ما يريد الله إقامته وإزالة ما يريد زواله فإن الطريق سيتضح أمامه وتزول كل حيرة فيه. وكذلك هو الأمر في المجالات الحياتية جميعها، في فهم الدين، في المسائل الاجتماعية، والشؤون العالمية .. كل من قطع خطوة على طريق الهدف الإلهي، وجاهد للوصول إلى الهدف فإن الخطوة التالية ستوضح. فالله تكفل بهداية هؤلاء المجاهدين في سبيله نحو طريق الكمال.

قلنا إن النور مما يحقق سعادة الإنسان بالمعنى الذي ذكرناه للنور. والله وعد المؤمنين بالنور: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^١. (الولي) أرجح أن أفهم معناه بأنه (الحليف)، فهو أقرب عندي من المعنى الشائع: النصير والراعي والصديق.

ومعنى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي إنه حليفهم وفي جبهتهم. ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي ينقذهم من ظلمات الجهل، والخرافة، والغرور، والأنظمة المتجبرة المعادية للإنسان، ومن كل ما يعتبر طامورة معتمة لجوهر وعي الإنسان. ويأخذهم إلى (النور).. نور المعرفة والعلم والقيم الإنسانية، وهذا الانتقال من النور إلى الظلمات خاص بالمؤمنين ولا يشمل الكفار الجاحدين وفاقدي الإيمان. لذلك كان المشرك في قلق دائم، وفي اضطراب مستمر، ليس في حياته نور، ولا معرفة حقيقية.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والكافر من جحد العقيدة الدينية، وأعرض بجفاء عن هذه الهدية الإلهية للإنسان، وعن هذه النعمة الربانية. والكافرون من غطّوا على نعمة الله، وجحدوها. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ هؤلاء أولياؤهم وحلفاؤهم الطواغيت والمعتدون. ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ يبعدونهم عن نور المعرفة ويوقعونهم في زنانات الظلمة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا • وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا • هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^١ هذه بشارة أخرى من القرآن الكريم. وهذه البشائر كثيرة يتطلب الحديث عنها أيامًا عديدة، استعرضت بعضها اليوم، وسأستعرض عددًا آخر منها في الجلسة القادمة إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

الجلسة السابعة

البشائر (٢)

الأربعاء ٨ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/٣ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ • الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ

(الرعد / ٢٨-٢٩)

﴿مَابٍ﴾

ذكرنا في الجلسة السابقة بعض بشائر القرآن للمؤمنين.. البشائر المفضية إلى السعادة. وقفنا أمس عند بشرى الهداية وبشرى النور، ونقف في هذه الجلسة عند اثنتين أخريين، وأترك الباقي لكم لكي تستعرضوها بالترتيب الذي سرنا عليه. من كان منكم يعرف العربية فليستخرجها من نص القرآن، ومن لا يعرف العربية فليعتمد على ترجمة معاني القرآن الكريم.

الآيات في هذا المجال كثيرة وتزيد على ستة آلاف آية. على سبيل المثال يذكر القرآن الجزاء الأخروي باعتباره من بشائر الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويذكر في مواضع عديدة بشرى انتصار المؤمنين على أعدائهم وغلبيتهم عليهم كقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^١، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^٢، ﴿إِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^٣ حاولوا أن تبحثوا عن مثل هذه البشائر في القرآن، ولا يكن همكم إنهاء السورة أو الجزء من كتاب الله، بل اسعوا لكي تفهموا كلام رب العالمين بتدبر ودقة.

١- آل عمران / ١٣٩

٢- المجادلة / ٢١

٣- الصافات / ١٧٣

أولئك الذين يتقنون العربية عليهم أن يزيدوا من استحكام ارتباطهم بالقرآن، والذين لا يعرفون العربية، عليهم أن يسعوا لتعلمها، وفي الوقت نفسه أن يرجعوا إلى ترجمات معاني القرآن وبعضها جيد، وأن يتدبروا فيما عرضه القرآن من بشائر لسعادة المؤمنين. فالقرآن الكريم مصدر عزتنا وسعادتنا، وهو النبع الفيّاض الذي لا ينضب أبداً. وحين أركز على القرآن الكريم فلا أعني إهمال النصوص الدينية الأخرى كالمأثور الصحيح مما روي عن رسول الله (ص) وأئمة أهل البيت، بل لا بد من الرجوع إليها وإلى مصادرنا الدينية أمثال نهج البلاغة.

من البشائر التي نقف عندها في هذه الجلسة: الاطمئنان والسكون والأمن. الاطمئنان يعني طمأنينة القلب والروح. ولا يعني هذا عدم تحرك القلب والروح، بل يعني الاطمئنان والسكينة أمام الاضطرابات والمهيجات، ودواعي القلق.

خذوا على سبيل المثال طالين يريدان أن يدخلوا قاعة الامتحان، أحدهما حضر دروسه بشكل كامل، وأعد نفسه للامتحان إعداداً تاماً، ودخل القاعة وهو واثق أنه قادر على الإجابة عن أي سؤال يطرح عليه، وآخر لم يطالع أو طالع بما ليس فيه كفاية، ودخل القاعة وهو ليس واثقاً من الإجابة، ويخشى أن تخونه ذاكرته. هل هذان الطالبان على مستوى واحد من الاطمئنان والسكينة؟! الأول يرد القاعة بسكينة واطمئنان وثبات جنان أما الثاني ففي حالة تلاطم مستمر، مثل زورق في بحر مواج، يتحرك يمناً ويسرة، ومثل هاتين الحالتين يمكن مشاهدتهما في الساحة القضائية أمام المحكمة وفي ساحة النضال الاجتماعي.

في الساحة الحربية يمكن مشاهدة هاتين الحالتين، حالة المقاتل المؤمن بقيادته وبقوة المقاتلين معه، والواثق من وصول المساندة من القوى المتواجدة خلف الجبهة.. ويمكن أيضاً مشاهدة من لم يثق بما لدى فريقه من عدة وعتاد ويرى نفسه صغيراً، ويرى العدو ضخماً مدججاً بالسلاح.. هل يدخل هذا الشخص ميدان الحرب بصورة واحدة؟!!

أردت من هذه الأمثلة أن أبين لكم معنى الاطمئنان ومعنى سكينة القلب والنفس. إنه لا يعني الخلود إلى الراحة والبطر. ذاك الجندي الواثق من نفسه ومن جهوزية مجموعته لا يترك الساحة ولا يخلد إلى النوم، ولا ينشغل باللهو وينصرف عن اليقظة والحذر، لا، ليس الأمر كذلك، بل

إنه يدخل ساحة الحرب بثقة واطمئنان، لا يساوره قلق ولا اضطراب بشأن مستقبل المواجهة. مثل سفينة مملوءة بحمولة ثقيلة تشقّ عباب أمواج البحر بسكينة ودونها اهتزاز أو اضطراب. أما غير الواثق فمثل زورق بين أمواج متلاطمة، يضطرب ولا يقرّ له قرار.

أضرب لكم مثلاً آخر لتقريب معنى الطمأنينة إلى أذهانكم. هذا رجل يسلك طريقاً في اتجاه مقصد معين. عشرات الهواجس قد تصدّه عن الاتجاه نحو ذلك الهدف. منها «الخوف»، الخوف الذي يصده عن مواصلة الطريق. كأن يخاف من نفاد الطعام والشراب في الطريق، وأن يخاف من قطع الطرق، ومن الذئاب المفترسة في الطريق، ومن التعب والسهر، ومن عدم بلوغ المقصد. كل هذه المخاوف معوقات في الطريق.

ومنها «الطمع» الطمع في حياة مريحة، الطمع في أن يبقى بمضجعه الدافئ، وبين أسرته ومع زوجه. فهو ليس على استعداد أن يترك كل هذه التي يلتصق بها الإنسان الصغير، وتتمسك بها النفوس الضعيفة. وقد يكون إلى جانب الطمع «التطميع»: لا تذهب إلى هذا الطريق، ولا تحمل هذا الهدف، ومقابل ذلك نهب لك الأموال والمناصب والامتيازات. ولو ذهبنا إلى تفاصيل الخوف والطمع لبرزت فيها عشرات المعوقات كحب العافية، والانتهازية، والمصلحية.

هذه العقبات تقف أمام الشخص قبل أن يسلك الطريق، غير أنه لو سلّكه فإن هذه المعوقات تتابعه ولا تتركه، مثل أشواك تتعلق بثيابه وتنغرس في قدمه، مثل قيود تحاول تكبيل حركته. الهدف يدفع إلى الأمام والمعوقات تجرّه إلى الخلف، تماماً مثل ذلك الزورق المضطرب وسط الأمواج.

وهناك رجل آخر يحمل دافعاً للوصول إلى الهدف تصغر أمامه كل تلك المعوقات، الهدف يجذبه بقوة تفوق جذب المخاوف والأطماع.. تفوق جذب الأهل والولد والمال والمتاع والمنصب وحب السلامة وطلب العافية. مثل هذا الإنسان هو «المطمئن»: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارجعي إلى ربِّكِ راضيةً مَرْضِيَّةً﴾^١ هذا المطمئن هو الذي يستطيع أن يقطع الطريق بخطى ثابتة وعزيمة وثابة نحو الهدف المنشود.

حينما يكون الإيمان بالله في نفس الإنسان قوة جاذبة، فإنها تدفعه نحو الهدف دفعًا تصغر معه كل عوامل الجذب الأخرى، ولنا في ذلك من صدر الإسلام أمثلة كثيرة، وتستطيعون أن تجدوا أمثلة أخرى لذلك.

وأعود وأقول الطمأنينة هي ثبات روح الإنسان وثبات قلبه، هي أن لا تتنازعه الأهواء يمنة ويسرة، فهو على أثر ثقل الإيمان في نفسه يسير بوقار واطمئنان، ولكنه يمضي بكل سرعة وبخطى ثابتة نحو الهدف المنشود.

والمفردة الأخرى هي السكينة: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^١ وفي القرآن تتكرر كلمة السكينة لتنزل على المؤمنين في اللحظات الحساسة، مثل ما مرّ على المسلمين في غزوة حنين.

في هذه الغزوة أصاب جيش النبي (ص) الغرور، والغرور خطر يؤدي إلى الغفلة عن العدو وعن الأخطار المحدقة. وفي نهج البلاغة يقول الإمام أمير المؤمنين علي (ع): «والله لا أكون كالضَّبْعِ تنام على طول اللِّدَمِ»^٢ والضبع تنام إذا تكرر عليها اللدم، واللدم نوع من التنويمه يكررها من يريد أن يلقي القبض على الضبع. فالإمام لا يغفل بهذه التنويمات التي تواجهه في ساحة الكفاح.

أعود إلى ما أصاب جيش الرسول من غرور: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُهُمْ﴾^٣ وهذا الغرور هو الذي أدى بكم أن تغفلوا عن عدوكم: ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾، وبذلك منيتم هزيمة ووليتم مدبرين، ولكن سرعان ما تحولت هذه الهزيمة إلى انتصار بعد أن أنزل سبحانه السكينة على المسلمين: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وتتكرر مفردة السكينة حينما بايع المسلمون رسول الله تحت الشجرة في بيعة الرضوان: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^٤ وحين خرج رسول الله (ص) من مكة متوجهًا إلى المدينة لإقامة

١- التوبة/ ٢٦

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم ٦

٣- التوبة/ ٢٥

٤- الفتح/ ١٨

المجتمع الإسلامي، وتبعه المشركون ليقتلوه، فلجأ إلى الغار، وكان العدو منه على مدخل الغار ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾^١ في تلك اللحظة الحساسة، والسكينة أيضًا لا تعني السكون وعدم الحركة، بل تثبيت القلب لمواصلة الطريق.

والمفردة الأخرى الأمان: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ واضح أن الأمان هنا الأمان الروحي لا الأمان الاجتماعي. الأمان الاجتماعي يعني أن يكون جميع أفراد المجتمع في حالة اطمئنان من نيل حقوقهم. والسكون.. السكون الإجباري ليس بالأمان الاجتماعي. الأمان هنا يعني الأمان الروحي، يعني أن لا يساور الإنسان تزلزل وقلق وخوف واضطراب.

ولنبداً باستعراض ما ابتدأناه من آيات^٢: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ وذكر الله هو تلك الجاذبة القوية التي تدفع نحو الهدف، وتصغر أمامها كل الجواذب الأخرى.

ذكر الله له مكانته الكبرى في صياغة الإنسان المسلم ولذلك كان التأكيد على الصلاة بأنها أهم أركان الدين، إن قبلت قبل ما سواها، وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها. ذلك لأن الصلاة مفعمة بذكر الله، والقرآن يقول عنها: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^٣، الحج يكفي في العمر مرة واحدة، والصوم شهر واحد في السنة، أما الصلاة فخمس مرات في اليوم، وإذا زدت فأفضل. أعظم ميزة في الصلاة هي ذكر الله. وذكر الله يبعث على تحرير القلب من الاضطراب والنفس من الاهتزاز والروح من الوسواس.

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ واطمئنان القلوب له أهميته البالغة في نجاح الإنسان. والمؤمن يتمتع بهذا الامتياز.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ هؤلاء الذين آمنوا والتزموا بما يتطلبه الإيمان من عمل صالح، ما أسعدهم في الحياة الدنيا! وما أحسن آخرتهم! دنياهم على

١- التوبة/ ٤٠

٢- الرعد/ ٢٨ - ٢٩

٣- العنكبوت/ ٤٥

أحسن حال وهكذا آخرتهم. المجتمع المؤمن الملتزم بما يلزمه إيمانه حياته فى الدنيا طيبة وأخرته نعيم مقيم.

ويتحدث القرآن عن محاجة بين إبراهيم^(ع) وقومه^١:

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ لقد جادلوه، ولم يذكر القرآن ما قاله القوم، لكننا نستطيع أن نستنتج ذلك من جواب إبراهيم (عليه السلام). ﴿قَالَ أَتَجَاوَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ أتجادلونني فى الله بينما الله هداني، فالطريق أمامي واضح لا لبس فيه ولا تردد. ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾. فلا أخاف ممن جعلتموه شريكاً لله، إلا أن يشاء الله شيئاً، أي إني أخاف الله وحده دون سواه، أخاف مما قد يضعه الله من حوادث على طريقي. من هذا الجواب يتضح أن القوم أخافوه من نقمة شركائهم، من سخط هؤلاء الشركاء ونقمتهم.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فالله سبحانه أحاط علمه بكل شيء.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ألا تعودون إلى أنفسكم؟! ألا تصحون؟! ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾

من كلام إبراهيم^(ع) يتضح قول القوم أكثر. يقول لهم، كيف أخاف ممن أشركتم بالله من دون دليل عقلي؟! أنتم الذين يجب أن تخافوا إذ جعلتم الله شركاء. وليس واضحاً من هم هؤلاء الشركاء الذين يتحدث عنهم قوم إبراهيم، أهم من البشر أم من الحيوان أم من الحجر؟ أم من أمثال فرعون وقارون؟ وكل عبدة هؤلاء الشركاء حطب جهنم، لا فرق بينهم.

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ نحن أم أنتم من يستحق أن يعيش بأمن واطمئنان؟! نحن المؤمنون الذين هدانا الله، واطمأنت قلوبنا بذكر الله أحق أن نعيش بأمن واطمئنان، أم أنتم يا ممن أشركتم بالله دونها دليل وبرهان؟! والجواب واضح. واضح من هو الآمن المطمئن، ومن هو القلب الخائف المضطرب.

هذا الأمن — كما ذكرنا — من ثمار الإيمان، وحين يعرف المؤمن ثمرة أعماله فإنه يسير بعزيمة أكبر، يرى أن أية خطوة من خطواته سوف لا تذهب هباء، لذلك يواصل المسير دون شعور

بالتعب ودون أن يساوره ملل. وهذا ما يؤكد عليه القرآن في مواضع عديدة: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١ ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^٢.

الآية الأخيرة في جلستنا هذه تدور حول القبلة. بداية أذكر لكم موجزاً حول موضوع تحويل القبلة. قبل الهجرة كان اتجاه الصلاة إلى المسجد الحرام، وبعد الهجرة اتجه المسلمون بأمر الله سبحانه صوب المسجد الأقصى، وهو قبلة اليهود نفسها. وبعد مضي مدة نزل الوحي بوجوب التوجه نحو المسجد الحرام: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^٣. في سورة البقرة عدة آيات حول القبلة.

إحدى تلك الآيات تخاطب النبي (ص) والمؤمنين مبينة سبب تغيير القبلة بعد الهجرة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وتقول: إن السبب هو اختباركم في اتباع أوامر الله ورسوله. إذ إن العرب كانوا يقدسون الكعبة قبل الإسلام، وهي قدسية ورثوها عن آبائهم وأجدادهم. والآن وبعد ورودهم المدينة يأتي الأمر بالاتجاه نحو المسجد الأقصى. إذن نحن حولنا الكعبة التي ألتفت تقديسها إلى المسجد الأقصى لنرى مدى قدرتكم على الإعراض عن سنة الآباء والأجداد في سبيل الله. ثم تؤكد الآية أن صلاتكم إلى بيت المقدس كانت صحيحة وموضع تأييد الله وأجره، لا تظنوا أن صلاتكم إلى بيت المقدس كانت باطلة فالله لا يضيع أجر المؤمنين. ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾^٤ أي المسجد الأقصى، وسياق الآية يدل على أنها نزلت بعد تحويل الكعبة من المسجد الأقصى إلى الكعبة، ﴿أَلَا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾ أي لنعلم من يتبع الرسول ممن يتمسك بتقاليد الجاهلية. إنها عملية فصل بين الذائنين في الإسلام وأولئك الذين يعيشون رواسب العصر الجاهلي.

﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ فليس من السهولة أن ينسلخ الفرد من رواسبه

١- هود/ ١١٥

٢- الكهف/ ٣٠

٣- البقرة/ ١٤٤

٤- البقرة/ ١٤٣

الجاهلية إلا مَنْ شملته الهداية الإلهية. فالمهتدون بهداية الله ليس عليهم الأمر بصعب، إذ هم يستوعبون هذا التغيير.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ وهذه الآية هي موضع استشهادنا، فالله سبحانه لا يضيع إيمانكم، لا يضيع عملكم، كل خطوة تقطعونها على طريق الهدف، فإنكم تتجهون إلى الكمال، وهو ما يريد الله لكم. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ هذه الآية الكريمة وعدد من آيات القرآن الأخرى تبشّر المؤمنين أن عملكم سيكون مثمراً حتماً، ولا يضيع منه شيئاً. غداً سنبدأ البحث بإذن الله عن التوحيد.

والحمد لله رب العالمين

القسم الثاني

التوحيد

الجلسة الثامنة

التوحيد في التصور الإسلامي

الخميس ٩ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/٤ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾
(البقرة/ ٢٥٥)

ما ذكرناه بشأن التوحيد في نظر القرآن الكريم هو: أن عقيدة التوحيد يجب أن يؤمن بها الإنسان عن وعي وفهم وشعور، وأن يكون هذا الإيمان مقرونًا بالالتزام، أي أن يكون ذا تأثير في حياتنا الفردية والاجتماعية وفي مسيرة المجتمع التاريخية.

وفي هذه الجلسة والجلسات القادمة سنتناول التوحيد من زوايا أخرى بالاستمداد من آيات الذكر الحكيم، ولا أدعي بأن هذه الجلسات تستوعب أبعاد التوحيد جميعها، ولذلك أدعو من يريد أن يتوسع في هذا الموضوع أن يعود إلى القرآن الكريم ليطلع بدقة وتأن، وسيجد بحارًا من المعرفة لا ساحل لها. وفي هذه الأحاديث سنقارب عقيدة التوحيد بمقدار ما أوتيت لنا من فرصة.

ثمة ملاحظتان أذكرهما قبل دخول موضوع هذه الجلسة. الأولى إن الحديث عن التوحيد بالشكل الذي أريد توضيحه قد يتحول من خطبة إلى بحث دراسي، وقد يقول قائل إن هذا لا يتناسب مع الحديث أمام الجمهور وعامة الناس، وأنا لا أرى مانعًا من تحويل الحديث مع عامة الناس إلى قاعة درس، لماذا لا تكون مثل هذه الأحاديث مثار تأمل وتفكير؟ لرفع

مستوى أحاديثنا في شهر رمضان الكريم إلى مستوى يثير في الأذهان التفكير ويدفع إلى التوسع والمطالعة.

والملاحظة الثانية هي ما كررته في أحاديثي ومحاضراتي هو أنكم غير ملزمين بقبول ما أقوله كله، بل المطلوب من المستمعين أن يمحصوا الأقوال بفكرهم ويكونوا مصداق قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^١.

أعود إلى حديثي نريد في هذه الجلسة والجلسة القادمة أن نتناول التوحيد في إطار التصور الإسلامي، أي في إطار نظرة الإسلام إلى الكون والحياة، استنادًا إلى آيات القرآن الكريم. وفي الجلسة القادمة نقارب التوحيد في إطار أيديولوجية الإسلام، أي في إطار المنظومة العملية للدين المبين. فالتوحيد يتجلى في جميع التعاليم الإسلامية، وحيثما وجدنا تعليمًا باسم الإسلام يخالف التوحيد فاعلموا أنه ليس من الإسلام، لأن التوحيد كالروح في جسد جميع المنظومة الإسلامية، كالدم الصافي النقي الذي يجري في عروق الجسد الإسلامي. لا تستطيعون أن تجدوا حكمًا من أحكام الإسلام ليس للتوحيد بصمة عليه.

مامعنى التصور الإسلامي أو الرؤية الكونية الإسلامية؟

كل إنسان له وجهة نظر معينة للعالم وللإنسان وللطبيعة ولما وراء الطبيعة، هذا هو تصور الإنسان للكون والحياة. ومن الطبيعي أن تكون لكل مدرسة فكرية مثل هذا التصور ومثل هذه الرؤية الكونية. وللإسلام نظرتة الكونية، وأنا أتحدث عنها اليوم بمقدار ما يرتبط الأمر بالتوحيد.

الإسلام يرى أن هذه المنظومة المسماة بالعالم بكل أجزائها صغيرة أو كبيرة، من أنفها إلى أشرفها وهو الإنسان مخلوقة ومرتبطة بقدرة عظيمة كبيرة، هي ما وراء الظاهر والمرئي، ما وراء قدرة العلم التجريبي أن يحيط بها، ما وراء الظواهر المحسوسة والملموسة.. إنها الحقيقة الأسمى والأشرف والأعزّ، وكل ظواهر العالم هي من صنعه وتديره، هذه القدرة العظيمة اسمها (الله).

فالعالم حقيقةً ليست مستقلة بذاتها، لم تخلق نفسها بنفسها، لم تنبعث من داخلها بل إن يدًا مقتدرة قد وجدت هذه الظواهر كلها بما فيها من عظمة وسعة، والعلم يكتشف باستمرار مزيدًا من هذه العظمة والسعة. هذه اليد المقتدرة هي التي أوجدت في الذرة هذا العالم العظيم، وفي العوالم البعيدة المجهولة أوجدت هذه المجرات التي اكتشف الإنسان بعضها وما لم يكتشفه يفوق مليارات ما اكتشف. هذا المصنع له صانع، لم يوجد بالصدفة. هذا أحد معالم نظرة الإسلام الكونية. ثم إن هذه القدرة العظيمة ترعى باستمرار مخلوقاتنا، وتتسم بجميع صفات الخير. فالله عالم ومقتدر وحيٍّ ومريد وما تتفرع عن هذه الصفات.

إنه خالق أجزاء العالم كلها وراعيتها لأنها محتاجة إليه على الدوام، مالك العالم والمتصرف فيه، ومسيره بنظام خاص وبقوانين وسنن دقيقة. هذه القوانين يكتشفها العلم. لسنا في صدد الحديث عن عظمة ما اكتشفه العلم وهو قطرة من بحر أسرار هذا الكون. كما نحن لسنا في صدد إثبات وجود الله والصانع، ففي هذا المجال ألف الكثير. ولكن لا بأس من ذكر كتاب بقلم عدد من علماء العلوم التجريبية^١، أي من الذين يتكلمون بلغة المختبر والاكتشاف والصناعة في إثبات وجود الله، وقد ترجمه إلى الفارسية عدد من الأفاضل، وهؤلاء يجمعون على أن التعمق في كنه المخلوقات والموجودات وكشف ما يسيطر على العالم من نظم وقانون وإتقان يبين أن لهذا العالم خالقًا.

هذا هو التوحيد في الرؤية الكونية للإسلام. العالم له صانع وخالق، وبعبارة أخرى له روح طاهرة ولطيفة. ليس هذا العالم موجودًا مستقلًا، بل هو مرتبط بقدرة سامية. ثم ما هو تأثير هذه الرؤية في صياغة الحياة؟ هذا ما نبينه في المحاضرة القادمة.

حين نرجع إلى آيات القرآن الكريم نجد هذه المفاهيم كلها. ومنها الآيات التي نتناولها اليوم، وأولها آية الكرسي^٢.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الله هو المعبود ولا معبود سواه. والإله — في المصطلح القرآني — هو

١- كتاب «الله يتحلى في عصر العلم»، جان كلوفر، يشتمل على أربع مقالات لعلماء متخصصين معاصرين في إثبات وجود الله.

ومترجم إلى الفارسية بعنوان: «إثبات وجود خدا» = إثبات وجود الله.

الذي يخضع له الإنسان خضوع تقديس وتعظيم وتكريم. ويسلم له مقاليد أموره. فالذي يخضع لهوى نفسه فإن هذا الهوى هو إلهه. والذي يخضع لطاغية ويجعله مسيطراً على شؤون حياته فهذا الطاغية هو إلهه، والذين ينصاعون لمجموعة من العقائد والتقاليد الفارغة فهي إلههم. والآية تنفي الألوهية عن غير الله، فلا معبود سواه. والواقع أن الحياة الإنسانية تعجّ بألوان الآلهة، لكن الآية تقول إن هذه الآلهة مزيفة وغير حقيقية. فلا يليق بالعبودية والألوهية غير الله.

ماهي خصائص هذا الإله الحق؟! إنه «الحي».. الحي الحقيقي المطلق، وبقية الأحياء بين عديمين، عدم قبل الوجود، وعدم بعد انتهاء الوجود، ووجودها بين العدمين مهدد دائماً بالفناء. والحي الحقيقي هو الذي بيده الحياة، وحياة الأحياء كلها من موهبته، وهو الباقي بعد فناء كل شيء. وكل حياة الأحياء مرهونة باستمداد الحياة منه، وبدونه لا يبقى أي مظهر من مظاهر الحياة، لأنه «القيوم» عليها.

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ لا يعتره نوم بل ولا نعاس، أي إنه لا تعتره غفلة. الآلهة المزيفة تصاب بالغفلة، بل الغفلة هي المسيطرة عليها، ولغفلتهم بيدون نعم الله، وينزلون بقومهم المصائب والويلات: ﴿الْمُرْتَلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۗ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾^١ وهذه الآية الكريمة تلاها الإمام موسى بن جعفر^(ع) على هارون الرشيد. ثم قال له: أنت من هؤلاء^٢. الغفلة هي التي تجرّ هؤلاء الطواغيت إلى هذه المآسي. كل تعبير في القرآن الكريم عن صفات الله سبحانه في سياق التوحيد يتضمن نفي هذه الصفات عن الآلهة المزيفة، كما يتضمن ما ينبغي أن يتحلّى به الموحدون في حياتهم، فقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ يعني أن الآلهة المزيفة في غفلة عن أمرها، كما يعني ما يجب أن يتحلّى به الموحدون من وعي وصحوة وبصيرة.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كل شيء هو ملكه وطوع قدرته. ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ حتى الشفاعة لا يستطيع أحد أن يستقل بها. الأنبياء والأئمة والأولياء وصلحاء

١- إبراهيم/ ٢٨ - ٢٩

٢- تفسير نور الثقلين ذيل الآية ٢٨ من سورة إبراهيم.

المؤمنين إنما يشفعون بإذن الله سبحانه، إذ ليست لهم قدرة مستقلة أمام قدرة الله. إنهم عبيد الله، لكنهم مشمولون بلطف الله ومحبته.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.

هذه الآية تطرح بعداً آخر للتوحيد، وهو أن عباد الله سواسية أمام الله سبحانه، ليس لأحد امتياز على آخر، إذ كلهم تحت سيطرة علم الله، وليس لهم من علم الله شيء إلا بما شاء. رسول الله على عظمته في الكائنات هو في قبضة الله وهو عبدالله مثل كل أجزاء وجود هذا الكون. ليس لأحد لا للأنبياء ولا لعباده المقربين قدرة مقابل قدرة الله. كلهم عباده. وفي التشهد نقول: «أشهد أن محمداً عبده ورسوله».

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، كل شيء في السماوات والأرض تحت قدرته، ولا يصعب عليه حفظ هذه المخلوقات.

من مجموع ما ذكرنا بشأن التوحيد في التصور القرآني نفهم أن الوجود كله يخضع لقدرة، لمركز علم وحياة وقوة هو الله، وجميع ظواهر الخليقة خاضعة وفي حالة عبودية أمام تلك القدرة العظيمة الجليلة، وفي هذا الخضوع لا فرق بين مخلوق ومخلوق، الجميع خاضعون مستسلمون.. الإنسان المؤمن والإنسان الكافر، الموجود الصغير والموجود الكبير كل له خاضعون. وحين يكون الخضوع شاملاً لكل الموجودات أمام قدرة الله، فلا معنى أن يكون طاغية مثل إمبراطور الروم أوريليان يرى نفسه فوق غيره من البشر، وأن يُصنع له تمثال يقف في حال تكبر وغرور وعلى قدميه عبد في حالة ذلة ومسكنة!! أليس هذا الإمبراطور وهذا العبد خاضعان على السوية أمام قدرة الله حسب التصور التوحيدي؟! لو كانت النظرة الكونية التوحيدية هي المهيمنة لما كان طواغيت العالم والمتجبرون يسيطرون على الثروات الطائلة ويسخّرون عباد الله لطاعتهم، ويدعون الناس يتسابقون لتقريب أقدامهم، ويرون أنهم خلقوا ليكونوا سادة والآخرين عبيداً، خلقوا ليكونوا سعداء، وغيرهم مخلوقون للبؤس والشقاء.. لما كان اليهود قادرين أن يدعوا أن إلههم هو «يَهُوَه» وهم مقربون من هذا الإله أكثر من غيرهم، وما كان بإمكان الوثنيين الهندوس أن يقسموا المجتمع إلى أربع طبقات، لكل طبقة إله خاص بها، مخلوقة منه. التصور التوحيدي الإسلامي الخالص يقرر

أن الممكنات والموجودات جميعاً مخلوقة من مبدأ واحد، وهي بيد قدرة واحدة كل لها عبيد خاضعون. لا يحق لأحد أن يضع رأسه تحت أقدام آخرين، ولا يحق لأحد أن يضع قدمه على رأس آخرين، لأن ذلك يتعارض مع الحق والحقيقة.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ من الذي تكون له قدرة الشفاعة دون إذنه، إنه لا يأذن بالشفاعة للجبارين ولا للمفسدين، بل يأذن بها للأنبياء والأولياء والصالحين والشهداء، لعباده الصالحين الذين تحملوا مرارة الحياة من أجل أداء واجبهم، تحملوا ألوان المعاناة ليقطعوا خطوة على طريق رسالتهم. هؤلاء يستطيعون أن يشفَعوا عند الله، وإنما نالوا هذه الدرجة لارتفاعهم في درجة العبودية. رسول الله (ص) بلغ الذروة في العبودية لم يبلغها أحد وهكذا أمير المؤمنين علي (ع) وهكذا الإمام السجاد لم يبلغه في العبودية أحد أفراد زمانه. لم يبلغوا هذا المقام بسبب المعايير الدنيوية السائدة، بل بسبب كثرة عبوديتهم. من آية الكرسي نفهم أن الموجودات جميعها هي أمام قدرة الله المطلقة في مقام العبودية والطاعة والتسليم. ومن أراد أن يتقرب منه سبحانه فبكثرة العبودية.

الآية ٨٨ وما يتلوها من سورة مريم هي في هذا السياق: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ فكرة أن الله له ولد وردت لدى الكفار بصور مختلفة. المسيحيون قالوها بشكل واليهود بشكل آخر ومشركوا الجزيرة العربية بصورة أخرى. بعضهم قالوا اتخذ الله ولداً وبعضهم قالوا اتخذ بنتاً وبعضهم قالوا ولداً وبنثاً. ما المقصود من هذه الأقوال لدى الكافرين؟ المقصود هو أن هناك من ينتسب إلى الله بالبنوة لا بالعبودية!

حين قال اليهود عزير ابن الله، أرادوا أن يقولوا أن العزير خارج من إطار الكائنات الخاضعة بالعبودية لرب العالمين. وهكذا المسيحيون في قولهم عن عيسى بن مريم، وهكذا المشركون الذين كانوا يرون اللات والعزى ومناة بنات لله. والمشركون في اليونان وبلاد الروم كانت لهم مثل هذه النظرات. الهدف من كل ذلك عدم الإقرار بأن كل الموجودات عبيد الله، بل هناك فئة ممتازة متميزة خارجة عن إطار العبودية. ولذلك يرفض القرآن ذلك بشده ويقول: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝﴾

أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا^١.

ليس هذا الادعاء.. ادعاء أن الله ولدًا بالأمر الهين.

والآية تصور هول هذه العقيدة الفاسدة وخطرها، إذ هي تنفي شمول العبودية لكافة الكائنات، وبالتالي تكون ذريعة لمن أراد أن يكون عبدًا لغير الله تعالى:

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ كل الكائنات خاضعة بالعبودية لله دونما استثناء ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾.

في هذا اليوم تناولنا التوحيد باعتباره أصلا من أصول الرؤية الكونية للإسلام. ترى ما أثر هذه الرؤية في حياة المجتمع الموحد، وما هي خارطة الطريق التي يرسمها للحياة؟ هذا ما نتناوله في الجلسة القادمة بإذن الله.

والحمد لله رب العالمين.

الجلسة التاسعة

التوحيد في المنظومة العملية للإسلام

الجمعة ١٠ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/٥ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾

(البقرة/ ١٦٥)

الإنسان الإلهي يقول إن ما وراء هذه المشهودات حقيقة أسمى وأعظم مما نشاهده، ولو لم تكن تلك الحقيقة ما وجدت هذه الظواهر المشهودة. والإنسان المادي يقول: لا نستطيع أن نؤمن بغير هذه المشهودات، لم نجد في المختبرات ما يدل على ما يقوله الإلهيون.

دعنا عن أقوال اليونانيين والرومان القدماء بشأن هذه المسألة، حديثنا عن الماديين في عصرنا. نحن نعتقد أن هؤلاء الماديين في عصرنا يطلقون هذه المزاعم لأنهم يعانون من عقدة فكرية ونفسية تجاه المدرسة الإلهية. هؤلاء يخالون أن إقامة العدل وإزالة التمييز في المجتمع لا تتحقق إلا في ظل الفكر المادي، ومن هنا يُعرضون عن المدرسة الإلهية. لو أمعنتم النظر في الحياة الفكرية لأتباع المدرسة المادية في عصرنا لتبين لكم صحة ما نقول. ليس رفضهم لوجود الله عن عناد تجاه الخالق، ولا بسبب عدم عثورهم على استدلال فكري لإثبات وجوده، إذ لا يمكن أن يكون هناك استدلال فكري على نفي وجود الله، لا الآن ولا في الماضي، لا تستطيعون أن تجدوا مادياً في العالم يطرح دليلاً على عدم وجود الله، بل قصارى قولهم أنه لم يثبت لنا وجود الباري، وأنه لم نفهم ولا نقبل استدلال

الإلهيين، ولعل القرآن الكريم يشير إلى هذا بقوله: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^١. إذن ليست هناك فلسفة عقلية للإنكار، بل إن أنصار المدرسة المادية في عصرنا يخالون أن المدرسة المادية أقدر على إدارة العالم وعلى إنقاذه من الظلم والجشع والتمييز. والدين لا يستطيع أن يفعل ذلك. لماذا يصرون حكمًا كهذا على الدين؟ لأنهم يفهمون الدين بمعناه التقليدي الشائع الموروث من عصر التخلف. الدين الذي يكتفي بالعادات والتقاليد والطقوس ولا يحرك ساكنًا في المجتمع، لذلك يقولون عنه إنه أفيون الشعوب. واضح أننا حين نواجه هذا المنطق ليس لنا إلا أن نقول: لو رأيتم دينًا يقرّ على ظلم الظالمين ويساند المستبدين، ولا يهتم بأمر المظلومين ولا يجدي نفعًا للمسحوقين فرفضوه إنا معكم رافضون. الدين الإلهي له خصائص معينة ومواصفات خاصة، إن توفرت قبله وإن لم تتوفر نرفضه.

القرآن يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^٢ الأنبياء كلهم مرسلون من أجل أن يسود العدل والقسط في حياة البشرية. هذا هو الدين. وإذا رأيتم دينًا يتجه خلاف هذا الهدف فهو إما أن لا يكون إلهيًا، أو أنه دين ممسوخ، هذه مسألة واضحة.

فيا أيها المادي الذي تدعي أن الدين عاجز عن إدارة المجتمعات البشرية، أسألك: أي دين؟ الإسلام؟ الإسلام الحقيقي؟ الإسلام المحمدي؟ أسلوب الحكم العلوي؟ هل رأيت في هذا عجزًا عن إدارة المجتمع؟ أين هذا العجز؟ إسلامنا هو الذي يحارب التمييز والطبقية، ويقسم الثروة بالعدل، ويوفر الفرص والإمكانات المتساوية أمام أفراد المجتمع، ويُعزّز الإنسان الذي كان يعيش في الذلّ وكان يُسخر لارتكاب ألوان الجرائم من أجل فئات موائد الطواغيت. هذا الإنسان المنحط أعزّه الإسلام وأكرمه، وأكسبه الفضائل الأخلاقية والإنسانية، كل ذلك وقره في ظل نظام عادل ومنتقن.

التربية التي مارسها الرسول (ص) لم تكن تربية فردية، لم تكن الأخذ بيد الأفراد واحدًا واحدًا

ودفعهم إلى الزوايا كي يتلوا الأوراد والأذكار، لم يكتف رسول الله (ص) بموعظة الناس وبيان الصحيح وغير الصحيح من الأعمال، بل إنه أرسى قواعد نظام اجتماعي مستحکم وفق أصول معينة، ودفع بالناس إلى الحركة في ظل هذا النظام وفي هذا المسير، وبهذا جعل منهم أفرادًا صالحين. وإذا أخذت بنظر الاعتبار هذا الإسلام ثم قلت أيها المادي المعاصر بأنه لا ينسجم مع ما نريد من تحقيق الرقي والعدل والأمن وتأمين احتياجات البشر، فذلك ما لا نقبله منك...! إذ هو خلاف الإنصاف.. خلاف الإنصاف.

لو أن مثقفًا في عالم المسيحية لم يرَ مِنْ مظاهر الدين سوى الشفاعة الكاذبة وبيع صكوك الغفران فله الحق أن يطلق بحق الدين هذه الأحكام. أما أنت أيها المسلم كيف يحق لك ذلك وأنت ترى أن الإسلام يسجل أعزّ وأجمل التجليات الإنسانية في أفق العالم؟!!

إذا كنت تقصد من الدين هذا الذي يدعو الناس إلى الركود والسكون والتقاعس والانصياع للظلم والتفرقة والتقاتل والتناحر، ويدعو الفقير إلى ترك السعي لكسب المال، ويدعو الغني إلى الاكتفاء بالتبرع للكنيسة أو لمؤسسة دينية بمبلغ من المال ليكون كفارة ما ارتكبه من ظلم في سبيل الحصول على هذه الأموال، إذا كنت تقصد هذا الدين المزيف فنحن نتجاوب معك. وكلانا حيثنذ نردد مع القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَ الرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هؤلاء لا يكتفون بأكل أموال الناس ظلمًا وعدوانًا، بل أيضًا يقطعون الطريق أمام السائرين نحو الله. نعم مثل هذا الدين ليس بدين حقيقي، مثل هذا الدين الذي يكون وسيلة تساعد الظالمين والطغاة هو أسوأ من عدم التدين الذي قد لا يتحول إلى مثل هذه الوسيلة.

ثمة مسائل فكرية أرى من اللازم على الجميع أن يفهمها. إحداها أن التوحيد ينبغي أن لا يُطرح بصورة جافة وبشكل سؤال علمي عقلي، بل بصورة مسألة حياتية مصيرية. ولتوضيح ذلك أقول:

ربما تسير أنت في طريق مع رفيق سفر ثم يدور بينكما نقاش حول طبيعة الأرض التي تقع

على جانبي الطريق. أحدكما يقول إن هذه الأرض خصبة صالحة للزراعة والآخر يقول إنها أرض ملحية لا تصلح للزراعة. أنت تستدل وصاحبك يستدل، والسيارة تطوي بكما الطريق بسرعة. ليس في قصدكما شراء قطعة من تلك الأرض أو استثمارها للزراعة، وليس هدفكما اختبار تلك التربة. فالحديث بينكما ليس له أي تأثير عملي عليكما، وإثبات أنها خصبة أو ملحية لا يؤثر في مسيركما.. بل إن المسير يتواصل سواء ثبت هذا أو ذاك.

وفي حالة أخرى ربّما أنتما تركبان سيارة تتحرك بسرعة، وفجأة يقول صديقك أعتقد أن اتجاه حركتنا نحو الشمال بينما القصد هو الجنوب! وأنت تخالفه وتقول: لانحن نسير نحو الجنوب. ويستخدم الكلام بينكما بشكل جادّ، إذ لو صحّ كلام رفيقك للزم استدارة السيارة إلى الورا، ولو صحّ كلامك لو اصلتما المسير. أول تأثير لهذا النقاش أن السائق سوف يخفف من سرعته ليرى النتيجة، لأن النتيجة لها التأثير الكبير في المسار. وبحث التوحيد هو من هذا القبيل.

أولئك الذين يعيشون على مستوى المسؤولية والالتزام يجب أن يفهموا التوحيد بصورة غير الصورة المرسمة في أذهان الذين يعيشون حياة البطر وعدم الالتزام.

قد يُخيل إلينا أن التوحيد مسألة تعيش في الأذهان دون أن يكون لها أثر في الخارج، ودون أن تكون عامل تأثير في الحياة. بينما التوحيد الذي يدعو إليه الإسلام هو أسمى من أن يكون جواباً نظرياً على سؤال. التوحيد الإسلامي يعمل على صياغة نظام الحكم والعلاقات الاجتماعية، ويوجّه حركة التاريخ، ويرسم الهدف من هذه الحركة، ويقرر مسؤوليات الناس تجاه الله وتجاه بعضهم الآخر، وتجاه سائر مظاهر الطبيعة. ليس التوحيد بالأمر الذي تقول فيه إن الله واحد وليس اثنين وكفى.. إنه يعني أن الحقّ لله وحده في أن يكون مهميماً على حياتنا الفردية والاجتماعية.

«الله واحد» يعني أن ما تمتلكه من ثروة وما يمتلكه سائر البشر من ثروات إنّها هي لله وحده، أودعها لدى الناس لكي يتصرفوا فيها وفق ما عيّنه سبحانه: «المال مال الله جعلها ودائع عند الناس»^١.

١- عن الإمام الصادق: «تَرَى الله أعطى من أعطى عند الرجل ودائع» بحار الأنوار، كتاب العشرة، أبواب حقوق المؤمنين، الباب ٧٨، ح ٦.

الإيمان بالتوحيد ينفي التمييز الطبقي: «كلكم من آدم وآدم من تراب»^١، وكرامة الإنسان عند الله بالتقوى لا غير حين ترى تعالي جماعة على جماعة في المجتمع فليس ذلك بالمجتمع التوحيدي.

الإيمان بالتوحيد يعني رفض العبودية لغير الله، إذ لا تجتمع عبودية الله مع عبودية غير الله، فالإنسان في منظار التوحيد متحرر من أية عبودية سوى عبودية الله.

لقد أدرك الإنسان المسلم هذه الحقيقة منذ انبثاق الرسالة، إذ نجد لها على لسان ربي بن عامر^٢ حين دخل على رستم (قائد جيوش يزدجرد الساساني)، وقد زينوا مجلسه بالنهارق المذهبة، والزراي الحرير، وأظهر اليواقيت واللاآلئ الثمينة والزينة العظيمة، وقد جلس على سرير من ذهب. دخل ربي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة.. فقالوا له ماجاء بكم؟ فقال: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..».

وما معنى عبادة العباد؟ نراها واضحة في تصرف الطواغيت مع الشعوب. يروى أن رجلاً في عصر الأخمينيين (الملوك الذين سبقوا الساسانيين في إيران) كان له أربعة أولاد، طُلبوا لكي يخرجوا مع الجيش المقاتل، فتوسّل بالسلطان أن يُبقي أحد أولاده عنده لأنه شيخ عجوز لا يقدر لوحده على إدارة أموره. فلم يحصل على جواب وأُخرج من مجلس السلطان. وحينما توجهت الجيوش إلى بوابة المدينة، وجدوا أن الابن الرابع الذي طلب والده أن يبقى عنده قد شُقَّ جسده شقين، وعُلّق كل شقّ على جانب من البوابة!! كي لا يجرؤ أحد على المطالبة بإعفاء ابنه من الحرب. هذه هي العبودية. لا يحقّ للإنسان أن يطالب بأدنى حقوقه، لا يحقّ له أن يطالب بالعدل والإنصاف، لا يستطيع أن يعبر عن فكره وإرادته. مثل هذه الحياة هي أسوأ أنواع العبودية. هذه العبودية أسوأ من عبودية استرقاق الناس في منطقة معينة وبيعهم في أسواق النخاسة.

١- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله أذهب نخوة العرب وتكبرها بآبائها وكلكم من آدم وآدم من تراب وأكرمكم عند الله أتقاكم» المصدر نفسه، كتاب الكفر والإيمان، أبواب مكارم الأخلاق، باب ٥٦، ح ١٠.

٢- مبعوث الجيش الإسلامي

«من عبادة العباد إلى عبادة الله» وما معنى عبادة الله؟ يعني التحرر، يعني أن تكون سيد نفسك، يعني الحركة نحو الكمال بحرية وبمقدار ما تريد. وهكذا كان الناس في المجتمع الإسلامي، كانوا عباداً لله لا عبيداً للقوى المهيمنة، حتى في العصور التي انحرفت فيها المسيرة الإسلامية كان المسلمون يعيشون عبيداً لله دون سواه.

كان الحاكم يخاطب الناس فيما يروى: «أيها الناس من رأى فيّ اعوجاجاً فليقومه» فيجيبه رجل: «والله لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيفونا» ولا يتعرض هذا الرجل للأذى ولا للسجن.. هذه هي الحرية.. ليست الحرية انفلاتاً من القانون، بل هي الالتزام بالقانون الصحيح فلا انصياع إلا للحق. إن كان الحاكم على حق في تصرفاته، وعلى هدى من ربه فكلامه مقبول، وإلا فهو مرفوض.

«لنخرج من شاء... من ضيق الدنيا إلى سعتها» المجتمع الذي يفقد الرؤية الصحيحة، لا يرى فيه الفرد سوى متطلباته الدنيوية ولذائذه المادية ومصالحه الآنية التافهة. لم يكن أفراد المجتمع في عهد يزيد مجرداً راضين بأجمعهم عن هذا الحاكم، كان فيه كثير من الساخطين، لكنهم خافوا أن يعلنوا معارضتهم كي لا يخسروا هذه التوافه التي يلهون بها في حياتهم، كي يأكلوا المزيد، ويتمتعوا بالمزيد من هذا العيش الوبيء، لم يكن الفرد في هذا المجتمع على استعداد لأن يهّم بعمل من أجل حريته ومن أجل شرفه وأصالته وفضيلته الإنسانية. لماذا؟ لأن أفق الرؤية ضيق.. الدنيا ضيقة في رؤيته.

و حين تشرف هذا الإنسان بالإسلام، أصبح كل شيء عنده مقدمة لهدف كبير.. لحياة رحبة واسعة.. لا أقصد الحياة بعد الموت، بل في هذه الحياة الدنيا أصبحت رؤيته واسعة بسعة الله. كل شيء يريد من أجل رضا الله. لذائد الدنيا وحطامها ماعادت لديه ذات قيمة وأصالة، قيمتها تكتسبها حينما تكون «في سبيل الله». الدنيا والآخرة متصلتان في الفكر الإسلامي. وليس للحياة نهاية في نظر الإنسان المسلم فهي واسعة واسعة. والموت نافذة يطلّ منها الإنسان المسلم على نعيم الآخرة عندئذ يهون الموت عنده.

أشير إلى أن آية الكرسي التي تناولناها في الجلسة السابقة هي شعار رائع للتوحيد، ولعلّ هذا هو سبب التأكيد على تكرار تلاوة هذه الآية المباركة. ونبدأ بآيات هذه الجلسة، وأولها الآيات ١٦٥-١٦٦ من سورة البقرة، وفيها تصوير لأحدمشاهد القيامة، وترتبط تمامًا بمسألة التوحيد.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ يتخذون من دون الله شركاء من البشر أو من غير البشر.

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ هؤلاء يحبون هذه الأنداد كالحب الذي يجب أن يحملوه تجاه الله. لكن الذين آمنوا يحبون الله حبًا هو أشدّ من ذلك الحب الذي ينجذب إليه المنشدون بظواهر الحياة الدنيا وبالآلهة المزيفة، وبالآلهة الشهوات، وبالآلهة التي تتربع على صدر المجتمعات.

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وينتقل المشهد فجأة إلى يوم القيامة، حيث يُحشر فيه الناس العابدون منهم الله والعابدون لغير الله. والذين ظلموا يرون العذاب، ولا نعرف طبيعة هذا العذاب، ولا نستطيع أن نتصوّر كيفيته، ففي هذه الحياة الدنيا لا يمكن أن نفهم طبيعة ما يجري في الآخرة، فنكتفي بما أخبرنا الله به. حين يرى الظالمون العذاب، يرون أن القوة يومئذ بأجمعها لله تعالى. في هذه الدنيا لكلّ فردٍ درجة من القوة، هناك من يمتلك قوة أكثر وهناك من يمتلك قوة أقل. ومن الطبيعي أن يتمتع الظالمون في الدنيا بقوة أكبر، وهذا الذي يعبد الظلمة يمتلك أيضًا في تصوّرة قوة لأنه ارتبط بقوة أكبر. ولكن هؤلاء جميعًا حين يرون هول الآخرة فإنهم يرون أن القوة لله جميعًا حيث كل شيء بيده: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^١. هؤلاء الظالمون، وهؤلاء الذين كانوا يعبدون الظالمين يرون فجأة أن كل ما كانوا يتمتعون به من قوة وسلطان وقصور وحياة مرفهة لم تكن إلا فراغًا في فراغ، وليس لأحد يومئذ قوة أمام قوة الله. والظالمون هم — كما ورد في بعض تفاسير القدماء — هم من الذين خضعوا لغير الله، هؤلاء

قد ظلموا فى هذا الخضوع. هؤلاء حين يرون العذاب ويرون أن القوة لله جميعاً، فإنهم لا شك يندمون، وهذا هو الخبر المقدر لأداة «لو»، يندمون على خضوعهم للظالمين، ويرون أنهم لا حول لهم ولا قوة. ولو كانوا من أهل الاعتبار لعلموا أنهم فى هذه الدنيا أيضاً لا حول لهم ولا قوة.

بعدها ينتقل المشهد إلى مجموعتين: مجموعة عبدت المجموعة الأخرى، أي أطاعتها إطاعة عمياء. هاتان المجموعتان تتواجهان:

﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ المتبعون يتبرأون من التابعين، حين يرون العذاب وحين تقطعت بهم الوشائج والصلات. حينئذ يقول يزدجرد: إلهي أنا بريء من هؤلاء الذين عبدوني فى حياتي. تصوروا كم أن هذه البراءة ثقيلة على قلوب التابعين الذين يرون أنهم خسروا الدنيا والآخرة.

﴿وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا﴾ هؤلاء يدركون عندئذ أنهم كان عليهم أن يتبرأوا من هؤلاء الطواغيت لا أن يكونوا لهم تابعين ذليلين، فيتمنون أن يعودوا إلى الحياة بهذه التجربة المريرة.

﴿كذلك يريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ والمسألة التي أردنا تبينها هنا هي أن هؤلاء الذين ينالهم عذاب عبودية غير الله، أي الذين يمارسون ما يتعارض مع التوحيد هم فى التعبير القرآني: التابعون ﴿اتَّبِعُوا﴾. والحمد لله رب العالمين.

الجلسة العاشرة

العبادة والطاعة منحصرة بالله

السبت ١١ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/٦ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ
الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ
السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾

(يونس / ٣٠-٣١)

ذكرتُ أن مبحث التوحيد في القرآن الكريم هو أطول بحث فيه. حتى موضوع النبوة بكل تفاصيله وقصصه يستند في مواضع منه إلى التوحيد ورفض الشرك. الآيات في حقل التوحيد فريدة في أسلوبها وعددها، والموضوعات فيه كثيرة نكتفي هنا بتناول بعضها مستشهدين بما جاء في الذكر الحكيم.

وإذ قرنا أن التوحيد عقيدة تستتبعها التزامات ومسؤوليات وتكاليف، فلا بد أن نعرف طبيعة هذه الالتزامات والمسؤوليات والتكاليف. التوحيد لا يتلخص في الذكر والصلاة، بل إن المجتمع الموحد يتضمن أهم المسائل الحياتية مثل الحكومة والاقتصاد والعلاقات الدولية والعلاقات الاجتماعية والحقوق الأساسية. نعتقد أن الالتزام بالتوحيد والمسؤولية الملقاة على عاتق الموحد تشمل التكاليف الأساسية والحقوق الأساسية للمجتمع. فتركيب المجتمع التوحيدي يختلف عن تركيب المجتمع غير التوحيدي. النظام الاجتماعي والشكل الاجتماعي للمجتمع التوحيدي يتباين بشكل كامل عن المجتمع غير التوحيدي ويتعارض معه.

يمكن أن نعرض التوحيد على شكل ميثاق: «ميثاق التوحيد» ونذكر مواد هذا الميثاق، وأول هذه المواد أن البشر لا يحق لهم أن يعبدوا أي شخص أو أي شيء إلا الله. وحين نقول: أي شخص أو أي شيء فإن أبعاد ذلك واسعة.

﴿الْمَأْهَدُ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^١ والشيطان ليس إبليسًا أو موجودًا خفيًا لا يبدو للناظرين. الشيطان مفهوم عام للقوى الشريرة الخارجة عن وجود الإنسان، وهناك قوة شريرة داخل وجود الإنسان وهي النفس الأمارة بالسوء، كلاهما قوتان مفسدتان شريرتان تبعثان على الانحطاط. الشيطان خارج وجودك يُجَلِّ في مسيرتك. يضرم النار ويزرع الشوك في طريقك. يقف مثل الذئب أو مثل قاطع الطريق، أو يُوجد الذئب وقاطع الطريق أمامك. هذا هو الشيطان. وسنذكر في مبحث النبوة أن أنبياء الله كان لهم أعداء من شياطين الجن والإنس^٢ وسنذكر خصائص هؤلاء الأعداء.

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ أي أن لا تخضعوا لهذه القوى الشريرة. ثمة حديث ربما سمعتموه مني كرارًا عن الإمام محمد بن علي الباقر^(ع) فيما رواه الكافي تحت عنوان حديث قدسي جاء فيه: «لَأُعَذِّبَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ دانت بولاية كلِّ إمام جائر ليس من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها برّة تقيّة، ولأَعْفُونََّ عن كلِّ رعيّة في الإسلام دانت بولاية إمام عادل من الله وإن كانت الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة»^٣.

فالطاعة للإمام الجائر الذي لا يستمد ولايته من الله سبحانه هي في حدّ الشرك أو هي الشرك عينه. ذلك لأن الطاعة لإمام عادل من الله يدخل في إطار العبودية، والطاعة لإمام جائر ليس من الله يتنافى مع العبودية، ويتعارض مع الهدف الذي خلق الإنسان من أجله. يتعارض مع تكامل الإنسان وتعالیه وحرّيته وكرامته. والحرية مقدّمة للسموّ والرقّي، وإن انعدمت الحرية فثمة قيود الأسر التي تكبّل الإنسان وتصدّه عن حركته نحو الهدف الإلهي المنشود. مثل نبتة مُنَع عنها عامل النموّ فلا تستطيع أن تنمو، وإذ عجزت عن النمو فإنها لا

١- يس/ ٦٠

٢- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ الأنعام/ ١١٢.

٣- الكافي، كتاب الحجّة، باب من دان الله عزوجل بغير إمام من الله، ح ٤.

تثمر، وإن فقدت الإثمار لم تُعد لها فائدة. وجود النبتة هدفه الإثمار، وإن لم تثمر فما الفائدة من وجودها؟! والطاعة لغير الله والعبودية لغير الله هو نظير مثل هذه الآفات للإنسان. والقرآن حافل بآيات في هذا الصدد.

دعونا نعد إلى القرآن الكريم، لنملاً قلوبنا بنداء التوحيد، ولقد ابتعدنا عن القرآن الكريم وانشغلنا بأوهام واهية فارغة لا أساس لها مقرونة بخرافات، ولذلك فإن هذا الفراغ لم يقاوم أمام التيارات المادية.

ومن جانب آخر انشغلنا بأبحاث فلسفية جافة لا روح فيها ولا تأثير ولا مسؤولية في حقل التوحيد. المتكلمون خاضوا بحوثاً كثيرة في التوحيد لكنها لم تُجد نفعاً في إقامة مجتمع توحدي. مئات السنين انشغلوا بدراسات جافة لها ظاهر جذاب دون أن يكون لها محتوى وتأثير.. بمعزل عن الواقع الخارجي. واليوم حين نريد أن نبني حياة جديدة مستمدة من التوحيد لا نرى في تلك البحوث أي ارتباط بالحياة «كالحجر في جنب الإنسان» كما يقال. أما لو عدنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أبعاد بناء المجتمع التوحدي مرسومة ضمن مئات الآيات بأوضح صورة وأنصعها. عندئذ يتبين معنى الحياة التوحيدية والإنسان الموحد. إذن فلنتدبر هذا القسم من الآيات التوحيدية.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾^١ الحديث عن يوم القيامة، يتجه الخطاب إلى الذين أشركوا بلغة تهكمية تتضمن لومًا وتقريعًا: أنتم وشركاءكم، ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ أي فرّقنا بينهم. واضح أن هؤلاء الشركاء، أي الذين عبدوا من دون الله، ليسوا هم هُبل والعُزى واللات، ولا الأصنام اليونانية أو الهندية، إذ لا تحشر هذه يوم القيامة، بل الحديث عن أناسٍ اختارهم المشركون ليكونوا شركاء لله. قفوا في مكانكم.. خطاب فيه سخط وتقريع، والهدف منه أن يقول للعرب وللعجم في هذه الدنيا إن هؤلاء الذين اتخذتموهم أرباباً من دون الله سيكون مصيرهم على هذا النحو يوم القيامة.

﴿وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانًا تَعْبُدُونَ﴾ مشهد مواجهة بين فريقين. هؤلاء الشركاء يدافعون

عن أنفسهم وكأنهم متهمون، يحاولون أن يبرّثوا أنفسهم. وحديثهم يدل على أن التابعين يقولون لهم: نحن عبدناكم وكان ذلك سبب ما نزل بنا من كارثة، والمعبودون يجيبونهم بجفاء ويتبرأون منهم ﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿١٠﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾، يكفي أن يكون الله شهيداً بيننا نحن الشركاء وأنتم المشركون، إذ كنا نحن غافلون عن عبادتكم إيانا. ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ هناك تُختبر النفوس عما فعلت، ورُدَّ الجميع إلى الله فهو المولى الحق لا غيره.

﴿وَصَلِّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ كانوا يفترون الأعذار ويختلقون الأدلة لتبرير عبادتهم لما سوى الله. وحين يأتي يوم القيامة يرون أن هذه الأعذار وهذه الأدلة باطلة واهية. وقد يكون معنى هذا المقطع من الآية أن هؤلاء الذين كانوا يستظهرون بهم ويعتبرونهم سنداً لهم في الدنيا.. هؤلاء الذين كانوا يعبدونهم ويطيعونهم كي يكونوا لهم ظهيراً، قد تبين أنهم لا يُجدون نفعاً ولا يرفعون عنهم وزراً.

انظروا إلى طريقة القرآن في الاستدلال. لا يعمد أحياناً إلى تقديم الدليل مباشرة، بل يوفّر الأرضية للاستدلال العقلي. يريد سبحانه أن يقرّر أن الله وحده يستحق العبودية دون سواه، فيطرح على الإنسان هذا السؤال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ﴾ من يرزقكم المطر من السماء والنبات من الأرض؟ ومن يملك ما عندكم من قوة السمع وقوة الإبصار. من أعطاكم هذه القوة، ومن يستطيع أن يسلبكم هذه القوة؟! وفي الآية إشارة إلى ما عند الإنسان من قوة فهم وتعقل يستطيع بها أن يجيب على هذا السؤال.

﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ وخروج الحي من الميت له مظاهر مشهودة في حياتنا، امرأة حامل تتوفي ويخرج وليدها حياً من أمه الميتة. يُخرج من الأرض الميتة هذه النباتات الحية. ويخرج من المواد الميتة الإنسان الحي.. خروج الحي من الميت من أجل مظاهر قدرة رب العالمين.

﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الأُمْرَ﴾ في الكون مالا يحصى من مظاهر التدبير المشهودة.. هذه الجاذبية التي توفر للإنسان البقاء عليها.. هذه الأرض والجبال والبحار التي أودعت فيها مواهب الحياة.. هذه القدرة الممنوحة للإنسان التي تمكّنه من استئثار هذه المواهب.. هذا النظام

المدهش الموجود بين الكواكب.. هذه الفواصل الدقيقة بين القمر والأرض وبين الشمس والأرض.. وبدون هذه الدقة في الفواصل تنعدم الحياة على الأرض سواء زادت هذه الفواصل أم نقصت.

لقد كان الإنسان في عصر صدر الرسالة يدرك جانبًا من هذا التدبير ونحن اليوم بفضل تطور العلوم ندرک المزيد وسندرك المزيد.

﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ لا يمكن لإنسان يرى كل هذا التدبير في الكون ثم ينكر الخالق المدبّر. إذن فلماذا لا تتقون؟ لماذا لا تتجهون في العبودية إليه دون سواه؟ إذا كنتم تقرّون بتدبيره التكويني فلماذا لا تقرّون بتدبيره التشريعي. وفي جلسته أخرى كنت أتحدث عن قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ ما معنى الملّك؟ يعني أنه هو الذي بيده القوة. أية قوة؟ القوة التكوينية والقوة التشريعية. إنه بيده سبحانه قدرة تصريف هذا الكون وفق سنن وقوانين طبيعية. فلماذا لا تكون بيده قدرة التشريع، لماذا لا تكون بيده قوانين تنظيم الحياة الاجتماعية؟ لماذا لا يكون المحافظ على تنفيذ هذه القوانين في الحياة الاجتماعية من يراه صالحًا لهذا الأمر. ومن هو وليّ من قبل الله؟! لماذا يترك هذا الأمر الحياتي للبشر بكل ما يعترتهم من نقص؟! ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾؟! ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾^١ هل يوجد بين هؤلاء الذين زعمتم أنهم شركاء لله من يهدي إلى الحق؟! ومن الواضح أن هؤلاء الشركاء المذكورين في الآية ليسوا الأصنام الخشبية أو الحجرية. فهذه لا يحتمل أحد أنها تهدي إلى الحق. بل المقصود هذه الأصنام الحية التي بيدها القدرة الدينية أو الدنيوية.. المقصود أمثال شريح القاضي وفرعون في زمانهم أو في كل زمان.

ولا يذكر القرآن جوابهم. ولعل لجأهم قد أدى بهم إلى أن يقولوا: نعم، شركاؤنا قادرون أن يهدوا إلى الحق، فيأتي الردّ عليهم ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ فالله هو خالق البشر ويعلم دقائق الحق وهو القادر على هدايتهم إليه.

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا سؤال يثير نتيجة طبيعية يمكن فهمها عقلياً. هل الهادي إلى الحق جدير بالعبادة والطاعة، أم الذي لا يستطيع أن يجد طريقه إلا أن يأخذ أحد بيده؟ وهنا أيضاً يجري الحديث عن المتبوع الذي لا يستطيع الهداية. هل المقصود به أصنام قريش، أم بقر الهندوس أو نيران المجوس أو تماثيل الكنائس أو أصنام الروم واليونان؟ حتماً لا، المقصود به ذلك الإنسان الذي يتبعه المشركون، وهو غير قادر على الهداية. هذا الذي يدعي قيادة البشر بينما هو يحتاج إلى من يقوده. القرآن يقرر في الآية هذه الحقيقة وهي إن الله سبحانه هو الذي يستطيع أن يقود الإنسان نحو السعادة، فلماذا أيها الإنسان تفسح المجال لغير الله في دائرة العبودية؟! الآية ترفض الآلهة المزيفة، ترفض أولئك الأصنام البشرية على مر التاريخ، سواء من تلبس بلباس القدرة الدينية (الأحبار والرهبان) أو من تلبس بلباس القدرة الدنيوية (الملاّ والمترفون).

والإسلام يعرض على أهل الكتاب اقتراحاً برفض القوى المتعلقة التي تنصب نفسها مكان الربوبية:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾^١.
والحمد لله رب العالمين.

الجلسة الحادية عشرة
روح التوحيد رفض العبودية لغير الله
الأحد ١٢ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية
١٣٥٣/٧/٧ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

(الأنعام / ١١٤-١١٥)

مرة أخرى أؤكد على أن التوحيد مسألة على غاية من الأهمية، ولا يجوز أن نمرّ عليها بعجالة، إذ إنها أساس العقيدة أولاً، وهي الأصل المهم العملي الفردي والاجتماعي ثانياً، ولأن المسلمين الموحّدين قلماً يقتربون من المفهوم الواسع للتوحيد ثالثاً. ففي محافل التعليم يذكرون التوحيد على أن الله واحد وليس اثنين. ويبقى هذا المعنى يرافقهم طول حياتهم. الآيات التي تلونهاها في بداية الجلسة توضح ما ذكرناه أمس أكثر. نقف اليوم عند «العبادة». ما يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى من العبادة هو التوجه بأداء الطقوس لمعبود مقدس له قوى فوق قوى عالم الطبيعة. هذا هو المعنى السائد للعبادة عند أتباع الأديان. لكن للعبادة معنى ثان، وهو الطاعة المطلقة دونها قيد أو شرط. وهنا مكنم الخطر في دنيا الموحدين. عليهم أن يحذروا من هذا النوع الثاني من العبادة. عليهم أن يحذروا من أن يكونوا تابعين إلى حدّ العبادة لما سوى الله. هذا ما يقرره القرآن الكريم. روي عن عدي بن حاتم الطائي^١

١- عدي بن حاتم الطائي، تولى زعامة عشيرته بعد والده، أسلم في التاسعة من الهجرة متأثراً بأخلاق رسول الله. ثم كان مع الإمام علي في الجمل وصفين والنهروان. وقدم أبناءه الثلاثة شهداء في صفين، وتوفي سنة ٦٧هـ.

قال: أتيت رسول الله (ص).. وهو يقرأ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾^١ حتى فرغ منها فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. فقال: «أليس يجرمون ما أحلَّ الله فتحرمونه ويحلّون ما حرّم الله فتستحلّونه؟!».

لقد كانت العبادة في ذهن عديّ هو هذا المعنى الرائج في الأذهان اليوم وهو التوجه بالدعاء مقرونًا بالتقديس القلبي، أو القلبي واللساني، أو القلبي واللساني والبدني كالصلاة. فكان من الطبيعي أن يعترض ويقول: نحن المسيحيين لسنا نعبدهم. لكن جواب الرسول (ص) كان: «أليس يجرّمون ما أحلَّ الله فتحرمونه ويحلّون ما حرّم الله فتستحلّونه؟! هذه الإطاعة التامة المطلقة هي العبودية. وفي هذا المضمون وردت روايات عن أهل البيت أيضًا^٢.

مفهوم العبادة في الثقافة القرآنية يشمل كل طاعة مطلقة للإنسان تجاه قوة تضع نفسها مكان الله سواء كانت سياسية أم دينية، أم في داخل الإنسان كالأهواء والشهوات. وفي الرواية عن الإمام محمد بن علي الجواد^٣: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده» وهذا النص يوسّع دائرة العبادة لتشمل كل من أسلم قيادة سمعه إلى ناطق «فإن كان الناطق عن الله عزّ وجل فقد عبده الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس»^٤، أي إن كان الناطق يتجه في حديثه نحو الله فالمستمع قد عبده الله، وأما إن كان ينطق باسم الشيطان، أي كان حديثه معارضًا لمنطق عبودية الله، فالإصغاء إليه عبادة للشيطان، لأن مثل هذا الناطق هو بنفسه شيطان.

«القانون» مما يكون طريقة للعبادة. إن كانت تبعيتك لقوانين النظام الاجتماعي التي قررها الله سبحانه فقد عبدت الله وإن لم تكن فقد انحرفت عن عبادته سبحانه. انظر إلى أهمية التوحيد وأبعاده الواسعة!، لذلك فإن هدف الأنبياء جميعًا هو أن تكون أمهم موحدة. وليس التوحيد سوى تحرير الإنسان من أغلال عبودية غير الله: ﴿وَيَصْغُ

١- التوبة/ ٣١

٢- تفسير نور الثقلين، ذيل الآية ٣١ من سورة التوبة.

٣- تحف العقول، ص ٤٥٦ عن الإمام الجواد^٤.

عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ»^١.

حين يسود التوحيد بهذه النظرة في مجتمع من المجتمعات فإنه يقيم ذلك المجتمع في بُناه التحتية والفوقية وفق أصول وقيم محددة. وما أبعد هذا الفهم للتوحيد عن حصر معنى التوحيد بعبارة إن الله واحد وليس اثنين!!

قبل أن أدخل في استعراض آيات في التوحيد، أقف عند توصية ذكرتها مرارًا، وأرى ضرورة تكرارها لأهميتها ولشعوري بالمسؤولية إن لم أعد ذكرها. وهي ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم. ذلك البحر من أيّ النواحي أتيته^٢. اجلسوا على مائدة القرآن. ففيه زاد التوعية والكمال كما يقول أمير المؤمنين في عبارة نهج البلاغة: «ما جالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى أو نقصان في عمى»^٣.

أهمية هذه التوصية هي وجود مكائد لإبعاد الناس عن القرآن. ومن تلك هذه التي تقول لا يمكن أن يفهم القرآن إلا الأئمة المعصومون (عليهم السلام). هذه «كلمة حق يُراد بها باطل»^٤؛ كما قال الإمام أمير المؤمنين^(ع) في حقّ خوارج نهران. نعم إن المعصوم بما يتحلّى به من سموّ وارتفاع هو النموذج الأسمى لفهم القرآن، بل إنه قرآن حيّ يمشي على الأرض. ولكن ذلك لا يعني أنني أنا وأنت لا نفهم شيئًا من القرآن، وأن نكون بعيدين عن كتاب الله العزيز.

أصحاب هذه المقولة محرومون من فهم القرآن، فلماذا يسعون إلى إبعاد الناس عن فهم القرآن؟! لماذا تمنعون الناس أن ينهلوا من هذا النبع الفيّاض؟! اعلموا أيها الإخوة والأخوات نحن اليوم بحاجة أمسّ إلى القرآن. كما قال رسول الله^(ص): «فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن»^٥، عليكم بالقرآن حين تحيّم الفتن وتلقي بظلامها على المجتمع، حينما نفتقد الرؤية لمعرفة الجادة الصحيحة.. حينما لا ترى الأعين ما تكيده

١- الأعراف/ ١٥٧

٢- هو البحر من أيّ النواحي أتيته فلُجّته المعروف والبحر ساحله.

٣- نهج البلاغة، شرح صحي الصالح، الخطبة ١٧٦، المواظ وفضل القرآن.

٤- المصدر نفسه، الخطبة ٤٠.

٥- الكافي، كتاب فضل القرآن، ج ٢.

لنا عصابات النهب وقطاع الطرق. في هذه الحالة نحو أحوج ما نكون إلى مراجعة القرآن. وذلك لا يتحقق إلاّ بفهمه.

في هذه الجلسة تناولت قسمين من الآيات التي ترتبط ببحثنا، وأوصيكم أن تعودوا إلى القرآن. تعلموا لغة القرآن.. تعلموا اللغة العربية، وإن تعذّر عليكم فهم العربية فتوسلوا بترجمة معاني القرآن. كونوا بالقرآن مأنوسين ومعه أصدقاء مرافقين. وكل ساعة تمرّ دون أنس بالقرآن هي خسارة في العمر وحسرة.

وفي قراءة القرآن وفهمه يجب ملاحظة طريقة القرآن في طرح المفاهيم. فهو ليس مثل التأليفات المعهودة التي تقسم النص إلى فصول بل إنه خطاب للنفس البشرية على مرّ العصور، فمن سياق القرآن نستطيع أن نجد الموضوع الذي نبحت عنه.

القسم الأول من الآيات هي من سورة الأنعام:

﴿أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَتَّبَعِيَ حَكْمًا﴾ والحكم هو الذي يقضي بين الناس، وقيل هو الحاكم. فهو خير الحاكمين. ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^١ هو الخالق، وهو الأمر.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ أي مبيّنًا تبيينًا كاملاً لا خلط فيه.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ فلا مجال لمن يعلم أن هذا القرآن نازل من رب العالمين أن يكون في تزلزل وتردد. بل في عزم وثبات.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لقد أرسل رب العالمين رسله لتبلغ البشرية بالتدريج مرحلة الكمال. ثم جاء دور الرسالة الخاتمة لتفتح الطريق أمام حركة البشرية إلى اللانهاية: ﴿إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وبذلك تمت كلمة ربك، ولا مبدّل لهذه الكلمات ولما وضعه للبشر من مقررات.

﴿إِن تَطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^٢

انظر كيف يتدرج الخطاب القرآني. فقد بدأ في الآية الأولى من المقطع الذي اخترناه بتقرير الحكومة والحكومية، وهي أولى من غيرها.

١- الأعراف/ ٥٤

٢- الأنعام/ ١١٦

روح التوحيد رفض العبودية لغير الله ■ ١٣٥

ثم بعدها قرر مسألة عدم تبديل كلمات الله، فقد تمت بالصدق والعدل ولا لأحد حقّ تبديلها. والآية التالية فيها التحذير من إطاعة أهل الأهواء والمشتبهات والظنون، فالطاعة لله وحده دون سواه.

طاعة المدارس الفكرية الأراضية فيها الضلال عن جادة الصواب، لأن أصحابها تقوم مشاريعهم على الظن: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^١ ولا تقوم إلا على أساس الأوهام: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، ولقد رأينا انبيار كثير من هذه المدارس. فقد أقامت كيانها على النظريات والفرضيات مدعية أنها القادرة على إدارة المجتمعات البشرية، ثم تبين زيفها. بينما رب العالمين يضع أمام البشرية ما يقوم على أساس العلم ليهدئها سواء السبيل ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^٢.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ قد يستغرب الإنسان حين يتلو هذه الآية بعد تلك الآيات التي ركزت على موضوعات عامة ترتبط بإطاعة الله وعدم اتباع الظن وبشأن إتمام مسيرة الأنبياء. فما هذا الانتقال المفاجئ إلى الحديث عن أكل الذبيحة التي ذكر اسم الله عليها، وهي مسألة فرعية!!

في ذهني أفكار تجعل الآيات السابقة مرتبطة بهذه الآية، ولكن لا أقطع بها، فالمجال مفسوح لمزيد من التدبّر والتأمل. ما يخطر في الذهن هو:

الأول: في نظر ربّ السماوات والأرض تتساوى الأمور الكلية العامة والجزئية وتصبح في مستوى واحد، إذ إنه أسمى من هذا العالم وهو سبحانه في أفق يفوق تصور الإنسان. فهو حين يقرر ما يرتبط بسعادة الإنسان تستوي في ذلك المقررات الكلية والجزئية، وتستوي المقررات المرتبطة بالفرد أو المجتمع.

ثانياً: لو أمعنا النظر في مسألة الذبح وتذكية الذبيحة وذكر الله عليها، فإنه يلفت نظرنا في البداية أن المشركين كانوا ينحرون في سبيل أصنامهم ومعبوديهم، وأن الأصنام الدنيوية تصرّ على ذكر اسمها في دياجة أي عمل من الأعمال. وحين يقوم الإنسان بعمل من أجل

١- الجاثية/ ٢٤

٢- الأنعام/ ١١٧ - ١١٨

هوى نفسه ولمصالحه الشخصية فإنه يتجه في عمله نحو ما خطر في ذهنه من ذلك العمل. أما حين يبدأ العمل باسم الله فإن اتجاه ذلك العمل يتناسب مع ما أمر الله. الآية تقرر أن يأكل الإنسان مما ذكر اسم الله عليه. أي في تناول الطعام الضروري لحياة الإنسان يجب أن يكون الهدف هو «الله» لا ملء المعدة بالطعام. حين يكون الهدف هو إشباع المعدة فإنك تبتعد عن الله، أما إذا كان الهدف هو الله فإن ملء المعدة لا يكون أصلاً بل الأصل هو الله. لذلك يأبى الإنسان الموحد أن يملأ بطنه بخلاف ما يرى الله، حتى ولو بقي جائعاً.

ابدأ كل أعمالك الخاصة والعامة باسم الله كي يتعين تجاه حركتك في هذه الأعمال.. كي تكون أعمالك في سبيل الله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾^١ في كل أعمال الصغيرة والكبيرة اتجه إلى الله وحده دون سواه.

إذن ذكر الله على الذبيحة «رمز» لتوجه الإنسان لله في احتياجاته الأساسية. إنه حكم فقهي له دلالاته على أن الإنسان في تلبية احتياجاته يجب أن يكون متجهاً في سبيل الله. وحين تزيل عنك الجوع باسم الله، وتذبّ الطاقة في وجودك بهذا الطعام، فإن استهلاك هذه الطاقة سيكون أيضاً في سبيل الله، انظر بدقة.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾^٢ فقد بين الله سبحانه محرماته بالتفصيل في المأكولات إلا ما كان في حالة الاضطرار. ولا مجال في هذا التحليل والتحریم أن يتدخل من يضلّ الناس بدافع هواه. والله أعلم بالمعتدين الذين يضلون الناس بأهوائهم بغير علم.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ هناك من الذنوب والآثام ماهي سيئاتها ظاهرة، مثل قتل النفس بدون حق. وهناك ما هي سيئاتها غير ظاهرة، ولا يعلم الإنسان حجم تبعاتها مثل التحدث بدون علم، والاتباع بدون علم، والاستخفاف بذكر الله، والطاعة لغير الله.. مثل هذه الأمور يخال الإنسان أنها ليست مضرّة

١- الأنعام/ ١٦٢ - ١٦٣

٢- الأنعام/ ١١٩ - ١٢١

بالقدر الذي يجب الاحتراز منها. غير أن الآية تؤكد ضرورة اجتناب ظاهر الإثم وباطنه و
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ الشياطين وأقطاب الشرّ يوحون إلى أتباعهم
والسائرين في ركبهم كي يجادلوكم، ويدخلوا معكم في مناقشات خادعة. وما هو موقفكم
أنتم منهم؟ وهنا بيت القصيد. ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ بكل صراحة ووضوح
إطاعة هؤلاء هو الشرك. إطاعة الشيطان الذي هو قطب مقابل الرحمن، وإطاعة أولياء
الشيطان، أي عملائه ومأجوريه وأصدقائه يؤدي إلى الوقوع في حبال الشرك.

القسم الثاني من الآيات مقتطف من سورة الشعراء. وفيه تبيين لكثير من المفاهيم بصورة
حوار على الطريقة القرآنية في تجسيم ما يريد تقديمه من معارف. وبهذه الطريقة يستهدف
القرآن الكريم أن يعمّق هذه المفاهيم في المشاعر والقلوب.

في هذه الآيات تصوير لمشهد من مشاهد يوم القيامة. وأسلوبه باستخدام الفعل الماضي،
وهو بمعنى المضارع المحقق الوقوع، كما في قوله سبحانه: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^١
الآيات التي نحن بصددتها تقول:

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ • وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ • وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ • مِنْ
دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُوكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ • فَكُفِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ • وَخُنُودٌ إِلَّا لَيْسَ أَجْمَعُونَ﴾^٢.

فالجنة قد أصبحت في تناول المتقين، وبرزت جهنم للضالين المخدوعين. ثم يتجه السؤال
للغاوين يقول لهم: أين هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون الله؟ أين تلك الأقطاب التي
انشدّت قلوبكم إليهم.. انظروا إلى تعبير ﴿تعبدون﴾.. ترى من هؤلاء الذين كانوا يعبدونهم؟
من هنا يتبين معنى العبادة. هل يستطيع هؤلاء المعبودون أن يساعدوكم أو يساعدوا أنفسهم؟
من الواضح أن هؤلاء يحتاجون إلى مساعدة.. أي إنهم بشر.. من نوع الإنسان، لا من نوع
الحجر والخشب. هؤلاء المعبودون والضالون المخدوعون بهم، وخنود إبليس وأعوانه الذين
سعوا لإضلال الناس.. هؤلاء جميعًا يلقون على وجوههم في نار جهنم.

١- القمر / ١

٢- الشعراء / ٩٠ - ١٠٣

ثم ينتقل المشهد إلى اختصام بين هؤلاء في جهنم:

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ • تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ • اِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ • وَ مَا اَضَلَّنَا اِلَّا الْمُجْرِمُونَ • فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ • وَلَا صٰدِقٍ حَمِيمٍ • فَلَوْ اَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُوْنُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ • اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَايَةً وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَ﴾.

في هذا الاختصام يحاول كل فريق أن يلقي باللائمة على الفريق الآخر: المعبودون والغاوون. والكلام هنا للغاوين المخدوعين الضالين يفهمون ويقسمون أنهم كانوا في ضلال مبين، ويأسفون على ما فاتهم من صحوة ووعي ليفهموا أنهم كانوا منحرفين. يقولون لمعبودهم: إنا كنا نجعلكم في رتبة رب العالمين. كنا نخشاكم بينما كان ينبغي أن نخشى رب العالمين. كنا نطيعكم بينما كان الواجب أن نطيع ربّ السماوات والأرض. كنا نتقرب إليكم بدل التقرب من الإله الحق. كنا نرتزق منكم بينما الأرزاق بيد فاطر السماوات والأرض. يقولون قد أضلنا المجرمون. وقد تخلوا عنا اليوم، فليس لنا من يشفع لنا وليس لنا صديق حميم.

عندئذ يتمنون أن تكون لهم عودة إلى الحياة الدنيا ليكونوا من المؤمنين. هذا الاختصام فيه آية ودلالة على تجربة مرّ بها هؤلاء الغاوون حيث لم يكن أكثرهم مؤمنين. في هذه الآيات حديث عن أشخاص كان الناس يعبدونهم. ويامعان النظر نرى أن هذه العبادة ليست سوى اتباع هؤلاء وجعلهم في مرتبة الله في طلب ما كان يجب أن يطلبوه من الله، وفي طاعة تلك الأوامر التي كان ينبغي أن ينفذوها من أجل رضا الله. والحمد لله رب العالمين.

الجلسة الثانية عشرة

التوحيد و رفض التمييز الطبقي

الاثنين ١٣ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/٨ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾

(المؤمنون/ ٩١)

ذكرنا أن عقيدة التوحيد تستتبعها التزامات على المستوى الفردي والاجتماعي، أي إن التوحيد حين يحلّ في المجتمع يصوغ المجتمع وفق رؤيته، ثم تأتي مستلزمات الفرد الموحد في هذا المجتمع.

عبرنا عن هذه المستلزمات التوحيدية بأنها «ميثاق التوحيد». ووضحنا أن أول هذه المواثيق حصر العبودية والطاعة بالله سبحانه وتعالى. واليوم نذكر واحداً آخر منها وهو «رفض الطبقة».

سنوضح هذا المفهوم في هذه المحاضرة، وهو باختصار أن أفراد المجتمع في ظل التوحيد لا تمييز بينهم من حيث الحقوق والواجبات، بل يعيشون تحت سقف واحد، ويتجهون في مسير واحد، ويتمتعون بنوع واحد من الحقوق والإمكانات.

لو عدنا إلى التاريخ لألفينا الاختلاف الطبقي من الأمراض المزمنة في تاريخ البشرية، لا في المجتمعات القبلية المتخلفة فحسب، بل أيضاً في البلاد التي تعتبر مهد الحضارة البشرية، إذ في هذه البلاد نشاهد هذه الطبقة في أبشع صورها.

ما معنى الطبقة؟ إنها تعني عدم تماثل الأفراد الذين يعيشون في مجتمع واحد. طبقة فرض عليها أن تعيش في معاناة وحرمان، وأن تكون مسخرة لخدمة طبقة أخرى عن قناعة ورضا. وطبقة أخرى تتمتع بألوان اللذائذ والامتيازات، دونها رقيب. والهند أفضل مثال على ما نقول. تعلمون أن الهند مهد الحضارة الآرية، ومن أولى المجتمعات البشرية على ظهر الأرض. وهذه الأرض بالذات تضحّ بالاختلاف الطبقي. فهناك أربع طبقات أصلية. حبّذا لو راجعتم كتب تاريخ الأديان، وقارنتم الوضع هناك، بمفاهيم التوحيد في الإسلام والقرآن الكريم.

في الهند كان التقسيم الطبقي يقرر وجود طبقة (البراهمة)، وهي طبقة رجال الدين وأعلى الطبقات الاجتماعية. والثانية طبقة قواد الجيش والأمرء والإقطاعيين (كاشا تريا)، وكان بين هاتين الطبقتين مواجهة مستمرة، أحياناً تعلو الطبقة الأولى وأحياناً الثانية. والطبقة الثالثة وهم الصناع والزراع (فايشيا)، والطبقة الرابعة وهم المنبوذون (سودرا)، وكل طبقة من هذه الطبقات لها أصل مستقل في الخلق.

هذا التقسيم تاريخي، غير أنه امتدّ إلى القرن العشرين. والذي رفض هذا الاختلاف الطبقي هو غاندي وتبعه جواهر لعل نهرو.

أردت أن أقول إن هذا الاختلاف الطبقي سائد في مهد الحضارة البشرية حتى بعد أكثر من أربعة عشر قرناً من بزوغ شمس التوحيد القرآني.

وطبعاً بين هذه الطبقات الأربع الأصلية عشرات بل مئات الطبقات الفرعية كما يقول جان ناس^١ في تاريخ الأديان، وفي هذا النظام الطبقي لا يحق للفرد أن يتزوج من الطبقة الأخرى ولا أن يقترب منها. لا شيء إلا لأن كل طبقة مخلوقة من أصل يختلف عن أصل الطبقة الأخرى. فالبراهمة مخلوقون من رأس الإله براهما، والثانية من يده والثالثة من عضده والرابعة من رجله. ولذلك فإن الاختلاف بين الطبقات قائم في أصل الخلق، ولا يحق للطبقة السافلة أن تتعامل مع الطبقة الشريفة!! ومن هنا فلا اعتراض على هذا الوضع

١- مؤلف كتاب تاريخ الأديان العام، ويقع في أربعة أقسام. الأديان البدائية، وأديان الهند، وأديان الشرق الأقصى، وأديان الشرق الأدنى.

التوحيد ورفض التمييز الطبقي ■ ١٤٣

الطبقي، ولا تغيير أو تبديل. إذ حين يعتقد فرد بأن أصل خلقته كانت على هذه الشاكلة، حين يعتقد بأن طبيئته سافلة فلا اعتراض على انتهائه الطبقي السافل. لم يكن هذا الأمر مقتصرًا على الهند، بل كان مشهودًا في الحضارات القديمة الأخرى أيضًا.. في مصر وفي إيران.

وجاء الإسلام ليرفض تعدد الآلهة، ويقرر أن البشر مخلوقون من إله واحد.. ومن طينة واحدة، ولهم فطرة واحدة، والآيات الكريمة في هذا الصدد كثيرة نظير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^١.

فالبشر بأجمعهم من أصل واحد، ويحملون كفاءات تمكّنهم من التكامل والسمو لا فرق بينهم في ذلك، اللهم إلا المجموعة التي اصطفاها الله سبحانه لهداية البشرية كالأنبياء والأئمة، فهؤلاء الصفوة خارجون من بحثنا، وحديثنا عن عامة أفراد المجتمع. في ظل التوحيد يخلو المجتمع من الطبقية والفئوية، ليس فيه طبقة تمتلك امتيازات خاصة، وطبقة أخرى محرومة من هذه الامتيازات بحكم خلقه كل طبقة.

والطبقية ليست بالضرورة قائمة على فكرة الاختلاف في أصل الخلقة، بل تقوم أحيانًا على أساس الظلم الاجتماعي والاقتصادي كما هو مشهود في المجتمعات الرأسمالية القائمة. أقلية تسيطر على ثروات العالم وتستثمر خيرات الأرض لصالحها وأكثرية ساحقة ليس لها نصيب من كدها وكدها.

هذه الطبقة أسوأ من تلك الطبقة القائمة على أساس اختلاف أصل الخلقة. فهذه الطبقة الرأسمالية تدّعي الدفاع عن حقوق الإنسان والمساواة ثم تمارس أبشع أنواع الاستغلال وانتهاك الحقوق.

أعود إلى معنى التوحيد الذي تنتفي في ظله الطبقة، وأقول: إن من معاني التوحيد هو أن الخالق واحد، والناس جميعًا مخلوقون من إله واحد، أي إنهم في طراز واحد لا طرازين، في طبقة واحدة لا طبقتين.

لقد رفض القرآن ادعاء اليهود والنصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه دون غيرهم من البشر: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾^١ ويجيبهم رب العالمين: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾

ورفض ادعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار إذ قال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا...﴾^٢.

نعم، في المجتمع قد نرى إنسانا متوهج الذكاء وآخر أقل منه، أو نرى فردًا يتمتع ببنية قوية وآخر لا يتمتع بهذا القدر، ولكن هذا لا يعني أن القويّ يتمتع بمزيد من الحقوق الاجتماعية، لا يعني أن هناك من يحقّ له أن يتعلّم ويتطور وآخر لا يحقّ له ذلك.

فرص التكامل العلمي والعملية متاحة للجميع. خلافًا للمجتمعات غير التوحيدية حيث الطريق معبّد لفئة ومليء بالأشواك والعقبات لفئة أخرى.

جميع أفراد المجتمع الإسلامي قادرون على أن يرتقوا إلى أسمى الرتب. بلال الحبشي يرتقي إلى مقام مؤذن المسلمين، وهذا المقام غير الذي نعرفه اليوم عن مؤذن المسجد، فهو مقام رفيع. وسلمان الفارسي يرتفع إلى مستوى أن يكون واليًا على صقع مهم من البلاد الإسلامية. وأمثال ذلك كثير.

ومع أن الله سبحانه اصطفى مَنْ تأهّل لهداية البشر لكننا نرى هذه الصفوة تشعر أنها فقيرة أمام الله، تتضرّع إليه بخشوع وبكاء ونحيب.

هذا الإمام السجاد (عليه السلام) ابن رسول الله وعلي وفاطمة والحسين (عليهم السلام)، عرفه المسلمون بسجوده وخشوعه وتضرّعه ومناجاته وأدعيته، وهكذا نرى هذه الصفوة تكدّ وتسعى في العيش والحياة. هذا علي وهذا الباقر وهذا الصادق (عليهم أفضل الصلاة والسلام) يكدّون، ويجرثون الأرض أسوة بغيرهم من الكادحين العاملين في المجتمع.

والآن نقف عند الآيات ٨٤-٩١ من سورة المؤمنون: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخطاب للمشرّكين الذين كانوا يقسمون الأرض ومن فيها بين آلهتهم ﴿سَيَقُولُونَ

﴿لِلَّهِ قُلُوبٌ أَفْلا تَذَكَّرُونَ﴾. أي أفلا تعون وتعودون إلى أنفسكم؟!!

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ • سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي لماذا لا

تتقون الله ولماذا لا يكون فكركم وعملكم مطابقاً لما يريده سبحانه؟!!

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من الذي يملك

القدرة المطلقة والسلطة المطلقة في هذا الكون؟ كل ما بيدنا من قدرة وسلطة فهي محدودة

بالزمان والمكان، ولكن السلطة المطلقة بيد الله تعالى.. ابتداء من الحركة داخل الذرة إلى

حركة الكواكب والمجرات.. إلى حياة الأحياء ونموها.. كل شيء بقبضته وهو الذي

يلجأ إليه اللاجئون (يُجِيرُ) ولا يستطيع أحد أن يجير دون إذنه (ولا يجار عليه) أي لا

يستطيع المسيحي مثلاً إن أذنب أن يستجير بعيسى ليحميه من الله سبحانه، هذا غير ممكن.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ إذن لماذا تُخدعون؟

والملفت للنظر أن القرآن الكريم يركز على عناصر الخداع والغفلة باعتبارها من عوامل

الإعراض عن الحق. فعوامل مثل الجهل والغرور من جهة وعوامل إغفال الناس وخداعهم

من جهة أخرى لا تزال حتى اليوم تفعل فعلها لإبعاد الشعوب عن رؤية الحقيقة.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ عبارة: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ

مِنْ وَلَدٍ﴾ رفض لمن قال نحن أبناء الله، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ رفض لتعدد الآلهة، ولو

تعدد الخالق تعددت طبقات المخلوقات.. وزالت الوحدة وانعدم الانسجام في الكون.

وهذا هو معنى: ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾، لكان هناك إله النور وإله الظلمة وإله الخير

وإله الشر وإله الطبقة البشرية العليا وآخر للسفلى! مفهوم التوحيد يرفض ذلك ويرى

أن الكون وحدة متصلة. الإنسان والحيوان والجبال والأرض والموجودات كلها متصلة

مترابطة متحدة.

﴿وَلَعَلَّأَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

والقسم التالي الآيتان ٢١ و ٢٢ من سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الخطاب للناس جميعاً

بمختلف ألوانهم وألوانهم، إنه موجه للإنسانية جمعاء.
﴿عَبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.. الدعوة إلى عبودية الله للتحرر من عبودية الطاغوت.. أي من عبودية كل ما يصد الإنسان عن كماله وسموه ورفعته. وهذه العبودية هي التي تؤدي إلى التقوى، وقد شرحنا مفهوم التقوى من قبل، وذكرنا أنه صيانة الروح من كل ما يؤدي بها إلى الهبوط. وهذا ما يحتاجه الإنسان والمجموعة البشرية، خاصة حين يتهددها الانزلاق في مستنقعات الرذيلة.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾، هذا الكون كله مسخر «لكم»، للبشرية جمعاء، لا لفئة دون فئة، وخيرات الأرض للبشر جميعهم، لا لجماعة تستثمر هذه الخيرات كلها، والباقي يعيشون على فئات موائدهم. **﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** وحدوا الخالق كي تنجو المجتمعات البشرية من الآلهة المتعددة، ومن ثم من الطبقية.

ونصل إلى الآية ١٣ من سورة الحجرات: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**.

وأقف عند عبارة «يا أيها الناس» فالخطاب للبشرية جمعاء بمختلف ألوانها وأقاليمها وانتفاءاتها، وأقف عند «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» فيها رفض تام للطبقية، ليست كرامة الإنسان من نسبه وحسبه ومكانته في مجتمعه، بل من تقواه. بل — وهذه ملاحظه دقيقة وهامة — حتى المتقون ليست لهم امتيازات بشرية خاصة، المتقي لا يتمتع — باعتباره متقيًا — بامتيازات مالية أو حقوقية خاصة، فهم مكرمون ومقربون عند الله سبحانه. طبعًا التقوى لها آثار اجتماعية أيضًا، ومن هنا فإن بعض المسؤوليات لا يتولاها إلا أصحاب التقوى.

والآية ٧٠ من سورة الإسراء: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾** التكريم لأولاد آدم كلهم، وتيسير النقل بالبر والبحر لهم جميعًا، وتوفير الطيبات من الرزق لا يختص بفئة دون فئة، وتفضيلهم على كثير من المخلوقات يعمهم جميعًا.. جميعًا لا يختص بفئة معينة أو طبقة خاصة. والحمد لله رب العالمين.

الجلسة الثالثة عشرة

الآثار النفسية للتوحيد

الثلاثاء ١٤ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/٩ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنعَمُوا بِالرِّسَالَةِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٧٢﴾﴾
النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ (آل عمران / ١٧٢-١٧٣)

بداية نذكر أن التوحيد من الوحدة والتوحيد على وزن تفعيل يعني جعل المتفرقات وحدة واحدة.. جعل الأرباب المتفرقين ربًا واحدًا، جعل المجتمع غير التوحيدي توحيدًا، أي على قلب واحد، وفي اتجاه هدف واحد، وإيمان واحد، ومشروع عمل واحد. من هنا فإن التوحيد مشروع عظيم وضخم يدخل حياة الإنسان فيؤثر في مجالاته الاقتصادية بإزالة الفقر أو تعديل الثروة، ويدخل في المجال الاجتماعي، فينتج أخلاقية خاصة في التعامل، ويدخل في مجال النظرة إلى الكون والحياة فيجعلها إلهية، ويدخل في دائرة النفس فيخلق منها نفسًا ذات خصائص سامية، مثل التخلص من ضيق النظر، ومن الشعور بالضعف والهزيمة، فلا يرى صاحبها متطلباته محدودة في الأمور المادية، ولا ينشد إلى الصغائر، ولا يرى هذه الدنيا هي نهاية الحياة، بل يؤمن بحياة أخرى خالدة، ومن هنا يرى الموت بداية حياة أخرى، وهذه الرؤية لها الأثر الكبير على حياة الإنسان وسلوكه وتعامله.

إن استعراض مدرسة التوحيد وأبعادها ونتائجها له فائدتان:

الأولى أن نعرف معنى التوحيد وعطاءه في المجالات النفسية والروحية، وبذلك نردّ على

أولئك الذين يزعمون أن الدين عامل تخدير الشعوب.

والثانية: أن نفهم مدى قربنا من التوحيد، هل نحن موحدون أم لا، أن نفهم هل إننا موحدون حقًا كما أراد الله أم إن التوحيد عندنا لا يعدو أن يكون لقلقة لسان، أن نفهم هل إن ما قدموه لنا باسم التوحيد هو توحيد حقيقي أم إنه نسخة ممسوخة من التوحيد الإلهي الحقيقي. ونقف عند إحدى الخصائص النفسية للتوحيد وهي اقتلاع جذور الخوف من غير الله سبحانه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِيَّانَا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^١ فالؤمن الموحد العارف بقدرة الله تعالى لا يساوره خوف.

حين أتأمل في حياة البشرية قديمها وحديثها أرى أن الخوف عامل ضياع دنيا الناس وآخرتهم. الخوف من الفقر يؤدي إلى شح النفس وعدم الإنفاق، الخوف من انتهاء أيام العمر والطمع في البقاء لأيام أكثر قد يؤدي إلى فناء حياة كثيرين، وإلى شقاء الحياة البشرية. حين نطالع المآسي والجرائم في حياة البشر، حين ندرس سبب قلة أنصار الحق، وإعراض الناس عن الحق حتى بعد أن عرفوه، نرى أن جذور كل ذلك تكمن غالبًا في الخوف. لقد واجهت المسيرة الإسلامية في تاريخها انحرافات كان وراءها الابتعاد عن الموقف الرسالي بسبب عامل الخوف. كان المسلمون في القرن الأول على علم بشخصية علي بن أبي طالب^(ع) وبشخصية معاوية بن أبي سفيان. فما الذي أُلجأ من لجأ إلى معاوية ليحارب عليًا؟ إنه الخوف. من الذي أُلجأ جماعة من الناس ليكونوا متملقين لسُلطان بني أمية وبني مروان؟ إنه الخوف.

هذا الخوف شمل من كان عارفاً بطبيعة الاختلاف بين علي ومعاوية، لكنه عزف عن مبايعة علي، بحجة انبهام الموقف وغموض طبيعة هذا الاختلاف^٢. لكنّ هذا النفر رغم أن مرّت أمام عينيه جرائم يزيد والروانيين بعده، وشاهد جرائم الحجاج بن يوسف راح يستأذن الحجاج لبياعه مع المبايعين في المدينة. فجاءه في حالة ذلّ وخضوع، لكنّ الحجاج إمعاناً في إذلال هذا المبايع الذليل، لم يمدّ له يده بحجة أنه مشغول بالكتابة، فمدّ له رجله ليتقبل

١- آل عمران/ ١٧٥

٢- إشارة إلى عبدالله بن عمر. انظر تاريخ الطبري، وطبقات ابن سعد وغيرهما من أمهات مصادر التاريخ.

البيعة. هذا كله بسبب الخوف من سطوة الحجاج، والخوف على الحياة الفانية.

لم يضع يده في يد علي لبياعه عملاً بالاحتياط حسب ادعائه، لكنه وضع يده على رجل الحجاج لبياعه، هكذا هو مصير الإنسان الذي يخشى الناس ولا يخشى الله. إنه الذلّ.. ذلّ الخروج من طاعة الله والوقوع في الخوف من كل شيء سوى الخوف من ربّ السموات والأرض.

ولذلك ورد في المأثور عن الإمام علي بن الحسين السجاد قوله: «اللهم عمّرني ما كان عمري بذلة في طاعتك فإن كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك».

بالمناسبة أَدْعُو أن تنظروا إلى المأثور من الدعاء بنظرة متعمّقة متفهّمة، وأن لا تستهينوا بعظمة هذا المأثور وعطاءه الإنساني والتربوي.

أمعنوا النظر في هذا الدعاء، إنه يوجّه الإنسان ليقوم عمره على أساس طاعة الله. ففي هذه الطاعة تكون للعمر قيمة. أما إذا كان مرتعاً للشيطان فلا فائدة فيه. والشيطان — كما ذكرنا — قوّة شرّيرة تريد أن تدفع الإنسان والبشرية إلى الانحراف والرذيلة والموبقات. لا فائدة من عمري إذا كان وسيلة لاستفادة الشيطان. لا فائدة منه إذا استثمره أعداء جبهة الله، وإذا استغله هؤلاء الأعداء لمصالحهم واتخذوني حربة وآلة لجرائمهم، لا فائدة من عمري إذا نفذ الشيطان من ثغرات جهلي وغروري وتكبري «فإن كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك»^١.

وهذا الخوف الذي دفع بذلك النفر أن يبيع الحجاج تكرر في الموقف من الحسين بن علي^(ع) في ثورته على يزيد. رغم وضوح الموقف في هذه المواجهة.. لكن الخوف فعل فعله. وما أجمل ما قاله سعدي الشيرازي ما ترجمته:

«الموحّد هو ذاك الذي إذا أغرقته بالذهب أو سلّطت المهنّد على رأسه. فإنه لا يعقد الأمل على أحد، ولا يخاف من أحد، هذا هو معنى التوحيد ولا غير».

حقاً، إن الموحد لا ينخدع بالمال، والانخداع بالمال هو بالمأل خوف من الفقر. ولا يخاف

١- الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق.

السيف المسلط على رأسه، بل يطوي طريقه إلى الله سبحانه بثبات و يقين وطمأنينة نفس .
ولنعد إلى الآية الكريمة ١٧٣ من سورة آل عمران .

هذه الآية الكريمة لها مقدمات وأكتفي بمقدمة من الآية السابقة لها:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ .

في هذه الآية ذكرٌ للذين استجابوا لنداء الله ورسوله . هذه الاستجابة كانت عملية وكانت أيضًا في أشد الظروف: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بعد أن تحملوا ما تحملوا من جروح في معركة أحد. ففي هذه المعركة تَخَلَّى مَنْ تَخَلَّى وثبت مَنْ ثبت رغم ما تحملوا من جروح، ومنهم أمير المؤمنين علي^(ع)، إذ تكبّد في تلك المعركة ما يزيد عن سبعين جرحًا، ولكنه أقبل على رسول الله^(ص)، واستجاب لله والرسول .

ونصل إلى الآية المقصودة في بحثنا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ . وقبل أن نستعرض خطاب هذه الآية الكريمة نشير إلى ضرورة فهم القصد الذي تريد الآية تبيينه لنا، لا أن نحصر أنفسنا في سبب النزول، المهم في الآية هو الفكرة التي تريد أن تقدمها لنا ضمن قصة أو حديث عن واقعة .

ربّما أورد القرآن قصة ليركز في فقرة منها على مبدأ قرآني . على سبيل المثال يورد القرآن الكريم قصة ابن نوح في حادثة الطوفان . إذ ركب الفلّك ومعه أهله والمؤمنون، وأخذ الطوفان المعاندين والرافضين لدعوة النبي . ابن نوح كان من الرافضين للدعوة، فلم يركب معهم . وطلب نوح من ابنه أن يركب معهم انطلاقًا من عاطفة الأبوة، وحرص الوالد على ابنه . لكن الولد أبى وقال: ﴿سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾^١ وبدافع من عاطفة الأبوة قال نوح ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ ويأتي جواب ربّ العالمين ليقرر مبدأ إلهيًا عامًا: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^٢ .

قصة نوح لها دلالات كبيرة، لكنني أشير إلى مبدأ هام يقرّره هذا المقطع من الآية: «إنه ليس من أهلك» . الارتباط الرسالي بين الأفراد هو الأصل . ربّ شقيقين واحد في جبهة الإيمان

١- هو/د/ ٤٣

٢- هو/د/ ٤٥ - ٤٦

وآخر في جبهة الكفر، فإنها لا ينتميان إلى أسرة واحدة، وربّ والد وولد يقفان في جبهتين مضادتين، فإنها ليسا من أسرة واحدة، وليس بينهما قرابة.

القرابة في النسب هي في نظر القرآن تأتي متأخرة عن القرابة الإيمانية.. هذا مبدأ إسلامي. وفي المأثور نرى تأكيداً على هذا المفهوم: «المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه»^١ بين المؤمنين أخوة ولو كان بينها بُعد المشرق والمغرب، لأنها في جبهة إيمانية واحدة.

نعود إلى الآية الكريمة:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ هؤلاء المنعمون بالأجر العظيم يواجهون جمعاً من الناس الحريصين على مصلحة أولئك المنعمين فيقولون لهم: إن الناس قد اجتمعوا ليتأمروا عليكم، فآخشوهم. لكن هؤلاء بدل أن يتزعزعوا ويتراجعوا عن مواقفهم يزداد إيمانهم: ﴿فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ إنها لفتة عظيمة من القرآن أن يرى التآمر على المؤمنين يزيدهم إيماناً، وأن يقولوا في هذه المواقف التي يتكالب فيها الأعداء: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

يكفينا الله سبحانه.. يكفينا بأن يمدّنا بما يساعدنا على المواجهة، يكفينا أن يوجّه قوى الطبيعة لمسايرتنا لأننا على حق، يكفينا أن نكسب رضاه سبحانه ولو لم نحقق ما نريده في هذه الدنيا.. كل هذه المعاني صحيحة من قولهم: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ فَمَنْ نَسِيَ نِعْمَةَ اللَّهِ فَهُوَ سَاءٌ مَّنْ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ هؤلاء عادوا بنعمة من الله وفضل منه سبحانه، سواء عادوا بالنصر سالمين أو جرحى، أو عادوا وهم يحملون وسام الشهادة، في كل هذه الأحوال هم مشمولون بنعمة من الله وفضل، إنه الفضل الذي لا تشوبه شائبة سوء.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ هؤلاء الذين يثيرون الخوف في صفوف المؤمنين ليسوا سوى شياطين. الشيطان يخوّف أتباعه وأولياءه بمؤامرات المنافقين وكيد الكافرين ودسائس المعاندين. ولا يتأثر بهذا التخويف سوى من ينصاع لنداء الشيطان، وإذا كان

الله مع الجماعة فَمَنْ عَلَيْهِمْ؟! ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾^١ لا تحزن يا رسول الله على هؤلاء الذين يتسابقون في الالتحاق بجهة الكفر، فهؤلاء لا يضررون الله بل يضررون أنفسهم في تركهم لحظهم في الآخرة وفي ما يلحق بهم من عذاب أخروي ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المؤمنون لا يخافون إرجاف المرجفين، ولا يحزنون لمشاهدة إسراع المسرعين نحو جهة الكفر. بل يقفون ثابتين مستبشرين بنصر الله ورضاه. والحمد لله رب العالمين.

القسم الثالث

النبوة

الجلسة الرابعة عشرة

حكمة النبوة

الأربعاء ١٥ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٠/٧/١٣٥٣ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(الجمعة ٢-٣)

النبوة كما تعرفون أصل من أصول الدين، ولا معنى للدين دون الاعتقاد بالنبوة. فالدين ذلك المنهج الإلهي الذي وصلنا عن طريق رسول رب العالمين. قوام الدين إذن بالنبوة. في حقل النبوة هناك موضوعات رائعة متداولة مطروحة في أي كتاب تقرأونه عن النبوة. وإننا في جلستنا هذه نتناول موضوعاً واحداً من النبوة تضمنته الآيات التي تليت في بداية الجلسة. طبعاً المسائل المذكورة في الكتب التي تناولت موضوع النبوة صحيحة، لكن هذا لا يعني أنني سأتقيد بطرح نفس تلك المسائل في ظروفنا الزمانية التي لها مقتضياتها الخاصة. لا بد أن نبحث في المسائل الصحيحة عما هي ألزم، وفي المسائل اللازمة عما هو أكثر فورية، وفي المسائل الفورية عما هو أكثر حيادية.

نعم، هناك موضوعات مطروحة بشأن النبوة لا أرى لها أولوية مثل: ما مقدار ما يمتلكه النبي من العلوم الإلهية والعلوم الإنسانية، أو مسألة أمية النبي هل كان لا يعرف القراءة والكتابة، أو إنه كان يعرفها ولكن لم يكن يمارسها: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِّلُونَ﴾^١، ومثل ما يدور من حديث حول دين النبي قبل

الإسلام.. هذه موضوعات ترتبط بالنبوة أيضًا، ولكن ترى ما مقدار ضرورتها لنا في عصرنا الراهن؟! طبعًا حين نفهم المسائل الأساسية الضرورية الفورية في النبوة لا مانع أن نتناول تلك المسائل أيضًا. ولكن ونحن بعيدون عن معنى النبوة والبعثة والهدف من البعثة فما الداعي إلى طرح تلك الموضوعات؟!

لو كان المسلمون يفهمون هدف البعثة النبوية كسَعوا نحو ذلك الهدف. نحن لم ندرك المسائل الأولية الأصولية التمهيدية في النبوة فلماذا نعكف على تناول المسائل الفرعية من الدرجة الرابعة والخامسة؟!

لذلك نحن في تناولنا لمسألة النبوة لا نتطرق إلى تلك الموضوعات التي يعالجها المتكلمون في كتبهم. وإن شئت طالعوها، وأنا لا أشك في جدواها ولكن لا أشك أيضًا في أن ضرورتها أقل بكثير من ضرورة كثير من المسائل التي يجب طرحها في عصرنا الراهن. أول موضوع نتناوله في موضوع النبوة هو «حكمة النبوة» لماذا الأنبياء؟ ألا تكفي ما عند البشر من معارف عقلية وعلمية؟ لا بد أن نعرف ذلك، والآيات التي نتناولها في هذه الجلسة ترتبط بالإجابة عن هذا السؤال.

أجيب بكلمة واحدة هي: إن حواس الإنسان وغرائزه وعقله غير كافية لقيادة الإنسان وهداياته. مجموعة من الموجودات تدير أمورها بحواسها الظاهرية ومجموعة أخرى بغرائزها. النحل مثلًا يمتص رحيق الأزهار ويعمل خلاياه المسدسة، وفي بيوت النحل نظام دقيق.. مملكة وحرس. واضح أن كل ذلك يفعله النحل بغريزته، أي لم يعقد جلسة مباحثات لدراسة نوع الخلية الأفضل فهي سداسية أم رباعية، ثم يجري القرار على الأفضل هو السداسية! كل ما في الأمر أن النحل ملهم في غريزته أن يفعل كل ذلك: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾^١ الغريزة كافية للنحل.

موريس مترلنغ^٢ قضى سنين من عمره لدراسة بيوت النحل وبيوت الأرضة هذه الحشرة

١- النحل / ٦٨ - ٦٩

٢- موريس مترلنغ (١٨٦٢-١٩٤٩)، شاعر وفيلسوف بلجيكي. حاز على جائزة نوبل في الآداب. له مقالات في حياة النحل،

المتطفلة الغاصبة، فاكشف عجائبها، وهي على هذا النحو تعمل من آلاف السنين وفي كل مكان دونما تغيير والدافع في هذا هو الغريزة لا غير.

والإنسان له غرائز توجه حركته ولكن تأثيرها قليل. حين يولد الطفل يرضع من ثدي أمه بغريزته وتصدر عنه الأعمال بغريزته، وكلما شبّ الطفل وكبر يقلّ دور الغريزة ويحلّ محلّها العقل، وكلما نضج أكثر يتحرك وفق ما تعلّمه من فكره وعلمه.

ولكن، هل هذا العقل كافٍ لهداية الإنسان وتحقيق سعادته؟ لو احتكنا في هذا الأمر إلى العقل نفسه، فإنه — إن تحدث بموضوعية ودون تعصّب — سيقضي هو بعدم صلاحيته. سيقول: ليست لي صلاحية هداية الإنسان بصورة مستقلة. لماذا؟ لسببين.

الأول: أن عقل البشر محدود وليس لانهائياً، بينما احتياجات الإنسان غير محدودة. عقل الإنسان أضعف من أن يحيط بالأمم الإنسان وآماله كي يضع المشروع اللازم لها.

الثاني: ما تثبته الحقائق التاريخية والعلمية. هل استطاعت العقول أن تحقق ما تصبو إليه البشرية؟ هل استطاعت عقول أمثال أرسطو وأفلاطون وسقراط من إدارة البشر؟ لو نظرتم إلى ما رسمه أفلاطون في كتابه «الجمهورية» من مدينة فاضلة لوجدتم أنها اليوم غير مقبولة وغير عملية. انظر والمواجهات الموجودة بين المدارس العقلية والفلسفية.

مادامت الإنسانية غير متصلة بمبدأ أسمى وأعمق من دائرة الإنسان فلا تستطيع أن تبلغ طريق الهداية والسعادة. يحتاج الإنسان إلى قوة هادية أقوى من هداية الحسّ وهداية الغريزة وهداية العقل.

هل هذه القوة تدخل في مناقشة مع العقل؟ هل تلغي العقل؟ أبداً فهي توجهه وتهديه كي ينمو، ولتستخرج العقل مما ران عليه من أنقاض.

أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، معلّم البشرية، يقول حول بعثة الأنبياء: «ويثيروا لهم دفاًن العقول»^١. هذه العقول التي تراكمت عليها أنقاض مخلقات أمثال فرعون ونمرود وأقطاب الاستكبار يأتي الأنبياء لينفضوا عنها هذا الركام. أولئك الطغاة لا يريدون أن

وحياة الأرضة، وحياة النمل.

١- نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، الخطبة رقم ١.

يستخدم الناس عقولهم، إذ لو فعلوا ذلك يبطل وجودهم، وسنقف عند هذه المسألة في جلسات قادمة إن شاء الله.

فالأنبياء (عليهم السلام) لا يأتون لمحاربة العقل بقوة الوحي، بل يثيرون ما في عقول الناس مما أودعها الله فيها من كنوز.

أولئك الذين يخالون أن الدين يتعارض مع العقل، إما أن يكونوا جاهلين بالدين، أو لا يكون لهم حظ من العقل. مَنْ مارس العقل وعرف الدين يعلم جيداً أن العقل لا يمكن أن يخطئ بالدين. هناك من الجاهلين من يدّعي - دفاعاً عن الدين - أنه لا يمكن البحث عن حكمة الدين وعن فلسفة الدين، ظانين أن ذلك يقلل من قدر الدين. ليس الأمر كذلك. حين يُعرض الدين الصحيح مقابل العقل الكامل، فليس ثمة تعارض واصطدام. العقول الكبيرة للبشرية تدرك اليوم توحيد الدين، ونبوة الدين، وصلاة الدين، وصوم الدين، وزكاة الدين، والأحكام الفرعية للدين. البشرية بعقلها وتجربتها تدرك اليوم أضرار الخمر، وتعرف ما تنزله من كوارث بالجسم والأعصاب وبالمجتمع. وهنا يقف الدين ليعلم بقوة أنه قرر حرمة الخمر: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾^١ وأن الشياطين هم الذين يروجون لهذا الرجس، وهم الذين يستفيدون من إشاعة الخمر.

وما روي عن الإمام علي بن الحسين السجاد^(ع) قوله: «دين الله لا يصاب بالعقول»^٢ إنما هو أنّ عدد ركعات الصلاة لا يمكن أن تعرفها بعقلك، بل لا بد من نصّ. أوقات الصلاة لا تعرفها إلا من قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾^٣. لا يعني ظاهر كلام الإمام السجاد عدم إمكان فهم معارف الدين بالعقل الإنساني. طبعاً لا بدّ من الإذعان أن معارف الإسلام أكبر بكثير مما نفهمه اليوم. لكن هذا الفهم ينمو على مرّ السنين، وتصبح البشرية باستمرار أعمق في فهم الدين.

١- المائدة/ ٩٠

٢- إكمال الدين وإتمام النعمة، باب ما أخبر به زين العابدين، ح ٩

٣- الإسراء/ ٧٨

الدين إذن لم يأت ليكون بديلاً عن العقل، وناسخاً له، بل لهداية العقل وإعانتته، حين يكون إلى جانب العقل الأهواء والأطماع والمخاوف والأغراض الشخصية فالعقل لا يستطيع أن يؤدي دوره. والدين يأتي ليجعل العقل قادراً على الرؤية الصحيحة.

الحث على التعقل والتفكير كثير في القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ والإشادة بأرباب العقول كثيرة أيضاً: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^١ الروايات مستفيضة بعبارة: «إن الله على الناس حجتين»^٢ أي النبي والعقل. فالإنسان بدون وحي لا يستطيع أن يحقق ما يصبو إليه من سعادة. الوحي يعمل على تقوية العقل والفكر.. يزيهها.. يهدبها.. يعاضدها. هذه هي وظيفة الوحي.. وهذه هي الحكمة من النبوة. هذا هو عطاء يد الغيب، لا كما يخال المتقاعسون الذين يكلون ما يجب أن يقوم به الناس إلى الغيب.. يكلون إلى الغيب مسؤولية إصلاح الأوضاع الاقتصادية وإزالة الفقر من المجتمع، وينسبون إلى الغيب ما يرونه من تردّي الأوضاع الاقتصادية، بينما كان من المفروض أن ينسبوا إلى الذين ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ﴾^٣. وإلى ﴿الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾^٤.

في الجلسات القادمة سنتناول — بإذن الله — أبعاداً أخرى للنبوة. ونقف هنا عند الآيات الكريبات التي تليت في بداية الجلسة. وهي تحتاج إلى وقوف طويل، لكننا نكتفي بما يساعدنا الوقت.

نتناول هنا الآيات التي تليت في البداية. وهي آيات تحتاج إلى مزيد من التوسع وأنا سأقارنها بمقدار ما يتضح معناها.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^٥ قيل في الأمة الواحدة كثيراً. هل كانت أمة واحدة صالحة، أم

١- آل عمران/ ١٩٠

٢- عن الإمام الكاظم(ع): «إن الله على الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة فأما الظاهرة فالرسول والأنبياء والأئمة وأما

الباطنة فالعقول» (الكافي، كتاب العقل والجهل، ح ١٢)

٣- المائدة/ ٤٣ - ٤٤

٤- ماعون/ ٢ - ٣

٥- البقرة/ ٢١٣

طالحة؟ أهي ما يزعمه بعضهم أن فيها إشارة إلى الحياة الاشتراكية في بداية البشرية؟ أهي تعني البشرية في انبثاقها الأول حين كانت تعيش — كما يقال — في العصر الحجري؟ لا توجد قرائن وشواهد على هذه الآراء، ونحن نتمسك بما نفهمه من القرآن، ولا حاجة لنا أن نلصق بالقرآن نظريات الآخرين.

هذا المقطع من الآية ذَكَرَ له المفسرون — كما قلت — آراء مختلفة. وأرى — والله أعلم — أن الآية تقر أن البشرية كانت متساوية في احتياجاتها وكفاءاتها. كل واحد من أفرادها يمتلك عقلاً وفكراً وذكاءً وحواس ظاهرة وحواس باطنة. وكل واحد من البشر يشعر بالجوع ويمسّ بالعطش وله غرائز جنسية، ويحتاج إلى مسكن وملبس. كانوا في كفاءاتهم واحتياجاتهم متساوين كما ذكرت، غير أن أحدهم تتوفر له فرصة بروز هذه الكفاءات والمواهب فيتطور وتحسن مكانته، وآخر لم تتوفر له تلك فتظل مواهبه مطمورة.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ اختار من بين البشر من هم أسمى وأعمق وأقوى، فأرسلهم ليكونوا: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يبشرون بسعادة الإنسان في الآخرة حيث الجنة ورضوان الله، وبسعادته في هذه الحياة الدنيا. يبشرونه بالمدينة الفاضلة حيث الأمن والرفاه وزوال الفقر واليأس والخوف والجهل. وينذرون الناس من نار جهنم ومن الحساب والعقاب في الآخرة، كما ينذرونهم من شقاء الدنيا ومن سيطرة عفرية الجهل والفقر والسقوط في مستنقع الفساد. ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ لا يقتصر الأمر في النبوه على التبشير والإنذار، بل أنزل معهم الكتاب بالحق. والحق باختصار هو ما طابق الفطرة، وما لائم سنن الكون الطبيعية. ما يساعد الإنسان ليسيير وفق فطرته وفي اتجاه تكامله.

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ﴾ ليقضي بين الناس فيما طرأ عليهم من اختلاف. والاختلاف سنة طبيعية بين البشر. فالنبي يحكم بين الناس وفق الكتاب.. أي وفق القانون. ليس حكم الأنبياء إذن فردياً استبدادياً، بل هو حكم القانون. فالحاكم هو الكتاب أي القانون.

﴿وَمَا اختلف فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أوتوه مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ فالذين اختلفوا فيه هم مَنْ أوتوا الكتاب. واختلافهم هو أن منهم من التزم بالواقع والحقيقة ومنهم من خالف

ذلك، وهذه إشارة إلى وقوع الاختلاف في الأديان السابقة، وكان ذلك بسبب ما وقع بينهم من عدا وطفغان.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
والله سبحانه هدى الذين آمنوا بالدين الحق، والله سبحانه هو الهادي إلى الصراط السوي المستقيم.

المجموعة الأخرى من الآيات هي من سورة الجمعة، وقد سمعتم مني تفسيرها مراراً، وفيها دلالات على حكمة إرسال الأنبياء (عليهم السلام).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ • هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

إذن:

- يتلو عليهم آياته.

- ويزكّيهم.

- ويعلّمهم الكتاب والحكمة.

هذا بإجمال حكمة إرسال الأنبياء. وهو أصل من أصول جميع الأديان، وبدونه لا يكون للدين معنى. فالدين يوحي به الله إلى نبيه والنبي هو الذي يبلغ الرسالة ليثير دفائن العقول كما مرّ.

والحمد لله رب العالمين.

الجلسة الخامسة عشرة

البعثة في النبوة

الخميس ١٦ رمضان المبارك ١٣٥٣ هجرية

١١/٧/١٣٥٣ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
يَعْلَمْ • كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى • أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى • إِنَّ إِلَى
رَبِّكَ الرَّجْعَى﴾

(العلق / ١-٨)

موضوع حديثنا اليوم يدور حول التحول الذي يحدث في داخل النبي وفي العالم حينما تلقى الرسالة على الرسول.

تعلمون أن القرآن الكريم حين يتحدث عن إرسال النبي يذكر ذلك بتعبير البعثة: ﴿وَلَقَدْ
بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾^١ ما معنى البعثة وما علاقتها بالنبوة؟

البعثة بمعنى القيام، وما معنى القيام؟ إنه التحرك بعد الارتحاء والركود. نهوض الأموات من قبورهم هو البعث: ﴿هَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾^٢ يوم القيامة. ربّ إنسان خامل فاقد للحركة قابع في بيته، يحركه المجتمع يمناً ويسرة، مثل خشبة تطفو على الماء، يحركها التيار حيث شاء. مثل هذا الإنسان حين يعود إلى نفسه، ويرى أن هذه الحالة لا يمكن الاطمئنان إليها ولا تُرضي قناعته، ثم يبحث عن حالة أخرى تحقق سعادته فإنه بذلك يستيقظ ويتحرك. مثل هذا الإنسان قد بُعث من جديد. وفي النبوة توجد مثل هذه الحالة.

١- النحل / ٣٦.

٢- الروم / ٥٦.

أريد أن أعطيكم صورة جديدة عن النبوة. ربّما يُتصوّر أن النبي يأتي إلى مجتمع فيعظّه، ويقدم له بعض تعاليم الدين، دون أن يكون له شأن آخر، ثم يؤمن به من يؤمن ويكفر به من يكفر. ليس الأمر كذلك. في النبوة تحوّل وثورة^١. تحوّل في داخل شخص النبي. يتغيّر، يخرج من حالة الركود، تتفجر في وجوده كل ما أودعه الله عنده من كفاءات وطاقات، ثم يفيض ما حدث في وجوده على المجتمع مثل نبع متدفق فيّاض. فيحدث على أثر هذا الانقلاب في شخصية النبي انقلاب في المجتمع، وتتحقّق البعثة. فالنبوة إذن بعث وانبعث وتحوّل وحركة وثورة. ثمة ملاحظات في هذا الباب أفف عندها.

الأولى: أن النبي قبل البعثة يمتلك أكثر من بقية الناس أفضلية لعبودية الله، واستعداداً لطاعة الله والتخلّق بأخلاق الله مما لا يمكن أن يتصوره غيره من الناس. يمتلك كل ما يمكن أن ينتشل الإنسان من حضيض الطين ليلبغ به قرب ربّ العالمين.

ولماذا كان أكثر من غيره في هذه المؤهلات؟ باختصار لأنه سيتلقى مسؤولية ثقيلة، مسؤولية النبوة تحتاج إلى قدرة في تحمّل الأعباء.. أعباء نقل المجتمع من مجتمع جاهلي إلى مجتمع توحيدي. وإذ يرى الله سبحانه ما يتحلّى به هذا الإنسان من إمكانيات فإنه سبحانه يفيض عليه من لطفه ويهيئ له وسائل رشده. هذه المسؤولية لا يستطيع أن ينهض بها أمثال غاندي ولومومبا، لا يقدر عليها أمثال سقراط وأرسطو وأفلاطون، تحتاج إلى قوة تفوق غيرها من القوى لتحمل أعباء الرسالة والنبوة والبعثة.

الثانية: أن النبي قبل البعثة كانت له حياته العادية مع الناس، يرافقهم ويشاركهم. لم يكن منذ البداية يفكر في تغيير المجتمع. كان طبعاً غير راض عن الوضع القائم بفضل ما يملك من ذكاء وحساسية غير راض عن الظلم والتمييز والفقر، لكن الأمر لم يكن يتعدى هذا السخط على الأوضاع، لم يكن يبلغ درجة الاندفاع لقلب المجتمع وتغيير الحياة الاجتماعية إلى وضع غير الذي هو عليه.

انظروا إلى النبي موسى بن عمران (عليه السلام) كان يعيش في بيت فرعون ويأكل من

١- في اللغة الفارسية تُستعمل كلمة «انقلاب» بدل كلمة «ثورة» وهي أقرب إلى معنى التغيير الجذري، لكننا لم نستعملها في العربية هنا خشية أن يتقلّ الذهن إلى معناها الشائع اليوم وهو الانقلاب العسكري.

موائده، ثم ينتصر لشخص من بني إسرائيل في نزاعه مع آخر من قوم فرعون، فيضرب الفرعوني، ويؤدي ذلك إلى قتله، ثم يعود من مدين من عند شعيب، ويُبعث بالرسالة. وحين يدخل على فرعون يقول عن حالته قبل البعثة ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾^١ أي إنني كنت لا أعرف الطريق المعارض للمجتمع الفرعوني آنذاك. لا يعني أنه أذنب في عمله، بل يعني أنه لم يكن بذلك الشخص الذي يسير في الطريق الصحيح الذي هو عليه الآن بعد البعثة. هذه الحقيقة تصدق أيضًا على نبينا (عليه أفضل الصلاة والسلام) كما جاء في سورة «الضحى». وقبل أن نستعرض المقاطع المختارة من هذه السورة^٢ أشير إلى روايات جاءت في ذيل تفسير هذه السورة. وهي روايات تأويل لا تفسير. ومثل هذه الروايات التي تُذكر في ذيل الآيات لا تقصد بيان ظاهر اللفظ، بل تضيف نكات إلى الآية، ولا يمكن أن يكون في الرواية عن الإمام الصادق^(ع) حمل لما يخالف الظاهر، فالظاهر محفوظ، والرواية تريد إضافة شيء إلى ذلك.

﴿وَالضُّحَى﴾ قسم بإشراقه نور الصباح ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ وبالليل إذا اشتدَّ ظلامه. ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ إشارة إلى انقطاع الوحي عن النبي بعد مدة من بعثته بالرسالة وأنسه بجبرائيل. وذكر لهذا الانقطاع مدد مختلفة، قيل أربعين يومًا وقيل أيضًا ثلاث سنين ثم نزلت سورة الضحى لتبشر الرسول^(ص) بأن الله سبحانه لم يودعه ولم يبغضه ويهجره. ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ الآخرة والمستقبل خير لك من البداية والماضي. عاقبة أمرك أفضل من بداية عملك.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ في الرواية أنها الشفاعة التي منحها الله لنبيه. حقًا أن الله منح نبيه من حق الشفاعة في الآخرة ما يرضيه. ولكن في هذه الدنيا أعطاه ما يرضيه. أعطاه فضيلة هداية الناس وإقامة المجتمع الإسلامي والغلبة على الأعداء، وفتح البلدان.. هذه النعم التي منحها الله لنبينا الإسلام فأرضاه بها. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ألم يجدك الله يتيمًا فأواك. لقد فقدت أباك قبل ولادتك، وفقدت

١- الشعراء/ ٢٠

٢- الآيات ١ - ٨

أمك بعد الوالد بقليل، ثم فقدت جدك بعد سنوات قليلة، فكفلك عمك أبو طالب. كنت خلال هذه المدة كلها في أعيننا ومأوانا. وهذا تثبيت من الله لرسوله. لقد كان الله معك في كل منعطفات حياتك، وسيكون معك في حمل مسؤولية الرسالة. فلا تحسب أن الله سيرتك وشأنك.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ وردت في ذيل هذه الآيات روايات يقول بعضها بأن النبي تاه في صغره بشعاب مكة ثم هدها الله بعد أن عثر عليه جدّه. وقيل معناها: كنت تائهاً بين أهل مكة لم يعرفك أحد فهدى الله أهل مكة إليك. سواء كانت هذه الروايات صحيحة أم ضعيفة، فإن ظاهر معنى الآية غير ذلك، ظاهر الآية أنك يا رسول الله كنت ضالًّا فهداك رب العالمين. وما معنى «ضالًّا»؟ هل كان يعبد الأصنام؟ هل كان منحرفًا؟ هل كان مذنبًا؟ أبدًا فإن الرسول (ص) على الفطرة والاستقامة منذ صغره. بل إنه يعني أن ما منحه الله لك بعد البعثة والنبوة لم يكن متوفرًا لديك.

﴿وَوَجَدَكَ غَائِبًا فَأَنْعَى﴾ أي وجدك فقيرًا محتاجًا فأغناك عن الناس.

الهدف من عرض هذا المقطع من سورة الضحى هو أن مفادها يدل على أن النبي (ص) قبل البعثة كان يعيش حياة عادية مع الناس، وإن كان مستاءً من الوضع القائم آنذاك. كان مستاءً من اعتداء أشرف قريش على الفقراء والضعفاء، وشهد حلف الفضول^١، ولم يشرك بالله طرفة عين، ولم يهادن الظالمين، وعاش في حالة فتوة في ذلك المجتمع.. ولكن مع ذلك كله كان يعيش الحياة العادية في ذلك المجتمع، ثم نزل عليه الوحي فجأة فحدث ذلك التحول الكبير العميق في وجوده، وحين انحدر بعدها من غار حراء في جبل النور شبّ في أعماقه هيب. فقد سمع^٢:

﴿اقْرَأْ﴾، أجب النبي «وما أقرأ» و«ما» هنا إما أن تكون نافية أي لست بقارئ أو استفهامية يعني ماذا أقرأ؟ جاء الجواب: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ •

١- هو حلف شهده رسول الله (ص) وهو ابن عشرين عامًا تعاهد فيه الحاضرون أن يكونوا بدءًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه.

اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿عندها حدثت تلك الثورة الكبرى في داخل الرسول، فلم يعد مثل ذلك الإنسان السابق، أصبح عنصرًا آخر وجوهراً آخر. وهذا التحول الداخلي الكبير كان مبعث ذلك التحول في العالم. إن لم يكن قد تغير هو ما كان بالإمكان أن يغير العالم. وهذا درس لأتباع الأنبياء كي يعلموا أنهم لا يستطيعون أن يغيروا مجتمعهم دون تغيير أنفسهم. وفاقده الشيء لا يعطيه.

ذات نيافته از هستي بخش كي تواند كه شود هستي بخش
من لم ينل حظًا من الحياة كيف يستطيع أن يمنح الآخرين الحياة!؟

الرسول الأكرم حدث ذلك التحول العظيم في وجوده فاستطاع أن يصنع الإنسان الذي يتنازل عن حياته ولا يتنازل عن عقيدته. إنه لأمر عظيم أن يعاني بلال الحبشي من سياط الجلادين وتعذيب الأسياد المتغضبين ساعات ثم يرفع صوته: أحد، أحد، أحد. لم تكن عملية صنع هذا الإنسان ميسورة، لم يكن من اليسير صنع أبي ذر وعبدالله بن مسعود. ولنستمع إلى بدايات صوت الوحي:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ السورة توجه نظر النبي وكل الموحدين إلى سلسلة من المراحل التي تفتح الآفاق نحو معرفة الله. وأبسطها وأولها «الخلق» فمنه تعالى مظاهر الخليقة كلها. وبعد تثبيت مفهوم الخالقية العامة، ينتقل السياق إلى بيان عظمة خلق الإنسان. خلقه من علق. من دم منعقد. قلما نلتفت إلى الفرق العظيم بين الإنسان والموجودات الأخرى. نمشي في الشارع فنرى الأبنية والسيارات ونرى مارة أيضًا. ولا نفكر في الفرق العظيم بين الإنسان وغيره من الظواهر المشهودة. الطغاة بشكل خاص لا يعرفون مكانة الإنسان ولا يقدرونها، ولا يعيرونها أهمية فهم مستعدون أن يزهقوا أرواح الملايين من البشر من أجل مصالحهم المادية الدنيئة.

بقليل من التأمل يمكن فهم الفرق العظيم بين الإنسان والموجودات الأخرى. وما الذي يميّزه؟ قوة العقل، ومعرفة الكليات، واستنتاج الجزئيات. فذلك ما لا يستطيع أن يقوم به

الحجر والشجر. قدرة الإبداع عند الإنسان تجعله يتطور باستمرار. يمتلك الإرادة واتخاذ القرار، لا كالتحفة التي ذكرناها أمس. ليس بالموجود الذي تسيّره غرائزه، بل يستطيع أن يتحرّك خلاف ما تُملي عليه الغريزة. هذه المميزات في الإنسان تعود بأجمعها إلى ما أفاضه الله من روحه في هذا الكائن: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^١.

كل هذه العظمة في الإنسان تبدأ من نطفة.. من علق.. من دم منعقد. هذا العلق يتبدل إلى إنسان كبير في الرياضيات والفلسفة والطب والفضاء. والآية تلفت نظر النبي إلى هذه الحقيقة لتصنع منه الإنسان الذي يعرف مكانته في الوجود.

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ وهذه مرحلة أعلى، وهي تعليم الإنسان. والقلم له أهمية في ارتقاء الإنسان. لولاه ما انتقلت علوم الجليل إلى الجيل التالي، ولما حدث التراكم المعرفي لدى البشرية. لو أن كتب أرسطو لم تصل إلى أبي علي بن سينا لما بلغ ابن سينا مرتبته المعروفة في الفلسفة، ولو لم تكن الكتب الفقهية للشيخ الطوسي^٣ مثلاً أو العلامة الحلي^٤ تحت تصرف الشيخ الأنصاري^٥ والميرزا الشيرازي^٦ — وهما أعمق علماء من العلماء الذين سبقوهم بألف سنة — لو لم تصل كتب أولئك إلى هؤلاء لما بلغوا ما بلغوا من نضج علمي. ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ علمه سبحانه فتح مغاليق الجهولات. هذه هي النعم التي أعدها الله على الإنسان. حسناً، إذا كان الله قد أعطى الإنسان نعمة القلم ونعمة معرفة ما

١- الحجر/ ٢٩ و ص/ ٧٢

٢- أبو علي سينا (٣٧٠ - ٤٢٨هـ)، ولد قرب بخارا، وتبحّر في العلوم العقلية والطبية، من مؤلفاته: القانون في الطب، والشفاء في الفلسفة.

٣- الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) ولد في طوس من أعمال خراسان، وعرف باسم شيخ الطائفة. وفي العراق تتلمذ على الشيخ المفيد والسيد المرتضى. ومن مؤلفاته: تهذيب الأحكام والاستبصار وهي من الكتب الحديثية الأربعة.

٤- الحسن بن يوسف الحلي (٦٤٨ - ٧٢٦هـ) وتبحّر في مختلف العلوم، ولذلك سمّي بالعلامة. بعد وفاة المحقق الحلي تولى زعامة الشيعة وهو في الثامنة عشرة من عمره.

٥- الشيخ مرتضى الأنصاري (١٢١٤ - ١٢٨١هـ)، من أحفاد جابر بن عبد الله الأنصاري، ولد في مدينة دزفول وتتلّمذ في كربلاء على يد كبار العلماء، وكتابه المكاسب مرجع للدراسات الفقهية حتى يومنا هذا.

٦- الميرزا محمد حسن الشيرازي (١٢٥٨ - ١٣٣٨هـ)، صاحب فتوى تحريم التنبك التي أدت إلى إفشال معاهدة بريطانيا مع إيران بشأن احتكار التنبك. كان في الصف الأمامي في الجهاد ضد الاستعمار البريطاني.

لم يعلم فمن المفروض أن هذا الإنسان يطوي سَلَمَ تكامله باستمرار ولا يتوقف عن ذلك لحظة واحدة، وأن لا تكون في حياته عودة إلى الشقاء. هل الأمر كذلك؟ الجواب.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿١﴾ أَن رَّاهُ اسْتَعْتَضَى ﴿٢﴾ طغيان الإنسان هو الذي يؤدي إلى شقاء البشرية، هو الذي يحول دون أن يستفيد الإنسان من المواهب الإلهية أكثر ما يمكن وكما أراد الله. طغوا حين رأوا أنفسهم مستغنين، وبذلك خرجوا عن الطريق الإلهي. تستمر الآية في بناء شخصية النبي (ص). وجهته إلى خالقية الله وتعليم الله وأنه سبحانه الأكرم، وأن الإنسانية لم تبلغ المرتبة التي ينبغي أن تصلها، بسبب طغيان الذين رأوا أنفسهم مستغنين. الذين كنزوا الثروات وجمعوا الأموال. هؤلاء هم الذين حالوا دون وصول البشرية إلى ساحل السعادة والنجاة. بهذه التعليقات وجه الله سبحانه نبيه إلى ساحة العمل بعد أن فجر ما في نفسه من مشاعر وعواطف إنسانية.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿١﴾﴾ هل هؤلاء الطواغيت سيحققون مآربهم؟! كلاً فعودتهم إلى الله، والعاقبة لله وللجبهة الإلهية. والبشرية ستتجه في النهاية إلى الطريق الذي رسمه لها الله. وفي السورة حقائق أخرى حول النبي والتحوّل الكبير الذي يحدثه في المجتمع. وهكذا الأمر في سورة النجم^١.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالتَّجْرِ إِذَا هَوَىٰ ﴿٢﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٣﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٥﴾﴾.

قسم بالنجم حين يهوي، ما ضلّ الرسول ولم ينطق بباطل. والآية بصدد المعراج كما ذكر كثير من المفسرين. الآية في مفهومها العام تتحدث عن التحوّل الذي حدث للنبي حين تلقى الوحي. ولكن سبب النزول الذي ذكر للآية هو أن هناك من لم يصغ إلى كلام الرسول حين تحدث عن معاجزه. وتؤكد الآية أن كلامه لم يصدر عن هوى بل عن وحي أوحى إليه.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿١﴾﴾ قيل إن شديد القوى جبرائيل، وقيل هو الله، والقول الثاني أكثر انسجاماً مع «عَلَّمَهُ» إذ التعليم من الله تعالى لنبيه.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو حكمة وقوة وبُعد عن الآفات. وإذا كان شديد القوى هو الله فهو أيضا ذو مِرَّة.

﴿فَاسْتَوَى﴾ فاستقام النبي وثبت على الطريق.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ لقد كان الرسول في أفق سام، وبهذا الافق تأهل للنبوة.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ اقترب، واقترب أكثر من رب العالمين.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ والآية فيها كناية عن القرب الشديد، وليس المقصود المسافة المادية.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ عندئذ نزل عليه الوحي.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ما رآه النبي هو رؤية قلبية غير كاذبة.

﴿أَفْتَمَارُؤْنَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ هل تجاد لونه على رؤيته؟!!

من مجموع هذه الآيات نفهم أن النبي بعد تكليفه بالرسالة قد تعيّر، واتخذ مسعاه طابع الجِدِّ والاجتهاد المستمر ليعث المجتمع من جديد ويغيّره من الجذر والأساس، وهذه هي مسؤولية الرسالة.

والحمد لله رب العالمين.

الجلسة السادسة عشرة

الثورة الاجتماعية في النبوة

الجمعة ١٧ رمضان المبارك ١٣٥٣ هجرية

١٣٥٣/٧/١٢ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾

(القصص / ٥-٦)

تحدثنا أمس عن الثورة التي تحدث في شخصية النبي حين يبعث بالرسالة، وما تؤدي إليه هذه الثورة من تغيير اجتماعي أساسي نطلق عليه اسم الثورة الاجتماعية في النبوة. أشير أولاً إلى أن المستشرقين الذين يتناولون النبوة لا يؤمنون بالوحي عادة، لذلك فهم يرون أن انبعاث النبي كان نتيجة تأمل طويل وتفكير مستمر أدى به إلى النهوض بهذا التغيير الاجتماعي. وقد يسايرهم في ذلك بعض الغافلين أو المغرضين. بينما الواقع يشهد أن نبينا^(ص) بعد اتصاله بالوحي قد أصبح غير ذلك النبي قبل الاتصال، وهكذا الأمر بالنسبة إلى سائر الأنبياء مثل موسى^(ع) كما ذكرنا أمس.

حين نتحدث عن الثورة الاجتماعية في النبوة، فإن ذلك لا يعني بالضرورة أن تكون مصاحبة للعنف وإراقة الدماء. نمثل للثورة في تغيير بيت سكني إلى مسجد، هذا البيت لا يمكن أن نكتفي بترميمه وطلائه وتغيير بعض جدرانه، فذلك لا يؤهله لأن يكون مسجداً، المشروع الجديد يقتضي أساساً جديداً وهندسة جديدة، وتصميماً جديداً، وخارطة جديدة. لأن المبني الجديد يختلف تماماً عن المبني الآخر. هذه العملية هي الثورة.

هناك في الساحة البشرية نوعان من المجتمعات مجتمع تحكم فيه أقلية مسيطرة على رقاب الآخرين، تمارس الحكم كما تشاء، لا يعارضها معارض، وإذا فتح أحد فمه بالمعارضة ينزلون به أنواع البطش والتنكيل. يدفعون بكل ما في المجتمع ليصبّ في مصلحتهم دون أي اهتمام بمصالح الناس. وإذا واجه ذلك المجتمع خطر يقدّمون الشعب ليكون وقودًا لدرء ذلك الخطر، وهم قابعون في زاوية بعيدين عن المعركة. هذا نوع من المجتمعات سواء كان فيه تمييز طبقي أم لم يكن. أما إذا كان المجتمع يعاني من التمييز الطبقي فإن ذلك يعني عدم وجود المساواة في حقوق الأفراد، وعدم إتاحة الفرص والإمكانيات المتساوية لهم، بعضهم قد استطاع أن ينال من تلك الفرص ما لم ينله الآخرون، فيتضخّمون ويتحكّمون ويطغون، والآخرون مضطرون إلى الرضوخ لهم، والتملّق لهم لنيل عطاياهم وتعفير جباههم بالتراب أمامهم. هذا المجتمع طبقي في تكوينه الاجتماعي وفي اقتصاده، والحكومة في هذا المجتمع تتحرك وفقًا لمصالح الطبقات العليا.

والنوع الثاني: مجتمع ليس من هذا القبيل ولا ذاك. فما هو؟ إنه المجتمع الذي لا يملك أحد الحق أن يستقوي على الآخرين. لا طبقة على طبقة أخرى ولا فرد على فرد آخر. لا يحق لأحد فيه أن يسحق حقوق الآخرين، وينهب أموالهم، ويذلّمهم ويظلمهم. أفراد ذلك المجتمع يتجهون في الطاعة لقوة واحدة هي أسمى من قوة البشر.. إنها الله سبحانه. وفي هذا المجتمع الخالي من التمييز الطبقي تسود في اقتصاده عدالة التوزيع وفي حكومته مشاركة الجميع، والحقوق الأساسية فيه عامة. لو واجه مثل هذا المجتمع مكروهًا، فكل أفراده شركاء فيه، ولو نال سرورًا فإنه ينال الجميع. ومثل هذا المجتمع يعيش في أجواء الحرية. وأؤكد على الحرية، إذ توجد بعض المجتمعات في العالم ممن تدّعي أنها قضت على الطبقة لكنها صادرت الحريات.

المجتمعات من النوع الأول هي التي يحكم فيها القياصرة والأكاسرة والجبابرة. ومجتمعات النوع الثاني هي التي أقامها الأنبياء العظام على مرّ التاريخ. وهل الأنبياء أقاموا مجتمعات لأنهم؟ نعم مارسوا ذلك، وفي القرآن الكريم إضاءات كثيرة في هذا الشأن لدى سرد قصص سليمان، وطالوت، وموسى وما فعله تجاه بني إسرائيل، إذ أنزلهم في الأرض

المقدسة ليقوم لهم هناك مجتمعاً ومدينة فاضلة.

مهمة الأنبياء تبديل النوع الأول من المجتمعات المفعمة بالموبقات والمليئة بما يتعارض مع العقل والإنسانية، إلى مجتمعات النوع الثاني، وهذا هو مغزى حديثنا في هذه الجلسة. التصور السائد في الأذهان تجاه النبي هو أنه إنسان يأتي إلى المجتمع باعتباره حكيمًا عالمًا يقبع في مكان لينهل الناس من فيض علمه وحكمته. يتصورون أن إبراهيم خليل الله أو موسى كليم الله حين مارس دوره في مجتمعه فإنه اتخذ بيتًا مناسبًا، وخصص ساعات لمقابلة الناس المؤمنين منهم وغير المؤمنين. وفي هذه المقابلات يقدم إلى الناس استدلالات بوجود الله وبضرورة الخوف من الله، فيصلح من يصلح من الناس ثم يغادر الدنيا بعد أن أدى مهمته!!

لا، ليس النبي بهذه الصورة، حين يُبعث إلى مجتمعه تثور روحه ويغلي صدره، فيصبح إنساناً آخر غير الذي كان عليه، ثم يتوجه إلى مجتمعه فيراه قائماً على أساس مغلوطة، ويرى تصميمه المعماري مخالفاً لتصميم الفطرة الإنسانية، ويرى ضرورة تغييره. يرى أن مجتمعه فيه التمييز الطبقي، وفيه الظلم، وفيه التعسف، ولا بد أن يتغير إلى مجتمع توحيدي.

وما معنى المجتمع التوحيدي؟ ذكرنا من قبل أنه المجتمع الذي يخلو من التمييز الطبقي، والحكم فيه حكم الله. كل شيء خاضع لقوانين وسنن وقرارات وآداب وثقافة مستوحاة من رب العالمين. التوحيد الإلهي يعني أن الناس جميعاً عبيد الله لا غيره. يعني أن الناس أحرار من عبودية أمثالهم من الناس. حين يجل النبي في مجتمعه الجاهلي بهذا الهدف.. بهدف التغيير يعمد إلى هدم ذلك المجتمع ليقوم مجتمعاً خاضعاً لحكومة رب العالمين. النبي مبعوث لهذا الهدف.

يأتي النبي ليقرب ذلك المجتمع، ولا أقول يأتي لإراقة الدماء.. أبداً!. حين أذكر عملية الثورة التي يحدثها النبي فلا يعني ذلك ضرورة إراقة قطرة من الدماء. لا أقول أنه يثير صراعاً ونزاعاً بين الناس.. ليس الأمر كذلك. طبعاً أحياناً في الحياة العادية قد يحدث ما يؤدي إلى سفك الدماء. ألا تبتعث حادثة طفيفة أحياناً إلى سفك الدماء؟ ألم تحدث الحرب العالمية الأولى جرّاء حادث بسيط هو اغتيال ولي عهد النمسا؟ في الثورة الاجتماعية أيضاً قد

يحدث بعض ما يؤدي إلى إراقة دماء. ولكن الثورة بنفسها لا تتضمن اقتتالاً ولا فيها نزاع. لو أن النبي أعلن عزمه على إحداث ثورة في مجتمعه، ولم يقاومه من يريد إبقاء الأوضاع الشاذة في ذلك المجتمع لما حدث أي صراع دموي. لو أن فرعون الطاغية استسلم أمام خطاب موسى وهارون حين وجّها إليه ذلك القول اللين، ووجها إليه الدعوة لإنهاء ما كان ينزله من ظلم بني إسرائيل، وما كان يمارسه من تمييز طبقي، لما حدث ما حدث من مواجهات حادة. نعم القرآن الكريم يذكر قتال الأنبياء، من مثل قوله تعالى: ﴿وَكَاثِبِينَ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَل مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾^١ وتتحدث آيات كثيرة عن الجهاد. والسبب في ذلك أن الطبقة المرفهة.. الطبقة المستفيدة من الأوضاع الشاذة في المجتمع لا تتنازل عن تعسفها وغطرستها أمام الثورة الإلهية. ولو أن هذه الفئات المرتبطة ومصالحاً بالأوضاع القائمة تفهّمت الحقيقة وعادت إلى قيمها الإنسانية لم يكن الأنبياء مضطرين إلى إعلان جهادهم. نعم لو أن هذه الفئات المعاندة رضخت إلى نداء الفطرة كما حدث لكثير من الشخصيات السياسية والاقتصادية في التاريخ، إذ تغيّروا فجأة واستنارت ضمائرهم وحدث تحول جميل في أرواحهم، لما حدثت في المجتمع مواجهات دموية.

إذن النبي يُبعث إلى المجتمع كي يغيّره، وما معنى يغيّره؟ أن يقول لمجتمع كمجتمع الحجاز في عصر خاتم الأنبياء: إن المال مال الله، فلماذا تحتكره أقلية من طبقة الأشراف؟ والناس جميعهم عباد الله، فلماذا يصبح العبيد آلة طيعة بيد أهواء الأسياد من أمثال الوليد بن المغيرة وأبي لهب وأبي جهل؟

لماذا لا يكونون جميعاً سواسية كأسنان المشط؟ التوجّه الإنساني للحياة يستدعي أن يكون الناس متساوين «كلكم من آدم و آدم من تراب»^٢.

هدف الأنبياء في المجتمعات التي بُعثوا فيها هو تبديل المجتمع من حالته المنحرفة، من حالته غير المتعادلة، من حالة الظلم والجور إلى مجتمع متوازن متعادل عادل خال من مظاهر القبح ومفعم بمظاهر الجمال.

١- آل عمران/ ١٤٦

٢- بحار الأنوار، كتاب الإيمان والكفر، أبواب مكارم الأخلاق، باب ٥٦، ح ١٠.

الثورة الاجتماعية في النبوة ■ ١٨٣

طبعًا، الأنبياء الكبار الذين نعرفهم باسم الأنبياء أولي العزم كانوا أقطاب الثورات الإلهية، وباقي الأنبياء مهمتهم أن يواصلوا مشروع أولئك، أو يكملوه، أو ينصّبوه، أو يعيدوا إلى الرسالة وجهها الناصع على أثر ثورة جديدة، وهذا ما نهض به أوصياء نبينا بعد رحيله.. ما نهض به أمير المؤمنين والحسين بن علي وسائر الأئمة، وعلماء الإسلام ثم ما ينهض به المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه.

الموضوع الآخر في أمر الثورة الاجتماعية للبعثة هو الإجابة عن تساؤل قد لا يظهر على الألسن لكنه قد يخطر في الأذهان، وهو ما السبب في كل ما يعانیه الأنبياء من مصاعب وأتاعب لتغيير المجتمع طالما أن الحق لمن غلب.

هذا المنطق يتعارض مع منطق الفطرة ومنطق الكون. يتعارض بكلمة واحدة مع منطق الحق.

الحق والباطل مفردتان تردان في القرآن بكثرة، ويرد معها الصراع القائم بين الحق والباطل. والحق هو ما وافق الفطرة الإنسانية وما انسجم مع قوانين الكون وسننه، والباطل ما خالف ذلك.

الكون خارج الإنسان يسير وفق قوانين وسنن معينة ويتجه نحو غاية مرسومة.. هذا ما نراه في الأفلاك والنباتات والحيوانات. وهي قد تبدو مجزأة لا ارتباط بينها، لكنها في نظر الإنسان الإلهي وحدة لا تتجزأ. أجزاء العالم كلها أعضاء في جسد واحد.

وفي داخل الإنسان، المعدة تؤدي واجبها في عمل معين، والعين كذلك، وهكذا الكبد والأعصاب، لكنها تعمل في دائرة مشتركة وهي البقاء على حياة الإنسان. العالم بأجمعه يخضع في حركته لنظام معين، إلا الإنسان. فالإنسان مختار، يستطيع أن ينحرف عن نظام الكون. أما بقية الموجودات فتتحرك وفق مسيرها المرسوم، وإذا رأيت انحرافاً في مسيرتها فإن الإنسان هو الذي غير مسيرتها. اليورانيوم يستطيع أن يعالج كثيرًا من الأمراض ويخدم الإنسان في حقول شتى، لكنك لو رأيت أن هذا اليورانيوم قد تحول إلى قنبلة نووية تزهق أرواح الملايين، فإن الإنسان هو الذي غير مسير هذه المادة. وكثير من المواد المخدرة مثل مادة «ال سي دي» والمورفين يمكن استعمالها في المعالجة وإجراء

العمليات الجراحية لكن الإنسان يتجه بها إلى الإدمان على المخدرات، فيخرجها عن مسيرها بما يملك من اختيار.

ولما كان هذا الكائن البشري له خاصية الاختيار والخروج عن المسير الطبيعي الحق فلا بد من قانون يوجه مسيرته لتكون منسجمة مع مسيرة الكون.. مع مسيرة الحق. مثل هذا القانون منسجم مع طبيعة العالم. ولما كان منسجماً ومطابقاً لطبيعة العالم، فهو أيضاً منسجم مع طبيعة الإنسان ومطابق لها، لأن الإنسان جزء من أجزاء هذا العالم. وبما أن هذا القانون متطابق مع فطرة الإنسان والعالم، فإن فيه خير الإنسان وصلاحه.

ما هو الباطل، هو المنهج، هو القانون الذي يتعارض مع فطرة الإنسان وطبيعة الكون. الباطل هو ما يضعه المتغرسون والشياطين وأولئك الذين يريدون أن ينحرفوا عن هذا المسير. الأنبياء يأتون بالحق ليدحضوا به الباطل، المجتمع الذي يصنعه فرعون يقسم الناس إلى طبقات، يرفع طبقة ويخفض طبقة أخرى، ويبارس الظلم بحق من يشاء. هذا الوضع الاجتماعي باطل. والأنبياء جاءوا ليقلبوا هذا الشكل الباطل... ليدمغوه.. ليزيلوه.. وليقيموا الحق مكانه. فما يعانیه النبي من شقاء إنما هو من أجل الحق. فلا يقرّ للأنبياء قرار من أجل تحقيق هذا الهدف، لا يهدأون لخطة في سبيله. هذا هو تفسير عمل الأنبياء.

بعبارة موجزة يريدون تبديل النظام الظالم الطبقي اللاإنساني الجاهلي إلى نظام إلهي، في تصميم اجتماعي توحيدي. يريدون أن تكون الحاكمة في المجتمع لله، لا للأهواء والرغبات. من أجل هذا يرفعون شعار التوحيد، ومن أجل هذا يحاربون الطواغيت، وستعرض لهذا في جلسات أخرى.

اخترنا آيات من سورة القصص^١ تشرح هذا الوضع الجاهلي للحكم الفرعوني. والمجتمع الفرعوني، والوضع الذي أراد موسى^(ع) أن يقيمه، وما جرى من مواجهة بين الوضعين، ثم ما آل إليه أمر جبهة موسى من انتصار، ثم تبشر الآيات كل الموحدين في العالم بالنصر

والنجاح. ولماذا هذا الفتح والنصر؟ لأن حركة دعاة التوحيد متطابقة مع الفطرة وطبيعة الكون والإنسان.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • طسّم • تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ تبدأ السورة بالحروف المقطعة وللمفسرين فيها آراء لسنا بصدها الآن.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الآية تريد أن تستعرض جزءاً من نبأ موسى وفرعون فيما يرتبط بالمواجهة بين الحق والباطل. وهذه هي الطريقة القرآنية في عرض قصص الأنبياء. يتناول القرآن في كل موضع جانباً لتقرير حقيقة معينة، وهي غلبة الحق على الباطل. فالقصة هنا موجهة للنبي وللمؤمنين ليفهموا السنّة الإلهية في هذا المجال. وإذا فهموا ذلك فإنهم يعيّنون مسيرهم. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ إن فرعون قد استعلى وجعل نفسه في الدرجة العليا، ثم قسّم المجتمع إلى طبقات، طبقة قريبة منه وطبقة أدنى، ثم أدنى. ثم استضعف طبقة منهم، أي فرض عليهم الضعف وقلة الإمكانيات والحرمان من النمو والتكامل. وهذه ظاهرة مشهودة اليوم في العالم، وخاصة فيما يسمى ببلدان العالم الثالث، إذ كل إمكانيات النمو والرقيّ متوفرة لدى فئة قليلة، وهذه الفئة فرضت على غيرها الحرمان، واستغلتهم وجعلتهم في حالة ضعف وهزال.

﴿يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ كان يقتل الشباب، لأنه يعلم بأن التحرك المعارض له لا بدّ أن يأتي من الشباب. ربّما لم يكن للمرأة في ذلك المجتمع دور في المجتمع، لذلك فإن الضغط الفرعوني كان موجهاً إلى الشباب. وقيل إن كاهناً أخبر فرعون بظهور فتى من بني إسرائيل يهدد سلطانه، لذلك عمد إلى ذبح أبناءهم. وأما نساءهم فيستحييها، أي يقيهنّ أحياء إما لإفسادهن أو للقضاء على نقاء نسب بني إسرائيل، وذلك بأن يختلط نسب هؤلاء بنسب القبطيين، فيذوبون في المجتمع الفرعوني، بعد أن كانوا يحافظون على هويتهم مدة أربعمئة سنة في ذلك المجتمع. وهذا لون من فساد فرعون «إنه كان من المفسدين» فساد في الفطرة، وفساد في المجتمع، وفساد في العالم. ودأب فرعون وأمثال فرعون أنهم إذا مسكوا بسلطة فإنهم يفسدون يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ

لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ^١ فرعون وأمثاله يُحُولُونَ بصور شتى دون أن تؤتي الطاقات المعنوية لهذا العالم أكلها.

و ما هو دور السنّة الإلهية؟ في هذا الاصطفاف بين الحق والباطل، يقول تعالى:

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۗ نُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

هذه مشيئة الله وسنته. «ونريد» ولم يقل أردنا، إنها سنة مستمرة في الحياة، أن نمنّ على من فُرض عليه الضعف، بالخروج من هذه الحالة، وأن يكونوا متبوعين وأن نجعل زمام الأمور بأيديهم، بدل أن كانوا تابعين وفي هامش المجتمع قابعين. نريد أن يرثوا الأرض وما عليها من خيرات. نريد أن يكونوا متمكنين مستقرين على الأرض، وأن نري فرعون الذي كان عاليًا في الأرض، وهكذا هامان الذي ينتمي إلى طبقة ممتازة سخّرت كل طاقاتها لخدمة فرعون، وجنودهما الذين يخدمون الجهاز الفرعوني دون أن ينالوا حظًا، «منهم» أي من المستضعفين ما كانوا يحذرون منه.

لقد مُني فرعون وهامان بما كانا يحذران منه، كانا يحذران من سلب سلطتهم، فسلبت وصارت بيد المستضعفين.

والحمد لله رب العالمين.

الجلسة السابعة عشرة

أهداف النبوة

السبت ١٨ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/١٣ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ
الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ
شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

(الحديد/ ٢٥)

وصلنا في سلسلة أحاديثنا عن النبوة إلى أن النبي حين يبعث يدخل الساحة الاجتماعية، ويحدث فيها نهضة كما حدثت في داخله، ويوجد فيها تحولاً وتغييراً. وفي هذه الجلسة نريد أن نفهم الهدف والمقصد من هذا التحول، وبشكل عام نريد أن نوضح الهدف وراء سعي الأنبياء.

للأنبياء هدف أصلي، وفي طريق تحقيق هذا الهدف الأساس ثمة أهداف أخرى، وبين هذه الأهداف الأخرى هناك هدف أهم من غيره.

أما الهدف الأصلي والأساس للأنبياء هو إيصال الإنسان إلى الدرجة المقدرة من سموه وكماله. الإنسان موجود يمتلك طاقات وكفاءات وقوى كثيرة يستطيع بها أن يبلغ مرتبة أسمى وأعزّ وأشرف مما هو عليه.

الإنسان منذ ولادته في حالة تكامل مستمر. هذا التكامل مشهود في ظاهر جسمه. الطفل الوليد يفتقد كثيرًا من خصائص الإنسان الكامل. يفتقد الأسنان ويفتقد اليد القوية والفك القوي، ويفتقد القدرة على المشي، ويفتقد الجهاز الهضمي الذي يستطيع أن يستقبل من

الطعام ما يأكله الكبار، ويفتقد الدماغ القوي والأعصاب القوية. وبعد مدة يحصل له ما كان يفترقه، لم يأت إليه شيء جديد من الخارج، فيده نفسها تصبح قوية، وفكه نفسه يصبح قوياً، ورجله نفسها تصبح قوية قادرة على المشي، وهكذا أجهزته الداخلية هي نفسها لكنها تكتسب قوة من بعد ضعف. قابلياته وقواه الكامنة تظهر بمرور الزمن بعد توفر الظروف الخاصة. فيه قابلية النطق ثم بعد ذلك يصبح قادراً على النطق، فيه قابلية الفهم والتفكير وأن يكون عالماً ثم بعد ذلك تتحول هذه الكفاءات بالقوة إلى الفعل. فالإنسان يتكامل باستمرار.

هذا بالنسبة إلى الجسم الظاهري للإنسان. هذا الأمر نفسه يصدق على الجوانب المعنوية والروحية والفضائل الإنسانية. ففي الإنسان يكمن عالم من الكفاءات في هذا المجال. إنه منجم غني ثري إذا استخرجته ستجد فيه شيئاً كثيراً، وإذا لم تستخرجه سيبقى دونها ثراء ولا عطاء ولا جمال.

أشبه ذلك بالموزائيك الذي يستعمل في تزيين البناء. حين يوضع في قوالب ويفرش لا ترى فيه أي جمال. سطحٌ مُعتمٍ خالٍ من الألوان والنقوش. ولكن بعد ذلك حين يُصقل ترى زوال العُتمة وظهور ألوان جميلة ونقوش خلابة. وما كان بالإمكان ظهور هذه الروعة إلا بعد الصقل المتواصل.

كل إنسان ينطوي على هذا المنجم الغني، وهذه الصور الجميلة من الفضائل الإنسانية. كما يقول الشاعر الفارسي سعدي الشيرازي:

طيران مرغ ديدى، توز پابند شهوت به در آي تا بيني طيران آدميت
أرأيت تخليق الطيور؟! أنت أيضاً تحرر من قيود الشهوة كي ترى طيران الإنسانية

لقد قال لنا القدماء بلغة الشعر وبلغة العرفان — وقولهم صحيح — إن الخصال الإنسانية ترفع الإنسان فوق مستوى الملائكة، وتصير من الإنسان منبعاً متدفقاً من المحاسن والجمال ومن الكفاءات والطاقات المتفجرة بعد كمنها، أي تجعل منه إنساناً متكاملًا متساميًا.

وهذا هو هدف الأنبياء. وهذا هو معنى التزكية والتعليم في أهداف الأنبياء. إنه تطهير الإنسان من الصفات الرذيلة والأهواء ومن الخصال الحيوانية المتوحشة. لا يمكن أن نطلق اسم الإنسان على أولئك الذين يمارسون أعمال الذناب والكلاب بينما ظاهرهم كظاهر البشر. ليس بإنسان ذلك الذي يتلذذ بسفك الدماء ويتسلّى بإزهاق الأرواح، ولا يتألم لآلام الناس ومحنهم وأحزانهم. ليس هذا بإنسان مهما كان ظاهره، حتى ولو امتلأ علمًا وثروة وقوة. أن تكون إنسانا شيء وأن تكون عالمًا أو مقتدرًا أو ثريًا أو متحليًا بظاهر جذّاب شيء آخر.

الأنبياء يأتون لتطهير الإنسان، لا ترون في ساحة الأنبياء أثرًا للسبعية والحيوانية والوحشية، ساحة الأنبياء ساحة نور وصفاء وإنسانية، وهذه معجزة النبوة. قد نبحت عن معاجز النبوة في الأعمال الخارقة للطبيعة، لكن المعجزة الكبرى للأنبياء هي صناعة الإنسان المتحلي بالفضائل.

حين ننظر إلى المجتمع الذي ظهر فيه النبي الخاتم نرى ذلك الفسيفساء المعتم القبيح قبل صقله. وبعد أن تعمل النبوة صقلها فيه يتحول ذلك الكائن البشري البدوي الجافي إلى إنسان عظيم.

الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري كان قبل الإسلام مثل أبناء جلدته رجلاً يألف حياة البداوة الجافية الخشنة، مثل هذا الإنسان لا يأبه به عادة أولئك الذين يدعون أنهم مصلحون، ولا يعيرونه أهمية، بل يتعالون على أمثال هؤلاء. لكنّ رسول الإنسانية حوّل هذا الرجل الجافي الجافي إلى إنسان تجتمع فيه الفضائل الإنسانية كلها. ذاب في هدفه الرسالي، وأصبحت جميع نشاطاته تدور حول الرسالة لا حول «الأنا».. هذه الأنا التي تدور حولها مصالحنا. نريد كل شيء لنا ولأبنائنا وسُمعتنا ودكّاننا. أبو ذر ضحى بهذه الأنا من أجل هدفه الكبير. لقد صقلته الدعوة النبوية فخرج بعدها إنسانا مصقولاً مضيئاً ساطعاً. وهذا هو هدف النبوة.

الهدف النهائي من أي نشاط إنساني هو الذي يحقق الغرض من ذلك النشاط. لو أراد أحد أن يبني مسجدًا فلا بدّ أن يفكر في النتيجة النهائية من هذا العمل، لا بدّ أن يفكر في الهدف الرسالي الكبير من وراء هذا العمل، لا أن يكون هدفه محدودًا بأداء طقوس العبادة دون أن يكون وراء هذه العبادة تحقيق هدف كبير.

المدارس المادية التي تدعي أنها تستهدف إقامة مجتمع الرفاه والعدالة، لا تستطيع أن تقدم للإنسان هدفاً كبيراً وراء إشباع متطلباته المادية. المدرسة الإلهية تستهدف أمراً أسمى من الاحتياجات المادية. هذه الاحتياجات هي شأن أي كائن بشري. وهدف الأنبياء تحويل هذا الكائن البشري إلى «إنسان».. إنسان يتكامل باستمرار، ولا يتوقف عند مرحلة من مسيرته نحو الكامل المطلق: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^١، والأنبياء جاءوا لتحقيق هذا الهدف.

الأنبياء جاءوا لينقذوا البشر من الدناءة والجهل والرذائل الأخلاقية، من ضمور الكفاءات الداخلية، وليجعلوا منه إنساناً متكاملًا متساميًا، وهذا الهدف يرد مرارًا في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيزَكِّيهِمْ وَيعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^٢ ورسول الله^(ص) يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^٣.

هذا هو الهدف الأول، أما الهدف الثاني فهو أهم. يكثر الحديث حول الهدف الأول، ويكرر بعضهم الكلام عن التهذيب والتزكية. ويرى بعضهم أنه وجد الطريق إلى تحقيق هذا الهدف. يرى أن ذلك يتحقق بالعزلة عن المجتمع وضجيج وضوضائه، واللجوء إلى صومعة يشتغل فيها بالرهبانية، وأكثر ما يفعله أنه يقدم النصيح لمن له قابلية الاتعاض!! هذا الكلام ينطلق من رغبة في الكسل والتعاس وطلب العافية وتوخي الأسهل في الأمور. بعض المتصدين للإرشاد والتعليم يلتذون بهذه الأحاديث، لأنها لا توقعهم في مشكلة ولا توقع الآخرين في مشكلة. ويرون أن التهذيب والتزكية عملية سهلة، وهي في الواقع ليست بالعملية السهلة كما سنرى.

نعم، الهدف الأول للأنبياء هو التهذيب والتزكية، ولكن السؤال الأهم هو: كيف مارس الأنبياء نشاطهم لتحقيق هذا الهدف؟ هذا هو الذي لا يدور حوله الكلام. هل إن الأنبياء اتصلوا بالأفراد واحدًا واحدًا، وأخذوهم إلى خلوة أو زاوية ليعلموهم ويربوهم؟ هل

١- البقره/ ١٥٦

٢- آل عمران/ ١٦٤

٣- بحار الأنوار، كتاب الايمان و الكفر، ابواب مكارم الاخلاق، باب حسن الخلق، ح ١

هم مثل أصحاب الزوايا جلسوا في مكان ليأتي إليهم الناس ويسترشدوا بهم؟ هل فتحوا مدرسة ووضعوا عليها لافتة كي يأتيهم من يريد أن يستزيد من علمهم؟ لا ليس هذا عمل الأنبياء ولا السائرين على طريق الأنبياء، وسنوضح ذلك عند حديثنا عن الإمام جعفر بن محمد الصادق. لم يكن عمل الإمام الصادق مقتصرًا على اعتلاء منبر الدرس والوعظ وأن يجلس تحت منبره أربعة آلاف طالب كما يروي ابن عقدة الرجالي المعروف، لم يكن هذا دأب الإمام الصادق ولا دأب جدّه رسول الله ولا الأنبياء. الأنبياء والسائرون على طريقهم كان لهم جواب واحد في كيفية تهذيب الإنسان وتزكيته وفق الأسلوب الإلهي الصحيح. وهو: إيجاد الجوّ الاجتماعي المناسب والملائم للتربية. لو كان عمل الأنبياء هو تربية الأفراد واحدًا واحدًا لما استطاعوا خلال عمرهم أن يغيّروا المجتمع. إذن لا بد من نظام قادر على صنع الإنسان المطلوب. الإنسان مثل شجرة مثمرة لا تؤتي أكلها إلا في ظروف مناخية خاصة وتربة خاصة. فنخيل التمر تثمر في بيئة خاصة، وإذا أردت أن تزرع النخيل في تربة وبيئة لا تناسب إثارة التمر فإنك لا تحصل على شيء، وإذا جهدت نفسك في الحصول على ثمرة في تلك البيئة غير المناسبة فقد تحصل على ثمرة أو تمرتين. لماذا إذن لا نتوجه في الإثارة إلى البيئة المناسبة لنحصل لا على ثمرة أو تمرتين بل إلى أحمال من الرطب.

العمل الفردي في الإصلاح يؤدي إلى استقامة فرد أو فردين، والعمل الاجتماعي يؤدي إلى إصلاح مجتمع بملايين أفرادهِ وإلى إصلاح أجيال متوالية.

ما نفهمه من القرآن الكريم أن سيرة الأنبياء في صناعة الإنسان هي خلق المجتمع الإلهي، المجتمع التوحيدي، خلق الجوّ المساعد على دخول الناس في دين الله أفواجًا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^١.

النبي في المرحلة المكية كان من الطبيعي أن يبدأ بتغيير الأفراد فردًا فردًا كي يكونوا حجر الزاوية في المجتمع المستقبلي، هذا لا يتعارض مع هدف الأنبياء. لقد صنع الجماعة الأولى من الصحابة ليكونوا قاعدة المجتمع المدني المطلوب، أي المجتمع التوحيدي والإسلامي.

كان الأمر في مكة صعباً بسبب عراقيل البيئة، البيئة العائلية الجاهلية والبيئة القبلية الجاهلية، لكن المرحلة المدنية هي مرحلة دخول الناس في دين الله أفواجا، حين أقيم المجتمع الإلهي والإسلامي في المدينة، وأصبح النبي قائداً لذلك المجتمع، يحكم فيه بتعاليم الدين المبين. إذن للأنبياء مهمتان: صناعة الإنسان وتحريره من الدنيا وجعله متخلقا بالفضائل الإنسانية، والهدف الثاني إقامة المجتمع التوحيدي والنظام الإلهي، ومن يُحِيل إليه أن هدف الأنبياء لم يكن على هذا النحو فليتمعن النظر في آيات القرآن والحديث والتاريخ. نذكر آيتين في هذا الصدد من جملة آيات كثيرة في كتاب الله العزيز تؤيد ما ذهبنا إليه، والآيتان تحتاجان إلى قَدْر من التأمل والتدبر. الآية الأولى من سورة الحديد، أذكرها مع شيء من التوضيح:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾^١ بالحجج البينة الواضحة التي يدركها كل عاقل.

﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾^٢ والكتاب كما ذكرنا مراراً يعني مجموعة المعارف والتعاليم التي تشكل أصل الدين. الكتاب جامع لمنظومة الفكر الإسلامي التي لها أثر عملي ملموس وفاعل.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾^٣ هو جهاز التعادل والتوازن في المجتمع. وهذامؤشر على الدور الاجتماعي للنبي، ولو لم يكن له مثل هذا الدور لما احتاج إلى ميزان يستطيع به أن يقيم التعادل والتوازن في المجتمع. والميزان يمكن أن يجد مصاديقه في الجهاز القضائي وفي الجهاز التنفيذي الذي يضمن التنفيذ ويشهد على الإجراء.

راجعت الأحاديث التي تتصدى لذكر معنى «الميزان» فرأيت فيها عبارة: «الميزان هو الإمام»^٤ ونفهم من هذا النص أن الميزان هو الإمام الذي يميز الحق من الباطل في المجتمع، ويقيم التوازن والتعادل فيه، إذ هو الحاكم في المجتمع. ولماذا أرسلنا الرسل والكتاب والميزان؟

﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي لِيُقيم الناس المجتمع العادل، أو ليعيش الناس في مجتمع عادل،

١- الحديد/ ٢٥

٢- تفسير نور الثقلين، ذيل الآية ٢٥ من سورة الحديد

وكلا المعنيين واحد. النبي جاء ليقيم مجتمعاً يحكمه نظام عادل، وليستتب العدل في المجتمع، ولتتوفر للناس في ظل هذا المجتمع فرصة التكامل والسمو. ثم بعدها تقول الآية:

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ لمواجهة الشياطين والذئاب المفترسة، وللدفاع عن القيم الأساسية. وراجعنا ما ورد من حديث بشأن معنى «الحديد» فوجدنا مفردة «السلاح». فالله سبحانه وضع الحديد إلى جانب دعوة النبوة. وضع السلاح وممارسة القوة إلى جانب إقامة النظام التوحيدي الإلهي. فالنظام العادل لا يقوم بالاكْتفاء بالموعظة، بل لابد من إقامة مجتمع القسط، والدفاع عن هذا المجتمع وقيمه بإعداد القوة. فهذا الحديد ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ ليتبين الذين ينصرون الله ورسله بالإيمان بالغيب، فالله غيب، ومن لم ير الرسول فإنه ينصره بالغيب.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ويلاحظ أن العبارات التي تُختتم بها الآيات كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أو ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ أو ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وردت في سياق مضمون تلك الآيات وهنا قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ للرد على من يحال أن الأنبياء قد لا يكونون قادرين على إقامة مجتمع القسط، لا، إن الله قوي، فلا تخافوا من المعارضين لدعوة النبوة. وهو عزيز. وقيل في العزيز إنه الغالب الذي لا يُغلب.

وأما سورة الأعراف فنقتطع منها ما يرتبط بموضوعنا في قوله تعالى: ﴿وَإِكْتُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ﴾^١ هذا دعاء مؤمن أو مؤمنين. ويأتي الجواب:

﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ أي أصيب به من يستحق العذاب وفق المعايير التي قررها سبحانه.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾
وَمَنْ هُوَ لاء؟ هم:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ وقيل في الأمي هو الذي ينتسب إلى عامة الناس، وقيل الذي لم يعلمه أحد، وقيل المنسوب إلى أم القرى.

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ فقد جاءت بشارة الرسول الخاتم في

التوراة والإنجيل. وماهي خصائص هذا النبي؟

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾.

فالمجتمع الإسلامي توفر فيه جميع ما يصلح فكر الإنسان وقلبه وروحه وجسمه من علم وتقوى وثروة، ويزول منه كل ما يسيء إلى الإنسان ويضر به.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ يضع عنهم ما كان يثقل كاهلهم من جهل وتقاليد وعادات خاطئة

وأنظمة فاسدة غير إنسانية، وحكومات دكتاتورية مستبدة طاغية مستغلة.

﴿وَالْأَعْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ وهذه الأعلال هي أغلال الرضوخ للمتغطرسين وأغلال

استغلال الإنسان للإنسان، وذلك لا يتحقق إلا في ظل نظام إنساني توحيدي.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾ أي عظموه ووقروه ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ أي

القرآن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

الجلسة الثامنة عشرة

منطلق الدعوة

الأحد ١٩ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/١٤ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ﴾

(النحل / ٣٦)

تحدثنا في الجلسات السابقة عن هدف الأنبياء وذكرنا أنه يتلخّص في إقامة المجتمع التوحيدي والنظام التوحيدي وهدم نظام الشرك الجاهلي وقيادة نهضة عظيمة في المجتمع. وتناول في هذه الجلسة نقطة البدء في حركة الأنبياء. من الطبيعي أن تتضح نقطة البدء في كل مشروع عملي للفرد أو للجماعة، فالمنطلق مهم لنجاح العمل إذا كان ذلك المنطلق صحيحًا، وإن كان خاطئًا فلا يتحقق الهدف المطلوب.

واتضح نقطة البداية في عمل الأنبياء يشكل درسًا للسائرين على طريقهم، كما يبين أساس مدرستهم وروحها ولبّها. والملاحظ أن الأنبياء لم يبدأوا عملهم بمعاملة واقع مجتمعهم، لم يعلنوا أهدافًا فرعية لينتقلوا بعدها إلى إعلان أهدافهم الأساسية، بل بدأوا بإعلان هدفهم الأساس بكل صراحة ووضوح. فما هو هذا الهدف؟ إنه «التوحيد».

التوحيد كما ذكرنا يحتزل كل مدرسة الأنبياء (عليهم السلام). التوحيد ومعرفة الله مبعث تكامل الإنسان وسموّ روحه. مشروع التوحيد يعني كذلك إقامة المجتمع الذي يسوده النظام الإلهي: النظام العادل، والنظام الخالي من التمييز الطبقي والاستثمار والظلم. وفي

ظل هذا المجتمع يتوفر الجوِّ اللازم — كما ذكرنا — لتكامل الكائن البشري ونموه. إنه المجتمع الذي لا إله فيه إلا الله، ولا لأحد حقٌّ أن يدعو الناس لإطاعته، حتى النبي الحامل لرسالة السماء ليس له حق مثل هذه الدعوة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي﴾^١. «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾^٢. وإذا كان النبي لا يحقُّ له أن يستعبد الناس ويخضعهم إلى أوامره بشكل مطلق فما بالك بغيره من الطواغيت الذين سيطروا على مقدرات البشرية على مرِّ التاريخ؟! التوحيد يرفض ذلك تمامًا، هذا هو معنى التوحيد، ومن لم يفهم التوحيد بهذه الصورة فهو إما أن يكون قاصرًا في مطالعته أو في فهمه، فهذه من واضحات القرآن الكريم. ذكرت باختصار من قبل في مبحث التوحيد أن النبي حين يعلن في مجتمعه أن «لا إله إلا الله» فإن جميع أفراد المجتمع يعرفون ماذا يعني هذا الشعار، الموالين منهم والمعادين.

منذ اليوم الأول حين نزل النبي، بعد هبوط الوحي عليه، من غار حراء وأعلن نداء التوحيد، ظهرت الجبهة المعارضة المعادية كما ظهرت الجبهة الموالية. أنا اليوم أبذل جهدًا لتوضيح مفهوم التوحيد، وأنه رفض كل قدرة غير قدرة الله، لكن أبا لهب والوليد بن المغيرة المخزومي وأبا جهل وغيرهم من سراة قريش أدركوا محتوى هذا المفهوم، فهموا أن نداء «لا إله إلا الله» ليس مسألة عقائدية فحسب، بل هو أيضًا قضية اجتماعية، يعني زوال مكانة أمية بن خلف^٣ والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل^٤. فهموا ذلك منذ اللحظات الأولى، لذلك هبوا للمعارضة ومناصبه العداء. لم يكن هؤلاء ينطلقون

١- المائة/ ١١٦

٢- آل عمران/ ٧٩

٣- أمية بن خلف، شيخ الجمحيين من قبيلة قريش، عارض الرسالة منذ انطلاقتها، وناصب العداء لمن أسلم، ومارس التعذيب ببلال الحبشي بعد إسلامه، قتل في بدر بيد المسلمين.

٤- العاص بن وائل بن هاشم، شيخ السهميين من قريش، ومن ألد أعداء الرسول، وهو الذي قال عن النبي إنه أبتز بعد وفاة ابنه القاسم، فنزلت سورة الكوثر لتجيبه.

في عدائهم من التزامهم بدينهم الجاهلي أو من تقديسهم لأصنامهم، وإن ادّعوا ذلك فهم كاذبون. مشكلتهم الأساسية مع النبي المبعوث هي مشكلة اجتماعية. لقد رأوا في نداء التوحيد هدمًا لعروشهم، وفهموا أن مجتمع التوحيد يعني رفض الظلم، ويعني هدم صرح نظام التمييز الاجتماعي والطبقي، ولذلك تصدوا لمعارضته كما تصدى من قبلهم فرعون ونمرود، وكما تصدى زعماء بني إسرائيل لدعوة عيسى، وكما عارض عاد وثمود أنبياءهم. الأنبياء يعلنون منذ البداية أهدافهم النهائية، لا كما تفعله المذاهب الوضعية التي تحفي أهدافها النهائية، وتُلهي الناس بآمال واهية، ثم يتبين بعد ذلك أن هدفها النهائي هو تحقيق مآرب أخرى. الأنبياء يقولونها منذ اليوم الأول إن هدفهم إنزال المستكبرين من صياصيمهم، ورفع المستضعفين من حالتهم.

ومن عطاء هذا الإعلان عن الهدف النهائي هو أن المؤمنين بهذا الدين سيختارون طريقهم عن وعي وبصيرة، سيختارون الطريق وهم يعرفون إلى أين يتجهون وإلى أي هدف هم ذاهبون. وبذلك تزداد همّتهم وترتفع قدرتهم على تحمل المصاعب والأخطار، ويعلمون أنهم يسرون على طريق ذات الشوكة. وهذه حالة طبيعية للسائرين نحو المثل الأعلى الكبير والمتجهين نحو معشوقهم. وكلما كان الهدف أوضح وأكبر تكون القدرة على تحمل مشاق الطريق أكثر.

هذه الصور الرائعة من التضحيات التي قدمها السائرون على طريق الرسالة، إنما هي بسبب ما تحلّوا به من بصيرة. هؤلاء الشباب الذين تحرروا مما ينشدّ إليه أمثالهم، وهجروا الأهل والبيت والراحة إنما كانوا يتجهون نحو هدف هم به عالمون وله عاشقون. البصيرة كانت وراء ما قدمه الزوجان ياسر وسمية من تضحيات وما تحمّلوه من مشاق.

لقد قرأت قبل أيام كتاب «الوعد الحق» لطفه حسين وفيه عرض لما تحمّله الرعيل الأول من المسلمين في سبيل عقيدتهم ورسالتهم. وقد ترجم هذا الكتاب الأستاذ أحمد آرام، وأدعوكم لقراءته.

١- أحمد آرام (ت ١٩٩٨) شيخ الترجمة في إيران، درس الحقوق، ثم الطب، ثم انصرف إلى العمل الثقافي، وترجم أكثر من ١٤٠ كتابًا من العربية والإنجليزية والفرنسية إلى الفارسية، منها تاريخ العلم، وفي ظلال القرآن.

نعم البصيرة والوعي مقدمة لازمة للدين. هذه هي حقيقة الدين الإلهي، خلافاً لما عليه مجتمعاتنا الإسلامية اليوم. الدين في مجتمعاتنا يعني إلغاء البصيرة والوعي. هذا ما ترسخ في ذهن المتدينين وغير المتدينين. كلا الفريقين يحسبان أن الدين يعني سد منافذ الفهم. المتدينون يؤمنون بأن أصول الدين لا يمكن أن تكون عن تقليد، ولكن الويل لمن يجروء على أن يتجاوز التقليد!! لقد عرفنا أن فروع الدين يجب الرجوع فيها إلى متخصص لا إلى العقل فخلنا أن كل الدين على هذا النحو. الدين أساساً مقرون بالوعي والبصيرة. وإذا كنت تقبل الدين دوننا إيمان قلبي فإن الدين لا يقبلك، لأن الدين يعير أهمية للوعي وللبصيرة، ويدعو إلى أن يكون التوجه نحو الله منذ البداية توجهاً واعياً، ومن هنا فإن الأنبياء يعلنون هدفهم النهائي منذ الوهلة الأولى للدعوة.

وثمة نتيجة أخرى يمكن أن نفهمها في هذا المجال وهي أن السائرين على طريق الأنبياء، وهم ورثة الأنبياء سواء العلماء الذين ورد في الأثر أنهم ورثة الأنبياء، أو سائر السائرين على طريق إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم أفضل الصلاة والسلام).. هؤلاء السائرون بأجمعهم يجب أن يعرفوا من أين يبدأون في مسيرتهم الإلهية.. من التوحيد.. من نقطة البدء التي شرع منها الأنبياء. وإذا لم نكن قادرين على أن نستنهض البشرية على المستوى العالمي في إطار التوحيد، فلنعلن على الأقل في آفاق العالم أن هدف الأنبياء ومقصدهم هو هذا الاستنهاض. لماذا لا يكون منطلق الخطاب الديني هو التوحيد بدل الانشغال بمسائل فرعية من الدرجة الثانية والثالثة؟!

دعاة الدين وعلماء الدين طبعاً لهم مكانتهم وأهميتهم في بيان حقائق الدين وأحكامه، وبدونهم سيكون وضعنا أفظع مما عليه الآن، بعضهم يفهم ما عليه من واجب ويفهم من أين يبدأ في خطابه الديني، ولكن بعضهم الآخر لا يبدأون من حيث بدأ الأنبياء، يطرحون مسائل من الدرجة التاسعة والعاشره ويحسبون أنها أهم من مسألة التوحيد، ومن القرآن، وأصول الدين والمعارف الإسلامية السامية.

وفي السيرة يلتقطون المسائل ذات الدرجة الرابعة والخامسة في الأهمية من حياة رسول الله (عليه الصلاة والسلام).

على سبيل المثال ثمة رواية تذكر أن الرسول كان يرى مَنْ خلفه كما يرى مَنْ أمامه. والشيخ الصدوق يعلّق على هذا الخبر بأنه يعني فطنة النبي وكياسته ووعيه على مَنْ حوله. هذا تعليق الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي صاحب عشرات المؤلفات القيّمة المهمة. لكن هناك من يأخذ هذه الرواية على ظاهرها ويورد الآراء المختلفة للمحدثين بشأنها، لكنه لا يتعرض أصلاً لهدف النبوة وللمجتمع الذي أقامه النبي، والحكومة التي أسسها، وما مارسه من تغيير اجتماعي.

العالم الإسلامي اليوم بحاجة ماسة إلى طرح مثل هذه المسائل العملية الحساسة. مريضنا اليوم في حالة احتضار، فلا يجوز التأخير في المعالجة. دعوا المسائل الكلامية ذات الأهمية من الدرجة الثانية والثالثة والرابعة ليوم نفرغ فيه من مسائلنا الأساسية. نعيد الكلام بأن نقطة البدء في دعوة الأنبياء هي التوحيد. ونورد في هذا المجال بعض الآيات ونبدأ بآية من سورة النحل:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^١ هذا هو أول إعلان الأنبياء. والطاغوت هو مَنْ وضع نفسه مكان الله، وتصدى لمواجهة أوامر الله أيًا كان. وقد يكون الطاغوت هو أنت: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»^٢. قد يكون الأهواء والمشتهيات. قد يكون طاغوت الإنسان هو استعلاؤه، وقد يكون تكبره. وقد يكون قوى خارج الإنسان. على أي حال جاء الأنبياء ليقولوا: الله لا الطاغوت.. اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.

﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ انظروا إلى حضارتهم المنهارة، وبلدانهم الخربة. انظروا إلى خرائب بابل وآشور وكلدّة، وإلى مخلفات الفراعنة، انظروا كيف أصبحوا وكأنهم لم يكونوا. هذه سنّة الله في الكون بشأن كل أمة تنحرف عن طريق عبودية الله. لقد كانت هذه السنّة تتحقق في الأمم الماضية بإنزال العذاب والإبادة الفورية بالطوفان والزلازل، غير أن هذه السنّة باقية

١- النحل / ٣٦

٢- بحار الأنوار، كتاب الإيثار والكفر، أبواب مكارم الأخلاق، باب مراتب النفس، ح ١.

إلى آخر الدهر. فالفناء حتمي لكل أمة لا تسير وفق الدين الإلهي. ولا يعني هذا أن أفرادها يهلكون ويموتون، بل إن الإبادة ستلحق بهويتهم الوطنية. سيدوبون في الهويات الأخرى. أين هوية آشور ومعين وبابل؟ أين ما شادوه من حضارة؟ لا شيء: ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾.

وفي سورة الأعراف ذكر الأنبياء واحداً واحداً في سياق منطلق دعوتهم، تبدأ أولاً بنوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^١ ثم تذكر الآيات التالية إعراض هؤلاء القوم وما نالهم من عذاب. وهكذا النبي هود: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^٢.

واستطراداً نشير إلى أن بعض دراسات علم الاجتماع تذهب إلى أن التوحيد يشكل مرحلة من مراحل تطور البشرية، إذ كان في البدء الشرك، ثم تكاملت المجتمعات لتصل إلى فكرة التوحيد. وهذا الكلام لا يقوم على أساس فالتوحيد كان موجوداً منذ فجر تاريخ البشرية. وأمام دعوة هود ظهرت جبهة المكذبين: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ وهذه هي التهمة التي توجه إلى دعاة الحق في كل زمان. ويجيبهم هود:

﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ • أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ فأننا لا أريد لكم إلا الخير والكمال والرفق حين أدعوكم إلى التوحيد. ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ جاءكم الذكر على رجل منكم، يلبس مما تلبسون ويأكل مما تأكلون. فهل في ذلك عجب؟!

﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ استخلفكم بعد قوم نوح، ومنحكم قوة وقدرة في خلقكم وأجسامكم. فلا تنسوا نعمة الله عليكم.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَدْرَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ لقد فهمت القوى المضادة فوراً ما

١- الأعراف/ ٥٩

٢- الأعراف/ ٦٥ - ٧١.

معنى ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ فواجهت النبي بالتمسك بما كان عليه الآباء، وبالتشكيك في الدعوة: ﴿فَاتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ لقد حق عليهم العذاب بسبب إصرارهم على التمسك بما ألف عليه الآباء، وبسبب هذا الذي صنعتموه أنتم وآبائكم من آلهة منحتموها القوة والقدرة، مما لم ينزل الله بها من سلطان. والسلطان هو القوة أو الحجّة والدليل والبرهان. بمعنى القوة فإن الله لم يمنح هذه الآلهة قوة وقدرة. وبمعنى الدليل والبرهان فالمعنى أن الله لم يمنح أي دليل وبرهان على صحّة هذه الآلهة. فلماذا تضعونها إلى جانب الله؟!

﴿فَانتَظِرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ لنزول عذاب الله.

والحمد لله رب العالمين

الجلسة التاسعة عشرة

الجبهة المعارضة

الاثنين ٢٠ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/١٥ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَلِتَضَعِيَ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾

(الأنعام / ١١٢-١١٣)

ذكرنا أن النبوة نهضة اجتماعية وقلنا أن من مبادئ هذه النهضة: رفض التمييز الطبقي الاجتماعي، أي رفض تقسيم المجتمع إلى طبقة الضعفاء والعبيد والفقراء والمحرومين من جهة، وطبقة المقتدرين والمتغطسين والمتنعمين من جهة أخرى. فلا وجود لهذا التقسيم في المجتمع الذي تدعو إليه النبوة.

ليس في قاموس الإسلام، بل في الأديان الإلهية أجمع أن لا يستطيع إنسان بسبب ضعفه أن يأخذ حقه. ذلك ما ليس له مكانة في إطار الحكومة الإسلامية والجهاز التوحيدي والإلهي: «لن تقدس أمة لا يؤخذ فيها للضعيف حقه غير مُتَمَتَّعٍ»^١ أي بدون تلعثم، أي بدون خجل وبدون الشعور بالدونية. جميع أفراد المجتمع أعضاء جسد واحد دونما تمييز. الحاكم الإسلامي مثل أمير المؤمنين (عليه السلام) في المجتمع الإسلامي له من الحق والحقوق ما لأي فرد من أفراد المجتمع.

أكبر مسؤول في الدولة لا يستطيع في المجتمع الإسلامي أن يجحد عن القانون مستغلاً بذلك

١- تحف العقول، باب ماروي عن أمير المؤمنين، رسالة الإمام إلى مالك الأشر.

سلطته، حتى في الفترة التي أقصي فيها أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وابتعدت الخلافة — في اعتقادنا — عن محورها الإلهي الأصيل.. حتى في تلك الفترة يأتي رجل من مصر يشكو إلى الخليفة اعتداء ابن والي مصر آنذاك عمر بن العاص عليه. نعم ابن الوالي لا الوالي نفسه. فيكتب الخليفة إلى الوالي أن يُقدِّم هو وابنه إلى المدينة. وحين سأل الخليفة ابن الوالي عن سبب ما فعله بالرجل، قال ابن الوالي: وأين شاهدُه؟ قال له الخليفة: كفاه شاهدًا أنه جاء من مصر إلى المدينة ليرفع شكواه. ومن أين له أن يأتي بالشاهد وأنت ضربته في مكان ليس فيه شاهد؟! فأمر الخليفة بجلد الابن ثم أمر بجلد الأب، فرجع عمر بن العاص صوته: لماذا أنا؟ تقولون إن ابني هو الذي ضرب الرجل. فقيل له: إن ابنك استقوى بك، لو لم يكن مدعوًا بمنصبك ما فعل ذلك.. اجلدوه!!

تُرى في هذا المجتمع الذي يدعو إليه الأنبياء من الذي سيهتّب لمعارضة النبي؟! مجتمع النبوة يدعو إلى توزيع الثروة بعدالة: «ما رأيت نعمة موفورة إلا وبجانها حق مضيع»^١. «راك فلر»^٢ استطاع أن يبلغ بثروته الأسطورية هذا الحدّ لأنه سلب حقوق الآخرين. لو كانت هناك عدالة في التوزيع لما بلغ هذا وأمثاله هذه الدرجة من الثروة.

هذا المجتمع خطوطه الأساسية سيادة العلم والعدل والمساواة ورفض التمييز الاجتماعي والاستغلال وسوء توزيع الثروة والاستبداد، والالتزام بالحق والحقيقة.

حين يأتي النبي إلى المجتمع الجاهلي، ليدعو إلى مجتمع جديد بالخصائص المذكورة، من الطبيعي أن يقف أمامه من يعتاشون على التمييز الطبقي والذين يرون أنفسهم في طبقة عليا والآخرين في طبقة أدنى. يخشون أن يجعلهم الدين الإلهي متساوين مع سائر أفراد المجتمع، يجعل الأشراف في مستوى العبيد لا فرق بين السيد والمسود. هذه فئة من المعارضين.

والفئة الأخرى هي التي تكدس الثروات وتمتص دماء الآخرين وتحتكر التجارة وسائر النشاطات الاقتصادية وتأكل الربا.

وثمة مجموعة أخرى ستعارض وهي فئة الحكام المستبدين لأن «لا إله إلا الله» سوف تجعل

١- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، على هامه التاريخ.

٢- من كبار الرأسماليين الأمريكيين، وكان له بالتعاون مع الكيان الصهيوني دور في الأحداث السياسية العالمية.

«الله» على رأس هرم المجتمع لا فرعون وهامان، ولا نمروود وشداد، ولا معاوية وغيرهم من القوى المستبدة في التاريخ. وهذه فئة أخرى من المعارضين.

والفئة الأخرى من المعارضين هم الأحرار والرهبان. هؤلاء الذين يتعاملون مع الأفكار ويلقنون الناس التعاليم التي تحفظ مكانتهم، إذ لو كانت أفكار الناس وتعاليمهم صحيحة وواعية لما استطاع هؤلاء الرهبان والأحرار أن يحافظوا على مكانتهم وقيادتهم الروحية وما يتبعها من مكاسب مادية.

كانت المواجهة الأولى لعيسى بن مريم مع الرهبان والأحرار. أحرار اليهود هبوا معارضة عيسى مع أنهم كانوا على معرفة بهذا النبي.

وفي عصر ظهور الإسلام، من هؤلاء الذين عارضوا الدعوة النبوية؟ واضح أنهم أولئك الذين لا يبقى لهم مجال خداع الناس، لا يبقى لأمثال كعب الأحرار^١ وعبدالله بن سلام^٢ مجال لنشر الخرافات والأكاذيب.

لذلك فإنهم يرون في الدعوة النبوية نهاية لمكانتهم الدينية الزائفة ومكانة القوى السياسية المؤتلفة معهم، فالمجتمع النبوي يقوم على أساس الوعي والعلم واليقظة والحرية الفكرية.. هذا هو المجتمع الإلهي التوحيدي.

وبشأن ائتلاف القوى الدينية المنحرفة مع قوى السلطة لدينا رسالة من الإمام علي بن الحسين السجاد إلى محمد بن شهاب الزهري (وهو نفسه محمد بن مسلم، ومسلم أبوه، وشهاب جدّ والده)، توضّح أن مثل هذا الائتلاف يؤدي إلى تضييع حقوق الناس، جاء فيها: «واعلم أن أدنى ما كتمت وأخفّ ما احتملت أن أنست وحشة الظالم وسهّلت له طريق الغي بدتوك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دُعيت»^٣. والرسالة طويلة منقولة بأجمعها في كتاب «تحف العقول».

١- أبو إسحاق كعب بن مانع الحميري، من علماء اليهود، واشتهر باسم كعب الأحرار، أسلم في زمن الخليفة الثاني، ودخل المدينة، رويت عنه ما ادعى أنه ينقله من التوراة، وسميت تلك الروايات بالاسرائيليات.

٢- عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، من أحرار يهود بني قينقاع، أسلم، وكان مقرباً من الخليفة الثاني ثم من معاوية، وهو من عوامل انحراف الجهاز الحاكم في المجتمع الإسلامي.

٣- تحف العقول، من كلام الإمام علي بن الحسين لمحمد بن مسلم الزهري.

على أي حال، إحدى المجموعات التي تُرى مذعورة من بعثة النبي زعماء الدين الخرافي، وهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان. كانوا في زمن إبراهيم^(ع) قد حثوا نمرود على مواجهة هذا النبي وإلقائه في النار، وهؤلاء في زمن موسى^(ع) وقفوا إلى جانب فرعون وأغروه بأن كهانتهم ستبطل سحر موسى!! وفي زمن نبينا^(ص) أخذوا في إثارة الإرجاف والتشكيك مما جرّ إلى واقعة مباحلة نصارى نجران.

من الطبيعي أن تلقى دعوة الأنبياء إقبالاً من كل إنسان في المجتمع لانسجامها مع فطرتهم وعقولهم، خاصة وأن الخطاب النبوي يمتاز بالوضوح والبعد عن التعقيد، لكن هذا الإقبال يتعارض مع مصالح الفئة التي تعيش على دفاء جهل الناس وخرافاتهم، لذلك يقفون بوجه الدعوة، وهؤلاء هم الذين ورد ذكرهم في القرآن ضمن سياق الحديث عن الأحبار والرهبان. إذ لا يمكن أن يحتفظوا بمكانتهم في مجتمع شعّ عليه وعي الدعوة النبوية، وتحلّى بالنموّ الفكري وبالعلم والمعرفة.

إلى هنا تحدثنا عن طبيعة المجتمع الذي يشعّ فيه نور النبوة. وذكرنا الفئات الأربع التي تعارض هذا التحول في المجتمع. فهي الفئة التي يهملها وجود النظام الطبقي حيث الأشراف والعبيد، لأنها ستواجه دعوة إلى حظر التمييز الطبقي وإلى المساواة بين الطبقات العليا والسفلى، وهكذا الفئة التي تكسب الثروات وتحتكر النشاط الاقتصادي، لأنها ستواجه دعوة إلى منع تسلّط فئة على فئة بعامل الثروة، كما أنها أيضاً فئة المستبدين الذين يمتلكون زمام القدرة المطلقة، أي هم الذين يسميهم المرحوم الميرزا النائيني في كتابه «تنبيه الأمة وتنزيه الملة»^١ بأنهم يفعلون ما يشاؤون ويحكمون كيف يريدون.

وأيضاً فئة سدنة الدين المزيف، الذين يتسمّون بالأحبار والرهبان.

هذه الفئات التي ذكرناها وشخصناها بتحليل ذهني ورد ذكرها في القرآن الكريم.

الفئة التي تعيش في كنف الرؤساء والذين بيدهم زمام القدرة والسيطرة ذكرهم القرآن باسم

١- محمد حسين النائيني (١٢٧٧ - ١٣٥٥هـ)، ولد في مدينة نائين الإيرانية. ورحل إلى النجف الأشرف وتلمذ على كبار علماءها، وأعلن تأييده للثورة الدستورية في إيران بكتابه المذكور أعلاه، ووقف ضمن من وقف من العلماء بوجه الاستعمار البريطاني في العراق، يذكر أنه في الكتاب المذكور استفاد من آراء عبدالرحمن الكواكبي الحلبي التبريزي.

«الملاء». والملاء من مَلَأَ: أي يملأون العيون. أي الذين يشعر الناس أمامهم بالضعف والهوان. مثلهم في المجتمع الجاهلي الفرعوني مثل هامان:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِي لِي صَرْحًا﴾^١. هامان قزم حوله فرعون إلى رجل كبير، إنه ذبابة جعل منها فرعون نسراً. ومثلهم في دائرة معاوية كمثل المغيرة بن شعبة^٢ وزباد بن أبيه^٣، هؤلاء من الملاء الذين زينوا معاوية أعماله، وصوروا له أن الدنيا طوع يديه، وكل الناس له منصاعون. وعبر القرآن عن طبقة الأشراف بالمترفين، وهم الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش. وهؤلاء أول من يعارض الدعوة النبوية.

وسدنة الأفكار المنحرفة هم الذين ذكرهم القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ...﴾^٤.

وقد يكون «الطاغوت» يعني فيما يعني القوة المستبدة في المجتمع. والطاغوت كلمة عامة من الطغيان، وهي كل قوة تطغى أمام الله سبحانه، وقد تكون نفس الإنسان طاغوته، وفي الحديث: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»^٥. وقد يكون الطاغوت هو الإنسان، وقد يكون زوج الإنسان وأبناءه. غير أن ما ورد في القرآن الكريم بشأن المكانة الفاعلة المؤثرة للطاغوت في المجتمع يدل على أنه أكبر منصب في النظام الجاهلي: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾^٦ وفي موضع آخر يقول سبحانه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^٧. هذه وغيرها من الآيات يمكن أن نفهم منها أن الطاغوت هو القوة الاستبدادية المسيطرة.

١- المؤمن/ ٣٦

٢- المغيرة بن شعبة من أهل الطائف، قدم المدينة في السنة الخامسة للهجرة، كان من أصحاب السقيفة، واتصل بمعاوية، واقترح عليه أن يولي يزيد ولاية العهد.

٣- زياد بن أبيه، أمه سمية، ولا يعرف أبوه، في زمن الخليفة الثاني ادعى أبو سفيان أن زياداً ابنه، استماله معاوية بادعائه أنه أخاه، وبعد صلح الحسن تولى حكومة البصرة والكوفة، ابنه عبید الله قاتل الحسين بن علي.

٤- التوبة/ ٣٤

٥- البحار الأنوار، كتاب الايمان و الكفر، ابواب مكارم الاخلاق، باب مراتب النفس، ح ١

٦- النساء/ ٧٦

٧- البقرة/ ٢٥٧

هذه الفئات الأربع هي فئات معارضة للأنبياء في تاريخ النبوة. أينما انبثقت دعوة للالتزام بأنبياء الله وكتبه، تهبّ هذه الفئات مترامنة أو متعاقبة لمواجهة الدعوة، وهذا ما تؤكد عليه الآيات الكريمة التي نقف عندها^١:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ و«كذلك» تعني أن ما تواجهه من عداء يا محمد هو ما واجهه قبلك من الأنبياء، إذ عاداهم شياطين الإنس والجن، أي مرّدة الإنس والجن. والشيطان كما ذكرنا من قبل هو القوة الشريرة خارج وجود الإنسان. ومن نوعه إبليس الذي تمرد وأبى السجود لآدم. والشياطين كثيرون، لكن اللعنة تتوجه عادة إلى إبليس، مع أن هناك من الشياطين من هم أساتذة إبليس في الشرارة!!

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ هؤلاء يلهم بعضهم البعض الآخر. أحياناً طبقة الأحرار والرهبان يوحون إلى طبقة المملأ، وأحياناً طبقة المملأ توحى إلى فئة الأحرار والرهبان، وأحياناً المترفون يوحون للفتين، وغالباً ما تستلهم هذه الفئات الثلاث من الطاغوت.

﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾ الأحاديث المزيفة والأباطيل الخادعة. وسأتحدث عن هذه الأحاديث المزيفة عندما نتناول موضوع النبوة. فرعون يدعي أنه يريد أن يقتل موسى ليحافظ على دين الناس!! ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾^٢ هذا هو زخرف القول. يخاف فرعون أن يحزّب موسى دين الناس ويفسد في الأرض!! يقول ذلك عن غرور، أي لخداع الناس وتجهيلهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ هكذا شاء الله أن يعلن هؤلاء عداءهم كي يتبين المؤمن من غير المؤمن. وهي سنة الابتلاء في هذه الدنيا، ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ فاتركهم وافترائهم، فإنهم لن يضرّوك شيئاً، فلا تحزن ولا تتوان في مسيرتك.

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَوْهُ وَليَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾. هذا الزخرف من القول وهذا الغرور والخداع لا يؤثر إلا في قلوب المنحرفين الذين لا يؤمنون بالآخرة، إذ تجد هذه القلوب في هذا الزخرف ما يرضيها، وليستطيع هؤلاء

١- الأنعام/ ١١٢ - ١١٣

٢- المؤمن/ ٢٦

المنحرفون أن يرتكبوا من الآثام ما يريدون.

وفي سورة المؤمن (غافر) نقرأ هذه الآيات^١: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾
بالآيات والمعجزات الواضحات. بالمنطق القوي، وبعصاه ويده البيضاء. وهي دلائل يجب
أن يتقبلها كل إنسان. إلى من أرسل الله موسى؟

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ إلى فرعون وإلى هامان وزير فرعون، وإلى
قارون صاحب الكنوز والأموال. لم يكن قارون صاحب سلطة، لكن النبي أرسل لمحاربه
كما يحارب فرعون وهامان. وجريمته أنه كدس الثروات العامة وحبسها عمّن يحتاجها.
فرعون رأس السلطة وينتمي إلى طبقة معينه وهامان ينتمي إلى طبقة أخرى، وقارون لا
علاقة له بهما، كان يكتز الأموال لا غير، لكن جواب الثلاثة واحد وهو أن موسى ساحر في
معجزاته كذاب في دعوته!!

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ وحين واجه موسى هؤلاء المعارضين بالحقيقة، لم يرضخوا
لها ولم يسكتوا أمامها، بل واجهوه بموقف أعنف: ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ
اسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ اقتلوا شبابهم الذين اتبعوا موسى وآمنوا به، اقتلوا هؤلاء الذين آمنوا
بهذا الفكر الجديد الإحيائي، كي لا يهددوا مستقبلنا ولكي لا تنقذ منهم شرارة تبعث
على النهوض. أما النساء فاستبقوها حيّة، ربّما لكي تختلط الأنساب، أو لإشباع الشهوات،
أو للخدمة والسخرة.

﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ كل هذه الدسائس التي يديرها الكافرون لا تحقق هدفها.
إنها مثل سهم يوجه نحو هدف، ثم تهبّ عليه عاصفة تبعده عن هدفه. إن عاصفة السنن
الإلهية ستجعل كيد الكافرين تضلّ الطريق.

كما تلاحظون، الآية تذكر طبقة فرعون وطبقة هامان وطبقة قارون وتذكر موقف موسى
منهم وموقفهم من موسى، ثم تذكر نتيجة المواجهة.
وآية أخرى تذكر المترفين، وهي خاصة بطبقة قارون:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^١ وما هو دليلهم على

إنكار الرسالة؟:

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ انظروا إلى السطحية والغرور في

الاستدلال.

وأية أخرى في سورة التوبة^٢ ضمن هذا السياق ترتبط بطبقة الأحرار والرهبان. يقول

سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾

بدون استحقاق. ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لا يكتفون بأكل أموال الناس بل أيضًا يصدونهم

عن سبيل الله.

ثم تأتي الآية على جماعة المترفين وأصحاب الثروات الطائلة:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وفي هذه الآية أيضًا وفي آيات أخرى نرى ذكرًا لهذه الفئات الأربع وعدائها لدعوة الأنبياء.

والحمد لله رب العالمين.

الجلسة العشرون

انتصار النبوة (١)

الثلاثاء ٢١ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/١٦ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّبِيلُ
زَبْدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ
زَبْدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ
كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾

(الرعد/ ١٧)

ذكرنا في الأيام الماضية أن الأنبياء بُعثوا لتحقيق أهداف سامية راقية هي، في معيار ثقافة عصر النور وعصر وعي البشرية أي القرن العشرين، أسمى الأهداف وأكثرها رقيًا، وأعني هدف المساواة بين البشر واقتلاع جذور الفقر والظلم والاستغلال والتمييز الطبقي. ومنذ بعثتهم لم يقَرّ لهم قرار ولم يخلدوا إلى الراحة، بل كان جهادهم دائمًا متواصلًا، وهذه خلاصة حياة أنبياء الله. وفي آخر حياتهم — كما تذكر النصوص الدينية — فدوا أنفسهم على هذا الطريق ونقم الجبابرة والطغاة من بعضهم شرَّ انتقام. وغادروا الحياة دون أن يتركوا مألًا ومتاعًا. وهذه قصة حياة الأنبياء، ورُسل الله تعالى.

وقد يطرح سؤال حول المصير الذي آلت إليه مساعي الأنبياء. هل ذهب أتعابهم وجهودهم سدى ولم تحقق النتيجة المتوخاة؟ هل بقي الكفر والطغيان والظلم مستفحلًا في مسيرة البشرية؟ لا، نحن نؤمن بخلاف ذلك. نؤمن أن الرسل على مر التاريخ البشري من آدم ونوح وإبراهيم لم يفشلوا في مهمتهم ولم ينهزموا، بل إنهم حققوا ما لم يحققه أصحاب الأهداف والمبادئ الأخرى. سجلوا من النجاحات ما لم يسجله أحد. نعتقد أن عاقبة النبوة

ونهاية شوط نشاط الأنبياء كان وفق ما أرادوه في التاريخ، وسيكون كذلك في المستقبل. ونحن نثبت ذلك.

هنا موضوعان نود في هذه الجلسة أن نستوفيها:

الأول: شهدت الساحة البشرية ظهور سلسلة من الأنبياء. هل إن هذا الرهط الكريم بمجموعه قد حقق أهدافه أم فشل؟

والثاني: هل حقق كلُّ من الأنبياء هدفه في زمانه أم فشل؟

بداية أذكر أن بعض المعلومات التي نحصل عليها لا فائدة فيها سوى أنها تزيد تراكم معلوماتنا، لا تقربنا من رضوان الله، ولا تساعدنا في إقامة حياة إسلامية صحيحة في هذه الدنيا، غير أن الموضوع الذي نتناوله اليوم يزيد في معلوماتنا ووعينا وفي الشعور بمسؤولياتنا. هذا من نوع الإيثار الذي ذكرناه في الجلسات الثالثة والرابعة والخامسة.

نعود إلى السؤال: ماذا فعل هذا الرهط الكريم من الأنبياء؟ ماذا قدموا للبشرية؟ والجواب، إنهم جاؤوا من أجل أن يأخذوا بيد البشرية لينتشلوها من حضيض التوحش والجهل وليرفعوها إلى مستوى الإنسانية المتحضرة فيما لو عملت بتعاليمهم. يستطيع البشر بهذه التعاليم أن يقيموا أسمى وأجمل مظاهر الحياة الإنسانية. حتى أقرب الموضوع إلى الأذهان أضرب المثال التالي. الأنبياء مثل معلمين جاؤوا إلى طالب خالي الذهن، لا يعرف حتى الحروف الأبجدية. يجهدون أنفسهم من أجل رفع مستواه، ثم يغادرون الحياة ليتركوه إلى معلمين آخرين ينقلوه إلى مستوى أرفع، وهكذا يتدرج هذا الطالب في ارتفاع مستواه ليصل إلى مستوى راق من الوعي والفهم والفكر.

وقد يواجه بعض المعلمين شغبا يؤدي إلى قتلهم، ولكن هل يعني ذلك أنهم فشلوا في مهمتهم؟ لا، لأن هدفهم دفع مسيرة البشرية إلى مرحلة أرقى، ثم لترتقي باستمرار. ونحن إذ نشهد تكامل البشرية في مسيرتها العامة رغم ما يطرأ على بعض مقاطعها من انتكاس، إنما هو تحقيق لهدف الأنبياء. شاء الله سبحانه أن تتحرك البشرية بحركة طبيعية لتصل إلى مقصدها الطبيعي الفطري، وهو التكامل والسمو. إرادة الله شاءت أن تصل البشرية إلى نقطة كما لها النهائي، وهذه سنة الله في الأرض. أي سيأتي اليوم الذي يزول فيه

الظلم، والقبح، وتصبح الأمور وفق مراد الإنسان. هذه طبيعة خلقة الإنسان، وهذه طبيعة خلقة هذا الكون، وهي أن يصل الكائن البشري إلى هذه المحطة المرسومة. في تلك المرحلة الزمنية ستوفر كل مستلزمات تكامل الإنسان. وستطوي عندئذ المسيرة بسرعة طريقها إلى الكمال المطلق.. أي إلى الله. هذا هو جبر التاريخ، وهذا طبعاً لا يعني إلغاء إرادة الإنسان كما سنوضح ذلك.

هذا مبدأ إسلامي يقضي أن يكون مصير البشرية إلى خير، لماذا؟ لأن الله تعالى خلق السماوات والأرض وفق موازين الحق، وخلق الإنسان لينشد الحق بفطرته. والإنسان بما عنده من إرادة يجب أن يتحرك وفق ما تقتضيه فطرته ليصل إلى ذلك المقصد. ومن الذي يضع أمام الإنسان هذا الطريق، ويضع له منهج الحركة وفق الفطرة؟ إنهم الأنبياء. وهذا هدف بعثة الأنبياء. جاؤوا ليبينوا له طريق الفطرة، وليحثوا خطاه ويسهلوا له السبيل نحو حسن العاقبة. فالبشرية إذن في حالة تقدم مستمر، وهي تقطع الخطى نحو تحقيق سعادتها. وهذا نتيجة ما قدمه لها الأنبياء من توجيه. الأنبياء دفعوا المسيرة نحو حركتها التكاملية، وإذا حدث تأخير في هذه الحركة عند مقطع زمني فذلك بسبب الابتعاد عن تعاليم الأنبياء، ولكنها مستمرة في شكلها العام نحو هدفها المنشود.

فالأنبياء العظام بمجموعهم قد وجهوا البشرية نحو الرقي والسمو رغم ما عاناه بعضهم من عوائق في تحقيق أهدافه. هذه هي المسألة الأولى.

أما المسألة الثانية، وهي تحوز على اهتمام لدى الكثيرين، فهي هل يمكن القول بأن النبي حين يدخل ساحة الدعوة سيحقق نجاحاً في جهوده؟ هل يمكن عقد الأمل على هذه النتيجة؟ ما هي القاعدة العامة في هذا المجال؟

هناك من يقول: أينما انطلق نداء يدعو إلى الحق فإنه قُبر في مهده ولم يحقق هدفه. والتاريخ يتحدث عن عدم بلوغ الأنبياء أهدافهم. لم يستطيعوا أن يحكموا الحق ويزهقوا الباطل. وإذا كان الأنبياء غير قادرين على إعلاء كلمة الحق فما شأننا نحن؟! لا بد أن نترك ساحة النضال، وننتظر عاملاً غيبياً يعيد الحق إلى نصابه!! هذا هو المنطق الذي يسعى الطغاة إلى ترسيخه في الأذهان، كي لا ينهض بوجههم مُطالب بالحق.

العبريات التي نسمعها من أبواق الجبارين تعزف على هذه النغمة. محور خطاب هذه الأبواق يدور حول عدم إمكان انتصار أية نهضة تقف بوجه الظالمين. تتحدث عما يمتلكه الطواغيت من قوة ضاربة لا تُقهر! والمعارضون لا يمتلكون شيئاً!!

وليس هذا خطاب طواغيت اليوم فحسب، بل كنا نسمع هذه النغمة على مرّ التاريخ. المنصور العباسي كان أكثر خلفاء بني العباس اقتداراً وقوة وبطشاً بمعارضيه، لكنه كان يواجه معارضة شديدة من محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم وهما ابنا عبدالله المحض^١ وكان المنصور يشيع بين معارضيه من أهل بيت رسول الله الأساطير عن قدرته وقوته حتى أشاع أنه يملك مرآة يستطيع بها أن يعرف مكان اختفاء محمد وإبراهيم ومن يوفّر لهما المكان الآمن. وهذا يشبه ما كان يشيعه الحاكم الإيراني جمشيد في العهود القديمة بأنه يملك كأساً يرى فيها العالم كله!!

جبابرة العالم كانوا يودّون من أعماق قلوبهم أن يرسخ في ذهن الناس بأن حمّلة الرسالة الإلهية معرّضون للهزيمة لا محالة، وأنه لا توجد إطلاقاً قوة غيبية تساندهم وتساعدهم، كل ذلك من أجل أن يبثوا روح اليأس في أتباع هذه الرسالات، هل الأمر في الواقع بهذه الصورة؟ هل إن سنن التاريخ تقضي بفشل السائرين على طريق الأنبياء؟ نستنتق القرآن الكريم في هذا السؤال، ثم نعود إلى نصوص التاريخ لتكون شاهدة على ما نقول.

القرآن الكريم يعلمنا أن كل واحدة من النبوات كان لها دور وفاعلية في سلسلة النبوات، إضافة إلى أنها دفعت بالبشرية خطوة إلى الأمام، وهذا ما تؤيده وثائق التاريخ. ليس الأمر كما كان يروج له المنصور العباسي وأمثاله من طواغيت التاريخ بأنه لا يمكن للناس أن يقفوا بوجه القوى المتسلطة، وبأن الناس ليس لهم حق أن ينبسوا ببنت شفة أمام قوى الضلال المتحكّمة. بل العكس هو الصحيح، الأنبياء حققوا نجاحات في وقتهم. وهكذا أتباع الأنبياء يستطيعون أن يحققوا النجاحات بشكل مؤكد، ولكن بشرطين. وإذا تحقق

١- عبدالله بن الحسن المثنى المعروف بالمحض، سمي بالمحض لأنه علوي خالص من الأب ومن الأم فهو ابن الحسن المثنى بن الإمام الحسن وأمّه فاطمة بنت الإمام الحسين. ولده محمد وإبراهيم عارضا المنصور العباسي، واختفيا عن الأنظار، وبذلك تعرض عبدالله للسجن، ثم ثار ولده وقتلا، وقتل عبدالله أيضاً بأمر المنصور في سن الخامسة والسبعين سنة ١٤٥ هـ.

هذان الشرطان فالنصر حتمي، وليس من الضروري أن يتحقق هذا الانتصار بمعجزة. وما هما الشرطان؟

الأول: الإيمان، العقيدة الواعية، إيمان مقرون بالتزام، ومقرون بالسعي والحركة.
الثاني: الصبر، ويعني المقاومة، والثبات في الساحة، وعدم ترك الميدان في اللحظات الحساسة والخطرة.

متى ما رأيتم تراجعاً في مهمة النبي وهزيمة أمام طاغوت زمانه فذلك يعود إلى أن أتباعه لم يكونوا يتحلون بالإيمان الكافي أو بالصبر اللازم. ومتى ما رأيتم أن الحق حقق انتصاراً فذلك بفضل إيمان مناصريه وصبرهم. وهل لذلك شاهد من القرآن الكريم؟ نعم.
أذكر لكم اليوم آيات تشكل القاعدة الفكرية لما ذهبنا إليه، وثمة آيات كثيرة أخرى في هذا الموضوع.

يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^١ هذه الآية محكمة وليست متشابهة، وهي نص قرآني، وليست رواية يعترها الشك في صحتها. نعم، أنتم الأعلون، وأنتم المنتصرون على عدوكم، وأنتم الذين ستكونون قادة البشرية، على شرط أن تكونوا مؤمنين.

قد تقولون: إن الإمام الصادق صلوات الله عليه جاهد ضد طاغوت زمانه لكنه لم يستطع أن يستلم زمام قيادة مجتمعه. نعم، وذلك يعود إلى أن كثيراً من أتباعه كانوا مثلي ومثلك ينقصهم الصبر الكافي والإيمان الكافي. أنتم تريدون أن يحقق الإمام الصادق هدفه خلافاً للسنن الإلهية في هذا الكون! لا يمكن أن يحدث ذلك. وهذا دليل على أن النصر لا يأتي بمعجزة. وهكذا الأمر بالنسبة للإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، لم يكن أتباعه يحملون ما يكفي من شحنة الإيمان والصبر. واليوم أيضاً إن كان الأمر بهذا الشكل لا يتحقق للإسلام نصر. أما لو كنا اليوم كما كان المسلمون في عصر رسول الله حيث الإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع، وحيث الصبر الذي تصغر أمامه ملائكة السماء، الصبر الذي

يجعل المسلمين وهم صائمون في شهر رمضان، ووسط حرّ الحجاز يحفرون الخندق، ويحاربون العدو، لو كنا اليوم كما كانوا لكان النصر حليفنا حتمًا.

﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^١ هذه معجزة الصبر، وهذه وسيلة الانتصار. وليس الصبر كما يخيّل لبعض القاعدين هو الجلوس وعدم التحرك وتحمل الذلّ والشقاء والهوان. فهذا الصبر فقدان الدين والدنيا: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^٢.

تأملوا في الآيات ١٠٣ وما بعدها من سورة الأعراف وهي تتحدث عن المواجهة بين موسى وفرعون، ومحاولة فرعون أن يهزم موسى بالسحرة، ثم هزيمة السحرة أمام موسى، وأمام هذه الهزيمة ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْدَرُونَ أَمْ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَذُرُونَ النَّاسَ فِي أَسْفَهَاتٍ إِنَّهُمْ لَا يُعْتَدُونَ﴾^٣.

حين يئس فرعون من مواجهة موسى، وفشل في استخدام سحرته، قرر أن ينزل ضربته القاضية. في مثل هذه المواقف، التي تبعث الرعب في النفوس، وترتجف لها الأفئدة والقلوب، يجب على أمثال موسى وأتباعه أن يثبتوا ويشحذوا عزيمتهم ولا يشعروا بالهزيمة أمام هذا التهديد.

أذكر بالمناسبة كلام شخص من تاريخنا الحديث كان يخاطب أتباعه في الحركة الدستورية الإيرانية ويقول لهم: ناضلوا، وإن اشتدت عليكم الأمور ناضلوا أيضًا، وإن أيقنتم بالفشل الحتمي واصلوا النضال، عندئذ سوف يكتب لكم النصر، هذا كلام صحيح. حين يبقى الأمل بالنصر في كل أحوال الشدة فإن النصر عاقبة الأمور، أما إذا دبّ اليأس فثمة الفشل والهزيمة. موسى^(٤) استند إلى هذه القاعدة من أجل تعبئة بني إسرائيل وتثبيت عزائمهم. ماذا قال لهم: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^٤.

١- البقرة/ ١٥٣

٢- الحج/ ١١

٣- الأعراف/ ١٢٧

٤- الأعراف/ ١٢٨

القرآن الكريم يقدم لنا صورًا من نجاح هذه القاعدة، إبراهيم^(ع) نراه في موقف يُراد إلقاؤه في النار. وفي موقف آخر يرفع القواعد من البيت الحرام ويقيم المجتمع التوحيدي الذي يبقى بعده لقرون متهادية.

والنبي موسى^(ع) نراه في مقطع من حياته يتعرض لمواجهة فرعون وتمرد بني إسرائيل، وفي مقطع آخر يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾^١ وأقيموا المجتمع التوحيدي هناك. والنبي عيسى^(ع) خلال مدة إقامته القصيرة بين قومه لا تسفر جهوده على الظاهر عن نتيجة، ولكن بعد أن رفعه الله إليه، وبعد قرن أو قرنين تخضع أكبر قوة عالمية آنذاك إلى الفكر المسيحي، فإمبراطور روما يدين بالمسيحية وتصبح إمبراطوريته على دين المسيح.

نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام واجه ما واجه من شدائد خلال ثلاثة عشر عامًا في مكة، ثم هاجر إلى المدينة وأقام المجتمع الإسلامي، وشكل الحكومة الإسلامية، وهدى الناس إلى الكمال، وانتصر على أعدائه الألداء. ولكن طبعًا بشرط الصبر والتقوى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾^٢.

وهذه سنة الكون.. سنة رب العالمين في التاريخ، في الماضي وفي حاضرنا أيضًا. أية مجموعة تسعى إلى أن تستظل بالقرآن والنبوة والتوحيد ومبادئ الإسلام المقدسة، وتريد أن تمسك بزمام أمور الحياة، وتحكم الله في الحياة، لا بد أن يستحکم في نفوسها عاملان: الإيمان والصبر.

وهذا هو جواب السؤال الأول: هل الأنبياء بمجموعهم قد حققوا النجاح في مسيرتهم أم لا؟ والجواب أنهم بمجموعهم قد حققوا النجاح، إذ إنهم أرادوا أن يرفعوا مستوى البشرية، وضربت لكم في هذا المجال مثالًا بالطالب ومعلميه.

أما السؤال الثاني بشأن الأنبياء واحدًا واحدًا، هل نجحوا في نهضتهم ودعوتهم؟ فالجواب هو ما ذكرناه بشأن القاعدة العامة في هذا الإطار. النبي وقومه يحققون من النصر بقدر ما كان عندهم من إيمان وصبر، والفشل قرين انعدام هذين العنصرين.

١- المائدة/ ٢١

٢- آل عمران/ ١٢٥

فلنتناول آيات هذه الجلسة من سورة الرعد، ومن سورة الصافات.

﴿قُلِ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^١ فهو سبحانه خالق الأشياء، وهو الواحد القوي المقدر العالم بعاقبة الأمور، وهو أعلم بسنن هذا الكون. وهذه مقدمة للحديث عن المواجهة بين الحق والباطل.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾. وهذه من جماليات اللغة العربية، لم تذكر الآية أنها في صدد ضرب مثال، تقدم صورة تفهم بعدها أنها على سبيل التمثيل.

﴿فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ سيول تجري على أثر الأمطار، وهذه السيول يعلوها زبد طافح. حين تنظر إلى السيول المتدفقة لا ترى ماء بل ترى زبدًا طافيًا عليه. فالبارز للعيان هو الزبد، والماء تحته. هذه صورة.

والصورة الأخرى هي: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مُتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾.

هذه الخامات التي تحمل المواد المعدنية كالذهب والحديد تُذاب كي تُتخذ حلية أو يصنع منها أشياء. وحين توضع على النار كي تُذاب يعلوها الزبد أيضًا كما يعلو الزبد السيول. في الصورة الأولى: هل المادة الحياتية هي الماء أو الزبد؟ طبعًا الماء. أما الظاهر والبارز فهو الزبد طبعًا.

وفي الصورة الثانية المطلوب والمفيد هو الفلز أو الزبد؟ طبعًا الفلز: الذهب أو الحديد. وما هو دور الزبد؟ إنه شيء زائد طفيلي، ولكن ما هو البارز أمام الأعين؟ إنه الزبد لا الذهب ولا الحديد. ثم يقول سبحانه:

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ هكذا يمثل الله سبحانه للحق والباطل.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ الزبد يزول ويتلف ولا يكتب له البقاء. والبقاء لما ينفع الناس: للماء وللذهب وللحديد.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثَالَ﴾ هكذا يضرب الله الأمثال للفرق بين دعوة الأنبياء، والجمبهة المعارضة لهم. جبهة المواجهة تنتفش وتحاول أن تغطي على صوت الحق، لكنها مثل فقاعة سرعان ما تزول.

ويستمر السياق القرآني في الحديث عن النضال الاجتماعي للمسلمين. يقول سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾ فالذين استجابوا للدعوة لهم عاقبة حسنة. ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ هؤلاء الذين لم يستجيبوا للدعوة على استعداد يوم القيامة لأن يفدوا بكل ما عندهم، حتى ولو كان لهم جميع ما في الأرض وما يعادله معه، ليتخلصوا من هذه الضائقة. وهؤلاء لهم أسوأ الحساب وأسوأ العاقبة.

الآيات الأخرى من سورة الصافات:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾^١ هذا هو القرار الذي اتخذه رب العالمين لجماعة الصالحين في كل زمان ومكان. ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ﴾ هذه هي سنة الله في الأرض شرط توفر الإيمان والصبر لديهم.

في ساحات القتال كان رسول الله يوصي المجاهدين بالصبر، كما كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يوصي المقاتلين بالصبر. وما معنى الصبر في ساحة الجهاد؟ إنه دعوة إلى عدم التراخي وعدم ترك الأمور قبل اكتمالها.

لو أن المسلمين في العالم قد التزموا بهذين العاملين: الإيمان والصبر في مشاريع التطوير الاقتصادي والسياسي والثقافي لكانت الغلبة لهم على غيرهم في هذه المجالات جميعاً.

لا يخالّن المسلمون أن التخلف والفقر والذلّ مقرون بهم ومطبوع عليهم ولا يمكن أن يفارقهم، وأن القوى المتجبرة في العالم قد قُدّر لها أن تبقى مسيطرة على رقاب الأمة تمتص دماءهم وتستنزف ثرواتهم!! لا، لو أن الملايين من أبناء الأمة الإسلامية قد التزموا بالإيمان وتحلّوا بالصبر لكانت الغلبة لهم. هذه هي توصية القرآن الكريم للمسلمين في كل زمان ومكان. وهذه حصيلة جلستنا هذا اليوم.

والحمد لله رب العالمين.

الجلسة الحادية و العشرون

انتصار النبوة (٢)

الأربعاء ٢٢ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/١٧ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ • يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذرتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ • وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ • هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿

(المؤمن / ٥١-٥٤)

ذكرت أمس أن وَعَدَ اللهُ لِأَنْبِيَاءِهِ وَرُسُلِهِ بِحَمْلِ بَشَائِرِ النَّصْرِ. أي إنه سبحانه وعد أنبياءه وحاملي مسؤولية الأمانة بالنصر في هذه الحياة الدنيا على أعدائهم، وبالثواب والأجر في الآخرة. وحول انتصار الأنبياء لخصت الموضوع في محورين: محور انتصار الرهط الكريم من الأنبياء بمجموعهم، ومثلت لذلك بدور المعلمين الذين يبدأون بتعليم الطالب في مرحلته التمهيدية ثم يسلموه معلمين في المرحلة الابتدائية، وهؤلاء يسلمونه إلى معلمين في المرحلة الثانوية، وهكذا يتدرج ليبلغ أعلى المراحل الدراسية. معلم المرحلة التمهيدية لم يبلغ بالطالب مرحلة الكمال العلمي، لكنه أدى مهمته وقام بدوره المطلوب.

وأضرب لهذا مثلاً آخر طالما ذكرته من قبل. افترضوا أن حملاً ثقيلاً يجب أن ننقله إلى نقطة تبعد ١٠٠٠ متر، وهذا الحمل لا يطيق أحد أن ينقله إلى كل هذه المسافة، ولا يمكن أن يحمله مجموعة من الناس، بل لا بد أن يحمله واحد. فإذا العمل؟ يأتي واحد من الأقوياء فيحمله إلى مسافة ١٠ أمتار، ثم يأتي آخر فينقله إلى مسافة ٢٠ متراً ويأتي الثالث والرابع والخامس و... وكل واحد يقرب به مسافة إلى أن يصل الحمل إلى النقطة المطلوبة. لقد أدى كل واحد

مسؤوليته في حمل هذه الرزمة، وإن لم يوصلها إلى هدفها المطلوب. لقد وُقِّيَ بمسؤوليته وإن ضحَّى بنفسه وسط الطريق من أجل أداء المهمة. وهذا هو شأن الأنبياء (عليهم السلام)، كل منهم قطع شوطاً على طريق رقيّ البشرية. نوح (ع) قطع، خلال ألف سنة إلاّ خمسين عاماً من عمره، شوطاً وضحَّى نفسه على طريق الدعوة، ثم جاء من بعده مَنْ قطع شوطاً آخر، ثم وصلت الرسالة إلى خاتم الأنبياء (ص) حيث بلغت الأمانة حدّاً بإمكانها أن تواصل الطريق، إذ وصلت البشرية إلى سنّ البلوغ. من هنا فإن ركبّ الأنبياء بمجموعه من أولهم إلى خاتمهم قد حالفه التوفيق في أداء المهمة. ثم يصل الدور إلى آخر سفير إلهي وهو المهدي المنتظر (عليه السلام). وهو الذي يوصل الأمانة إلى آخر مراحلها المرسومة. إنه يواصل عمل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى والنبي الخاتم والأئمة من أهل البيت. وبذلك تكتمل مسيرة الأنبياء وتتحقق آمالهم جميعاً. فلا فشل إذن لأنبياء الله رغم كل ما واجهوه في حياتهم من عقبات ومن أذى ومصائب.

وثمة موضوع آخر تناولناه أمس وهو إن بعض الأنبياء، حققوا انتصاراً آخر إضافة إلى ما قطعوه من شوط على طريق رقيّ البشرية، استطاعوا أن يقيموا مجتمعاً على أساس الفكر التوحيدي. النموذج الواضح لذلك ما قام به نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام. فقد أقام في المدينة مجتمعاً ونظاماً وفق المشروع الإلهي. ومثله أيضاً عيسى عندما آمن به إمبراطور الروم، وهكذا إبراهيم وسليمان قد نجحوا في إقامة مجتمع توحيدى يسوده نظام توحيدى. غير أن بعض الأنبياء لم يحالفهم التوفيق في هذا المجال. ما هو السبب؟ السبب يعود كما ذكرنا أن رهطهم لم يكونوا على الدرجة المطلوبة من الإيمان والصبر. متى ما كان قوم النبي متحلين بالإيمان والصبر فقد حققوا النصر على أعدائهم وكتب لهم الفتح، ذلك لأن دعوة الأنبياء تقوم على الحق، والحق منتصر لا محالة لأنه ينسجم مع فطرة الكون وطبيعته.

والآية التي تلونها أمس تؤكد على حتمية انتصار جبهة الحق: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۖ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۖ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ﴾^١ لو شاهدتم أن دعاة كلمة

الحق في مقطع زماني كانوا مغلوبين فاعلموا أنهم لم يكونوا جند الله، أي لم تكن خصائص جند الله متوفرة فيهم. حين تتوفر مواصفات جند الله في مجتمع فالنصر حليفه، وإن لم تتوفر فالفشل قرينه.

ملخص حديثنا هو متى ما كان رهط النبي متحلين بالإيمان التام وكانوا ثابتين في مواقفهم الحقّة فإنهم منتصرون لا محالة. ذكرت لكم أمس قول ذلك الرجل الذي كان يوصي المناضلين في الحركة الدستورية الإيرانية المعاصرة. كان يوصيهم بالنضال في كل حال، وإذا أيقنوا بالهزيمة ومع ذلك واصلوا فإنهم عندئذ سيتصرون. الآية الكريمة تقارب هذا المفهوم إذ تقول: «حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا»^١. حين تنسدّ الطرق أمام السائرين إلى الله، ويظنون أن الله لم يعدهم بالنصر، ويرون تكالب الأعداء عليهم، ومع ذلك يحافظون على استقامتهم، فإن نصر الله حليفهم.

الذين لا يعرفون منطق القرآن يقرأون التاريخ بشكل مشوّه. يرون أن الحركات الداعية إلى الحق قد فشلت. يرون استشهاد الثائر زيد بن علي^٢ والثائر محمد بن عبد الله النفس الزكية^٣، وشهادة حسين بن علي الحسيني شهيد^٤ فخر قرب المدينة المنورة مع كل أصحابه، ومقتل إبراهيم بن عبد الله^٥ شقيق محمد النفس الزكية في العراق، فيستنتجون من ذلك أن أية نهضة داعية للحق أمام الباطل مآلها الفشل. وذكرت أن هذه القراءة للتاريخ هي ما يرومه الطغاة والمتجبرون وما يستسيغونه ويروجون له، ويدعون الله أن يكون الأمر على هذا النحو!!

١- يوسف/ ١١٠

٢- ثار في خلافة هشام بن عبد الملك، ليردّ الحقّ إلى نصابه، تفرّق عنه أصحابه في المواجهة مع الجيش الأموي، وثبت هو وأصحابه في الحرب، ثم استشهد، وأثنى عليه الإمام الرضا (عليه السلام).

٣- محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية من فضلاء الهاشميين، ثار على ظلم المنصور العباسي في المدينة، واستشهد وهو يقاتل جيش الخلافة.

٤- الحسين بن علي، من أحفاد الإمام الحسن، ثار في المدينة ضد ظلم الخليفة العباسي، وحقق بعض الانتصار لكنه استشهد هو وأصحابه في منطقة (فخر) عند المواجهة مع جيش الخلافة العباسية. وروي عن الإمام الجواد إنه وصف حادثة فخر بأنها أفجع حادثة بعد وقعة كربلاء.

٥- أخذ البيعة باسم أخيه، وثار بالبصرة فأصبحت تحت ولايته، ثم توجه إلى الكوفة، وفي الطريق اشتبك مع الجيش العباسي واستشهد.

لو رأينا أن زيد بن علي قد استشهد فلا يعني ذلك أن دعوة الحق مألها إلى الهزيمة. بل يجب أن نفهم أن دعوة الحق بحاجة إلى سعي وجهد وعمل. لا يجوز لنا أن نفهم بأننا منتصرون لأننا فقط على حق، بل لابد من السعي والمثابرة والمواصلة والصبر وبذل الجهد وتقديم التضحيات. زيد بن علي كان على حق، والإمام الصادق^(ع) أيد قيامه في زمن هشام بن عبد الملك الأموي، لكن الذي حدث هو أن جمعاً من أصحابه قد تأثروا بالدعايات المسمومة لأعدائه فخذلوه وتركوه وحيداً. وهذا درس لنا يعلمنا أن الدعوة — وإن كانت على حق — فإنها قد تتعرض للهزيمة إذا خذلها أصحابها، وإذا لم يصمدوا ويصبروا في سبيل هدفهم. أيعقل أن نرى الدعوات التي لا تتسجم مع سنن الكون وطبيعة الإنسان تحقق انتصاراً بسبب ما يبذله دعايتها من جهود، أما دعوة الحق المدعومة بالسعي والصبر والمواصلة فإنها لا تحقق هدفها؟! ما هذا الكلام السخيف الباطل.

أذكر لكم في هذا الصدد خطبة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(ع) ذكرتها في مناسبات متعددة حيث يقول:

«ولقد كنّا مع رسول الله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم وصبراً على مضض الألم وجدّاً في جهاد العدو. ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يستقي صاحبه كأس المنون. فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت وأنزل علينا النصر، ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضرّ للإيمان عود»^١.

الإمام يتحدث عن ذوبان المجاهدين مع رسول الله في المبدأ، لا يأبون في ذلك أن يقتلوا أقرب الناس إليهم إذا كانوا في جبهة المحاربين الكفار، ولا يزيدهم ذلك إلاّ الإيمان والتسليم والاستمرار في تحمل الصعاب والصبر على تحمّل الآلام والجدّ في الجهاد. وقد كان الصراع مع عدوّنا صراع حياة أو موت. ولقد واصلنا الجهاد حتى رأى الله صدقنا، فقمع سبحانه عدونا ومنّ علينا بالنصر.

ثم ها هو الإمام يواجه نفوساً مهزوزة ضعيفة، تخلق المبررات للابتعاد عن ساحة المواجهة، فيقسم لهم أننا لو كنا مثلكم ما استحکم الدين ولا أينعت شجرة الإيـان.

ماذا نفهم من هذه الخطبة؟ إنه حديث أخي رسول الله ونفسه. لماذا تقدم المسلمون في جهادهم مع رسول الله، ولماذا تراجعوا في زمن أمير المؤمنين؟ يذكر الإمام سرّ هذا الأمر، يقول: لقد صبرنا آنذاك وتركنا انشدادنا المادي فتقدّمنا، ولم تفعلوا ذلك فتأخّرتم.

فالإيـان والصبر هما شرطاً انتصار دعوة أنبياء الله ودعوة التوحيد. هذا هو ملخص حديثنا اليوم. نبدأ بآيات هذه الجلسة:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ • يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّلَالِ﴾.

كلمة «إنا» واللام في «لننصر» للتأكيد ولحتمية وقوع الأمر.. والنصر لا يختص بالرسول بل يشمل «الذين آمنوا» بدعوة الرسل في هذه الدنيا وفي الآخرة. ثمة آراء أخرى في تفسير «في الحياة الدنيا» لكنني أرى بقرائن الآيات التالية أن المقصود منها هذه الحياة الدنيا المعاشة.

«وفي الآخرة» حيث يكون النصر على رؤوس الأشهاد، أمام الملائكة والأنبياء والصديقين. وفي ذلك اليوم لا تقبل معذرة الظالمين بل ييؤونون باللعة والعذاب. وليقدم القرآن شاهداً على نصره الأنبياء يذكر مثلاً من النبي موسى^(ع): ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْثَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ • هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ والكتاب هو مجموعة ما قرره الله سبحانه لعباده، وعبارة «أورثنا بني إسرائيل الكتاب» تعني أنهم انتصروا على طغاة زمانهم، إذ لم يكونوا قادرين أن يكونوا ورثة الكتاب مع وجود أولئك الطغاة.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ تلتفت الآية بعد ذلك إلى النبي، وتوصيه بالاستقامة مؤكدة «إن وعد الله حق» والوعد هو الذي ذكرته الآية من سورة الصافات: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ • إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾. النصر حتمي بشرط الصبر، بشرط الاستقامة على الطريقة، ومواصلة هذا الكفاح المقدس.

وعبارة «واستغفر لذنبك» لا تعني أن النبي (ص) قد أذنب، فهو معصوم بنص الكتاب وحكم العقل، لكنها الدعوة إلى ذكر الله واستغفاره والتسبيح بحمده آتاء الليل وأطراف النهار. ونأتي إلى آيات سورة الأنبياء، وأوصيكم أن تمنعوا النظر في آيات هذه السورة. ففيها التأكيد المتواصل على حتمية انتصار الأنبياء، وعلى سوء عاقبة أعدائهم. تذكر السورة قصة انتصار موسى واندحار أعدائه، وقصة إبراهيم وهزيمة القوى المعاندة لدعوته، وقصة نوح وقصة سليمان .. تريد بذلك بيان سنة التاريخ في انتصار دعوة الحق وفشل القوى الرجعية المضادة لدعوة الأنبياء^١.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿١١﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَ أَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿١٢﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

في الآية مفردات تهمنا في هذا البحث: «صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ»، «أَنْجَيْنَاهُمْ»، «أَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ». ثم في هذا الكتاب «ذِكْرُكُمْ» أي شرفكم وعزكم ومجدكم. وهذه المفردة أيضًا لها دلالة على مقصد الدين، وفيها حثٌّ على الصبر والمواصلة لبلوغ ذلك المقصد.

ثم الآية الحادية عشرة تقول:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ كثيرة هي المجتمعات التي ظلمت وكان عاقبتها الإبادة والفناء، و«قصمنا» تشير إلى شدة ما نزل بهؤلاء من العذاب. وفي الآية إشارة إلى الإمداد الغيبي الإلهي الذي يأتي في اللحظات الحاسمة وفق سنن الكون، لا وفق ما يسود الذهنية الكسولة التي تنتظر أن تأتي يد الغيب فتقضي على الأعداء، دون مراعاة لسنن هذا الإمداد الغيبي.

هذه المجتمعات الظالمة في نظامها، وفي علاقاتها الاقتصادية والاجتماعية أُبِيدت ثم جاء بعدها قوم آخرون.

﴿فَلَمَّا أَحْسَبُوا بِأَسَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٤﴾ لَا تَرَكَضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينَكُمْ

لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾. وحين رأوا العذاب بحسّهم ومشاهدتهم إذا هم يركضون منهزمين هارين. ثم يأتيهم الخطاب على سبيل التهكم والسخرية يقول لهم: ارجعوا إلى القصور التي كنتم متنعمين فيها، وإلى البلدان التي كنتم تستعلون فيها وتتفاخرون، لعلكم تُسْأَلُونَ عما جرى عليكم وشاهدتموه.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٠﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾.

قالوا حين شاهدوا العذاب: لقد حان دمارنا وهلاكنا بسبب ظلمنا، وما زالوا يرددون هذا الاعتراف حتى أصبحوا مثل الزرع المحصود، وخمدت أنفاسهم.

ثم تأتي الآية التالية لتبين الأساس الفكري لهذا الذي نزل بالمجتمع الظالم. إنها تبين سبب انتصار الأنبياء وهزيمة أعدائهم.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١١﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آتَاخَذُنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَقُومُ عَلَىٰ قَاعِدَةِ اللَّهْوِ وَالْعِبَثِ، نَعَمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ لَفَعَلَ، وَلَكِنْ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا، لِأَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَيْسَ فِي عَمَلِهِ عِبَثٌ وَلَا هُوَ. فَهُوَ سَبْحَانَهُ خَلَقَ الْكَوْنَ لِهَدْفٍ مُعَيَّنٍ، وَمَسِيرَةِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تَتَّجِهُ نَحْوَ ذَلِكَ الْهَدْفِ، وَهُوَ الْحَقُّ. وَهَذَا مَا لَمْ تَصْرَحْ بِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، بَلْ يَفْهَمُ مِنْهَا ذَلِكَ بِالتَّدْبِيرِ. وَالْقُرْآنُ لَا يَصْرَحُ غَالِبًا بِأُمُورٍ يُمْكِنُ فَهْمُهَا وَتَعَقُّلُهَا. وَبَعْدَهَا تَقُولُ الْآيَةُ:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾. وَهَذِهِ سُنَّةُ الْكَوْنَ، أَنْ يَصِيرَ الْحَقُّ قَذِيفَةً تَقَعُ عَلَى رَأْسِ الْبَاطِلِ، فَيَتَنَصَّرُ الْحَقُّ، وَيُزْهَقُ الْبَاطِلُ. عِنْدئذٍ سَيَلْحَقُ بِكُمْ الْهَلَاكُ لَمَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ مِنْ بَاطِلٍ.

ثم تتوالى الآيات لتعبّر بشكل جميل رائع عن هذه الحقائق، حقائق حتمية انتصار الحق على الباطل، ولكن فهم هذه الآيات بحاجة إلى الأنس بالقرآن. وبعدها تتحدث الآيات عن خلق السماوات والأرض مؤكدة على أن رب العالمين الحاكم في الكون لا بد أن تشمل حاكميته حياة الإنسان والمجتمع، ومن يقف بوجه هذه الحقائق التي نادى بها الأنبياء فمصيّرهم إلى الزوال.

وفى السورة أيضاً قصة إبراهيم ولوط فى مواجهة جبهة الأعداء: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۗ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۗ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۗ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^١
ففى هذه الآيات أيضاً تأكيد على انتصار النبوة وهزيمة أعدائهم.

والحمد لله رب العالمين.

الجلسة الثانية و العشرون
الالتزام من مستلزمات الإيمان بالنبوة
الخميس ٢٣ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية
١٣٥٣/٧/١٨ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(الأَنْفَالُ / ٧٢)

ثمة مسألة لا بد من تناولها في مباحث النبوة كي تتحول هذه المباحث إلى حالة عملية. وهذه المسألة في الواقع ضمان لكي تتحول أحاديثنا السابقة إلى مشروع عملي في الحياة. وما هي هذه المسألة؟ إنها الالتزامات التي تترتب على شهادة «أن محمداً رسول الله».

ثمة أمور يقرّ بها الإنسان دون أن يترتب عليها التزام عملي، كأن تعتقد أن زهرة النرجس أطيب رائحة من زهرة القرنفل، أو العكس، هذا الاعتقاد لا يستتبعه التزام عملي، وكأن يشهد المسيحي بأن بابا الفاتيكان هو فلان أو فلان، هذا لا يؤثر في حياة الشخص ولا يلزمه أية مسؤولية عملية.

ولكن حين نقول في تشهدنا «أشهد أن محمداً رسول الله» ويرفع هذا الصوت في المآذن يومياً مرات، ألا يلقي ذلك مسؤولية والتزاماً على عاتق المؤمنين بهذه الشهادة؟ الجواب: بلى، إنها مسؤولية مواصلة طريق النبي، إن الشهادة بنبوّة محمد بكلماتها القليلة، تستتبعها مسؤولية ثقيلة.

هناك من يخال أن ترديد عبارة الشهادة بأن محمداً رسول الله باللسان يكفي للخروج من

دائرة عذاب الله ووقوعه في دائرة الرحمة، ثم كلما أدى الواجبات يقترب من معدن الرحمة، وإن لم يؤدّها فهو، على أي حال، في منطقة الرحمة!! هكذا يخال بعضهم.

حصيلة هذا التفكير هو اكتفاء كثيرين بأنهم مسلمون بالجنسية لا أكثر. وهذا خطأ غير مقبول. الإيمان بالنبي يستتبعه التزامات، وكلما كان التقيد بهذه الالتزامات أكثر كان الإيمان أصح. إذا نطق الإنسان بشهادة نبوة محمد^(ص) بلسانه، أو حتى آمن بها في قلبه، ولم يلتزم بالمسؤوليات التي تستتبع هذه الشهادة، فهو ليس بمؤمن واقعي، وإن كان هذا الإنسان مؤمناً على الظاهر. طبعاً من نطق بالشهادة فهو مسلم له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، على القول المعروف، لكننا لسنا في صدد الحديث عن إسلام هذا الشخص أو عدم إسلامه، بل عن إيمان هذا الشخص أو عدم إيمانه. وفق معايير القرآن: المؤمن من التزم بالمسؤوليات التي يوجبها الإيمان بالنبوة.

ما هذه الالتزامات؟ إنها عملية الهدم والبناء التي مارسها رسول الله^(ص). هل إن ما هدمه الرسول من نظام جاهلي ظالم باقٍ اليوم؟ وهل النظام الإنساني العادل الذي أقامه هو قائم اليوم؟ إذا كان الجواب بالنفي، فلا بد من السعي لنقوم بما قام به النبي. إذا لم تكن لدي القدرة على ذلك فلا تقطع خطوة على هذا الطريق، ولأبحث عمّن يشاركني في هذه المهمة. إذا لم أستطع إكمال البناء فلا أضع لبنات لتكون مقدمات للمشروع الكبير.

لا بد من الالتزام بهذه المسؤولية، وإلا فإن شهادتي بالرسالة كاذبة سطحية. إنها تشبه شهادة المنافقين في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^١. إنها شهادة باللسان، وقلوبهم تأبى ذلك.

الالتزام بالرسالة إقامة حياة بالشكل الذي أراه الإسلام. الرسول يستهدف صياغة عالم وفق المشروع الإسلامي. وإذا رأيتم أن البشرية في زمانكم هذا لا تعيش وفق الصورة التي رسمها رب العالمين: رأيتم أن الإنسانية محرومة من العيش في مجتمع إلهي: رأيتم أن المدارس الأرضية تتقاذف البشرية يمنة ويسرة، وأن الإسلام معزول في زاوية من القلوب والعقول،

فإن مسؤوليتكم التي تترتب على الشهادة برسالة النبي تتطلب أن تسعوا إلى إقامة حياة بالشكل الذي أراده الإسلام، هذه مسؤولية شهادة النبوة والتزاماتها.

حين يأتي النبي إلى المجتمع الجاهلي يحدث الاصطفاف في هذا المجتمع في جبهتين، صف يتبع النبي ويهتدي بهداه، والآخر يأبى هذه الهداية. ولأُمُثل بقطار يتجه في منحدر نحو السقوط، يأتي النبي لوقاية هذا القطار من السقوط، بعض العربات تستمر في انحدارها وسقوطها، وبعضها تنجو بسبب وقاية هذا النبي. أي يحدث اختلاف بين هذه العربات فتكون على قسمين قسم قد نجا، وقسم آخر يتجه إلى هاوية الهلاك.

النبي يأتي إلى المجتمع الجاهلي ليحدث جبهة جديدة في هذا المجتمع، وهي جبهة المهتدين ومعهم النبي، والجبهة الأخرى هم الأعداء والمعارضون والمعاندون للنبي. يأتي في البداية وحيداً. ثم ينضم إليه بالتدريج المهتدون ليكونوا صفًا مقابل صف الضالين وبهذا الشكل يحدث الاصطفاف.

ما هو هدف النبي؟ هدفه إنقاذ المجتمع وتوفير سعاده في هذه الدنيا وفي الآخرة. فريق يلتحق بالنبي، وفريق يعارضه. ثم هناك فريق آخر يرى أن الجبهة الإيمانية على حق فيود أن يلتحق بها، لكنه يرى أنه إذا التحق بهذه الجبهة فإنه سيكون في مواجهة مع جبهة الباطل وسيحمل تبعات هذه المواجهة ومشاكل هذه المواجهة. ماذا يفعل؟ يختار مكانة وسطاً بين الجبهتين، يحسبها أنها وقوف على التل وأنها مكانة السلامة والراحة!! ترى هل سيدخل هذا الفريق الجنة مع أتباع النبي؟! مثل هؤلاء الأفراد رأيناهم في زمن الإمام علي^(ع). والإمام يقول بشأن هؤلاء: «الساكت أخو الراضي ومن لم يكن معنا كان علينا»^١، أي الساكت أمام الباطل كالراضي به. والراضي بعمل قوم فهو منهم. هذا الساكت هو جزء من جبهة الباطل. ليس هناك سوى أن تكون مع جبهة الحق أو أن تكون في جبهة الباطل: «من لم يكن معنا كان علينا»، ليس هناك مكان آخر بين الصفيين.

كان هناك في جيش الإمام علي^(ع) من ترك جبهة الإمام علي في مواجهتها لجبهة معاوية،

١- عن أمير المؤمنين^(ع) قال لأحنف بن قيس «الساكت أخو الراضي ومن لم يكن معنا كان علينا» بحار الأنوار، أبواب المواظ والحكم، باب مواظ أمير المؤمنين^(ع).

وغادر إلى مناطق الثغور كي لا يتورط – كما يدعي – في قتل المسلمين!! إنه في الواقع حبّ العافية والخلود إلى الراحة. إذ إن طبيعة الاصطفاف بين الجبهتين (جبهة عليّ وجبهة معاوية) كانت واضحة كل الوضوح بأنها مواجهة بين الحق والباطل. هؤلاء كانوا على معرفة بطبيعة المواجهة بين الجيشين، مع ذلك فقد تركوا جبهة الحق، ومن لم يكن مع الحق فإنه مع الباطل لا محالة.

المواجهة بين علي ومعاوية لم تكن من نوع تلك المواجهات التي تحدث بين الجبهات المتصارعة على مراكز القدرة والقوة والسيطرة. إنها مواجهة بين الحق والباطل بامتياز، ومن لم يكن مع الحق فهو مع الباطل، وإن لم يلتحق بجبهة الباطل، حتى وإن كان قد اختار موقعاً يحسب أنه بين الحق والباطل. إنه موقع طالبي العافية والمهزوزين.

مثل ذلك حدث مع الحسين بن علي^(ع) حين دعا أحدهم ليلتحق بجيشه، فقال له يا ابن رسول الله هذا سيفي وهذا فرسي أقدمه لك، لكنه لم يشارك في جبهة الحسين. ولذلك فإن المعلقين على هذه الحادثة التاريخية يقولون عن ذلك الرجل: إنه لم يحظ بالسعادة. حقاً إنه أعرض عن سعادته.

نعم، إن الشهادة بالنبوة ترفض الجلوس على التل توقياً لحدوث مشاكل وابتعاداً عن تحمّل الصعاب، لا بدّ أن تقترن هذه الشهادة بموقف عملي يتناسب مع عمل النبي (ص): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾.

لماذا أقول إني من أتباع النبي بينما أنا من أتباع أبي جهل؟! لماذا أقول أنا من أتباع علي وأنا من مدرسة معاوية؟!

ما الفرق بين خطاب علي وخطاب معاوية؟ تصوروا أن الخطابين قائمان في مجتمعنا اليوم. علي يدعو إلى تحمل المسؤوليات الجسيمة وعدم الخلود إلى البطر والاسترخاء والاستغراق في الملذات الشخصية، يدعو إلى نبذ السقوط في أوحال الفساد المالي والجنسي، وأن لا تأخذ الإنسان في الله لومة لائم، وعدم التبذير قرشاً واحداً في بيت مال المسلمين. علي

بهذه المواصفات من الشدّة والدقّة والانضباط، وفي مقابله خطاب معاوية الذي يدعو إلى الاستزادة من الملتذات الهابطة، ويغدق الأموال الطائلة على أي شخص يقف في الجبهة المضادة لعلي ويمتدح معاوية.

طيب إلى أي واحد من الاتجاهين تذهبون؟ هل أنت مستعد في هذه البرهة التاريخية أن تقف إلى صفّ من يكلفك جهداً ومسؤولية وحركة؟ هل أنت مستعد للإعراض عمّن بيده الأموال والقدرة وسبل توفير الراحة ورغد العيش من أجل أن تقف مع صاحب المسير الأول؟ إذا كان لك ذلك الاستعداد فأنت محظوظ، ولو كنت في زمن علي لكنت من شيعة. أما لو كان قلبك يخفق لنيل الراحة ونعم العيش والتفاخر بما لا يرضي الله، فاعلم أنك لو كنت هناك لركبت فرسك ليلاً وخفية، وودّعت أهلك وقلت لهم: أنا بالشام في انتظاركم!! ثم يّممت وجهك صوب الشام وتركت علياً وحيداً، كما فعلت بعض الوجوه البارزة يومذاك.

هناك من التابعين من عُرف بروايته عن فضائل الإمام أمير المؤمنين علي^(ع) ومن كان والياً للإمام علي على البصرة، ثم تصرّف بأموال بيت مال المسلمين خلافاً للشرع، واتجه بها إلى مكة!! هل نعتبر هذا من الموالين لعلي؟! إنه الامتحان الذي يظهر خبيثة الإنسان و«عند الإمتحان يكرم الرجل أو يهان»^١ «وفي تقلّب الأحوال تُعلم جواهر الرجال»^٢. أعود إلى حديثي وأقول: إن الالتزام بشهادة النبوة يقتضي اتباع النبي وتحمل مسؤوليات السير على خطاه.

أبدأ بتوضيح معنى الآيات الكريّات^٣ التي تليت في بداية الجلسة باختصار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

الذين آمنوا، والذين هاجروا، والذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، ونصروا... في زمن رسول

١- عن الإمام أمير المؤمنين، غرر الحكم ودرر الكلم، الفصل الثاني والخمسون، ح ٧.

٢- نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، الحكمة ٢١٧.

٣- الأنفال / ٧٢ - ٧٥

الله وفي كل زمان.. الآية تطلق حكماً عاماً. الولاية تقتضي الهجرة.. أي الانقطاع عن كل ما يشد الإنسان بالمال والمتاع والأهل والأرض متى ما اقتضت الضرورة لذلك، وتقتضي أن يكون الرجل من الذين آووا المهاجرين ونصروهم مؤثرين هؤلاء على أنفسهم.. الولاية تقتضي إذن الإيثار والنصرة. والذين فعلوا ذلك هم بعضهم أولياء بعض. يشكلون مع بعضهم جبهة قوية كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه أزر بعض.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ هؤلاء خرجوا من حمة الولاية، وانفصلوا عنكم. ولكن حمة الإيثار باقية حتى ولو لم يهاجروا. لذلك فإن هؤلاء إذا تعرضوا لهجوم العدو فعليكم نصرتهم. وهذا يعني وجوب نصرته المسلمين إذا تعرّضوا لعدوان حتى ولو لم يهاجروا معكم، اللهم إلا إذا كان بينكم وبين أولئك المعتدين عهد وميثاق، فلا يحقّ لكم أن تنصروا جماعتكم الذين لم يهاجروا معكم: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تقرير لأهمية حمة الإيثار، وأهم منها ضرورة الالتزام بالعهود والمواثيق.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ لا تخالوا أن الكفار معسكران أو كتلتان، إنهم بعضهم أولياء بعض، وهم في جبهة واحدة. وإذا لم تضعوا أنفسكم مثلهم في جبهة واحدة، ولم تعلموا أن الذي يقف بين الاصطفافين، فهو في صف الأعداء المعارضين، إذا لم تعلموا ذلك ولم تفعلوا بمقتضاه فتنة الأرض، وئمة الفساد الكبير.. فتنة التفرقة بينكم وما يستتبعه من فساد في أمر الدين والدنيا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ﴾.

هذا تأكيد لفاهيم الآية السابقة.. الملتزمون بما يقتضيه الإيثار هم المؤمنون حقاً، وغيرهم المؤمنون كذباً. ونقف قليلاً عند آيات سورة آل عمران^١:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ

الالتزام من مستلزمات الإيمان بالنبوة ■ ٢٤٧

لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾ الخطاب لأهل الكتاب، ويتضمن ما أخذ الله من الأنبياء من ميثاق وعهد أن يصدقوا النبي وينصروه. ثم يعود السؤال إلى الأنبياء: هل اعترفتم وأقررتم بهذا الميثاق؟ وأخذتم عليه إصري (أي عهدي)؟ وحين يعترف الأنبياء بذلك ويشهدون به ويشهد الله معهم يقول: ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰٓئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ أي فمن أعرض عن هذا الميثاق منكم يا أهل الكتاب بعد إقرار الأنبياء عليه ونكث عهده فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله. الشهادة بالنبوة ميثاق وعهد والتزام.

وآيات سورة الجمعة تتجه نحو التأكيد على أن حمل كتاب الله يستوجب مسؤولية، وبدون حمل هذه المسؤولية فلا قيمة لهذا الظاهر من حمل الكتاب:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^١.

والحمد لله رب العالمين.

القسم الرابع

الولاية

الجلسة الثالثة و العشرون

الولاية

الجمعة ٢٤ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/١٩ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ
تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ
يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم
بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

(المتحنة/ ١)

موضوعنا اليوم يدور حول «الولاية» وما أطره اليوم إنما يقوم على أساس القرآن، وقليلًا ما نرى تناول هذا الموضوع بهذه الصورة.

كلمة الولاية مطروقة في أذهان شيعة أهل البيت، ومقرونة بالقداسة والاحترام، ويدعون الله أن يعيشوا على الولاية ويموتون عليها. الحديث عن الولاية ينجر عادة إلى ولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام)، لكنني أريد الآن أن أتناول المراحل السابقة على ذلك، أريد أن أستل مفاهيم الولاية من القرآن الكريم، لأوضح عظمة هذا المفهوم وسموه، ولأبين ما يصيب المجتمع إن خلا من الولاية.

في ظل هذا التناول ستفهمون لماذا قال الإمام الباقر^(ع): «لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحبّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عز وجل حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان»^١.

مسألة الولاية تتبع مسألة النبوة، وليست منفصلة عنها، بل هي في الواقع بالنسبة إلى مسألة

١- الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب أخوة المؤمنين، ح ٢.

النبوة تتمتها وذيلها والخاتمة لها، وسنرى أن النبوة ستكون ناقصة بدون الولاية. لذلك من الضروري أن نعيد باختصار ما ذكرناه بشأن النبوة، ومنها ننتقل إلى حديثنا عن الولاية. ولا بد أن أذكر بداية أن طرح هذا الموضوع فيه كثير من الصعوبة. إذ الحديث عن الولاية وفق ما جاء في القرآن والسنة يواجه مشكلتين: الأولى أن يختلط هذا الحديث بما يدور في الأذهان بشأن هذا الموضوع، والثاني أن يكون هناك شعور بالاستغراب من ذلك. ولكنني أستعين بالله وأطلب منكم المتابعة بدقة.

رسول الله يأتي إلى المجتمع من أجل تكامل الإنسان، ولأن يتخلق الإنسان بأخلاق الله، وليتم مكارم الأخلاق. «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^١ وما هو سبيله إلى تحقيق هذا الهدف؟ إنه يوفر الجوَّ اللازم لصناعة الإنسان، يؤسس معمل صناعة الإنسان. وما هو هذا المعمل؟ إنه المجتمع الإسلامي الذي يسوده نظام إسلامي. وهذه هي المسألة الأساسية التي يجب أن نفهم بدقة. عمل النبي في التغيير لا يقتصر على العمل الفردي والتوعية الفردية، بل يقيم المجتمع الصالح ليدخل الناس في دين الله أفواجًا.

وما هي طبيعة المجتمع الإسلامي؟ ليس هذا موضوع بحثنا، ولكن نشير باختصار إلى أنه المجتمع الذي تسود فيه حاكمية الله والقوانين الإلهية. وإذا مثلناه بمخروط، فإن رأس المخروط هو الله، وأدنى منه تقع البشرية جمعاء. في المجتمع الإسلامي نظام العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحقوقية يقف وراءها الدين الإلهي تعيينًا وتنفيذًا وضمانًا.

المثال على مثل هذا المجتمع هو مجتمع المدينة المنورة الذي أقامه الرسول الأكرم (ص). كان الرسول والفئة المؤمنة برسالته مقيمين في مكة، وحين تعرضوا للضغوط كان بإمكانهم أن يتفرقوا في البلاد، ويمارسوا عبادتهم هناك. لكن هذا لم يكن يوفر هدف الرسالة. انتقلوا إلى المدينة ليقموا فيها المجتمع الإسلامي، حيث الحاكمية لله، وينوب النبي عن الله في هذه الحاكمية تقريرًا وتنفيذًا.

١-بحار الأنوار، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الخلق، ح ١.

في هذا المجتمع الإلهي كل أمور المجتمع هي من الله، وتجري داخل بيت الله، ابتداء من الصلاة والتعليم والتزكية وتجييش الجيوش للجهاد. كان الرسول (ص) يعقد الراية لأسامة بن زيد^١ في المسجد، ثم يقول للمجاهدين: «انطلقوا باسم الله»^٢، هناك يشحذ عزائمهم ويبين لهم خارطة حركتهم، وفي المسجد كان القضاء بين الناس، وإدارة شؤون المجتمع واقتصاده، وجمع الزكوات. وبعبارة موجزة كانت في المسجد تدار أمور الدنيا والآخرة بقيادة النبي. هذا هو المجتمع الإسلامي. وفي هذا المجتمع يتوفر لمن يريد أن يكون صالحًا ما يُيسر له صلاحه، ولمن لا يريد ذلك لا يستطيع إلا أن يسائر الصالحين في حركته.

في المجتمع غير الإسلامي لا يتوفر لمن يريد الصلاح ما يحقق إرادته. يريد أن يحافظ على دينه، يريد أن لا يتعامل بالربا، تريد المرأة أن تحافظ على كرامة أنوثتها، ولكن ذلك غير ممكن بالشكل المطلوب. في مثل هذا المجتمع هناك الكثير من العوامل والدوافع التي تبعد الإنسان عن ذكر الله. وفي المجتمع الإسلامي خلاف ذلك. وفرة من العوامل تذكّر الإنسان بالله.. من المسجد إلى السوق إلى الإعلام إلى الحكومة إلى الأسرة. كل تلك تجعل ذكر الله سبحانه حيًّا في النفس. وتدفع الإنسان ليقرب من الله ويتعد عن كل ما ينسي الله. لو أن الحياة الرسالية المبدئية التي كانت قائمة في زمن رسول الله قد استمرت بعد التحاق الرسول بالرفيق الأعلى لتحول جُلّ المنافقين بعد نصف قرن إلى مؤمنين حقيقيين. لأن تلك الحياة تطهر الناس من الشوائب والنفاق وتملأ قلوبهم بالإيمان. هذه طبيعة المجتمع الإسلامي. ولهذا بُعث الأنبياء.

نعود إلى بحثنا في موضوع الولاية. من الطبيعي أن النبي في بداية عمله يتوجه إلى بناء الكتلة المؤمنة التي تستطيع أن تحمل أعباء الدعوة، وتأخذ على عاتقها مسؤولية إدارة المجتمع الإسلامي المرتقب، إذ إن النبي يمارس أعمال البناء عن طريق العوامل الطبيعية. إنه بحاجة إلى جماعة مؤمنة إيمانًا راسخًا بالرسالة، ومتحدة وعلى قلب واحد، ومنشدة إلى الهدف الكبير، ومتحركة نحو ذلك الهدف بخطى ثابتة، ومترتبة وفق هدي القرآن في

١- أسامة بن زيد بن حارثة، جعله رسول الله على رأس جيش لمحاربة الروم.

٢- «انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله» (سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، ح ٢٦١٤).

الدعوة ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^١، ولا تأخذها في الله لومة لائم. وهذه الجماعة الأولى تعيش في وسط المجتمع الجاهلي. ولذلك لابد من توفر كل العوامل اللازمة للمحافظة على هذه الجماعة من الذوبان والتصدع والتأثر بثقافة المجتمع الجاهلي. لابد أن تكون مترابطة منضبطة انضباطاً شديداً، إذ إنها أقلية أمام أكثرية، والأقلية قد تصدع شخصيتها وهويتها أمام الأكثرية، وقد تهضمها الأكثرية وتبيدها. ولذلك لابد أن يشد بعضها أزر بعض، مثلها كمثل جماعة تريد أن تتسلق جبلاً لتصل إلى قمته. يقال لهذه الجماعة تماسكوا وشدوا أحزمتكم مع بعضكم، وخففوا أمتعتكم، وبهذا الشكل إذا زلت قدم أحدهم يستطيع الآخرون أن يمسكوا به كي يواصل الطريق. هذا هو حال الجماعة الأولى من المؤمنين. يشكلون مع بعضهم جبهة مترابطة، يأخذ بعضهم بيد البعض الآخر. وهل لهذه الحالة اسم في القرآن والحديث؟ نعم إنه الولاية... الولاية.

لم نصل بعد إلى ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأن هذه الولاية حصني^٢ كما ورد في الأثر. ولا نزال في المصطلح القرآني. فالولاية في هذا المصطلح تعني ارتباط مجموعة من الأفراد في جبهة واحدة وفي فكر واحد، وضمن تيار واحد يتجه نحو هدف واحد، ويسعون معاً لتحقيق هذا الهدف، ويحصنون أنفسهم كي لا يذوبوا في الجبهة المعارضة المعادية. وبذلك يؤسس النبي مجتمعاً ذا خصائص مختلفة تماماً عن خصائص المجتمع الجاهلي السائد، ومتحصناً تماماً عن الانحياز إلى التيارات الأخرى في ذلك المجتمع، ومجهزاً تجهيزاً كاملاً بجميع ما يحافظ على وحدته وتلاحمه وبها يبعدة عن الخلاف والتفرق، وهذه هي الولاية التي تضمن وصول الجماعة إلى أهدافها المرسومة، وبدونها لا يمكن تحقيق ذلك.

ثم بعد أن تتسع هذه الجماعة، وتتشكل الأمة الإسلامية في عصور تالية، تبقى مسألة الولاية لها مكانتها في المجتمع. فالأمة تعرضت في عصور تالية إلى سيطرة الملك العضوض،

١- النحل/ ١٢٥

٢- في حديث قدسي عن الإمام علي بن موسى الرضا^(ع): «ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي» (عيون أخبار الرضا، باب خبر نادر عن الإمام الرضا، ح ١)

وتعرضت الجماعة المنتزعة إلى الاضطهاد والسجن والتشريد، وكان العامل الذي حصّن هذه الجماعة المنتزعة من السقوط والهزيمة والتراجع هو عامل الولاية حول محور القيادة التي واصلت رسالة رسول الله في المجتمع، أعني أئمة آل بيت رسول الله (عليهم السلام). فقد بقي الرساليون مثل نهر زلال يجري في المجتمع الذي ساد الكدر ولوثة الفساد وما شاع من انحراف أيام خلفاء بني أمية وبني العباس.

هذا الذي ذكرناه هو بُعد من أبعاد الولاية إنه الالتحام، وهو جانب من جوانب هذا الموضوع. وستعرض للأبعاد الأخرى في الجلسات القادمة إن شاء الله.

ستطرق في الجلسة القادمة إلى ولاية وليّ الله، ما معنى ولاية وليّ الله؟ ما معنى ولاية أمير المؤمنين علي؟ ما معنى ولاية الإمام الصادق؟ قد يجيّل للبعض أن ولاية الأئمة هي فقط حبّ هؤلاء الأئمة، وهل يوجد في العالم من يعرف هذه الصفوة المقدّسة ولا يحبّها؟! كل من يعرفهم يحبهم، حتى الذين حاربوهم في عصرهم كانوا على معرفة بهم، ولم يكونوا لهم أعداء، بل كانوا يحبونهم، لكنهم حاربوهم لأطماع دنيوية. حين بلغ خبر وفاة الإمام الصادق إلى الخليفة العباسي المنصور بكى، ولم يكن يتظاهر بالبكاء، إذ لم يكن هناك داع لهذا التظاهر، لأنه بكى أمام خدّمه وأمام الربيع حاجبه. لقد تألم حقيقة لوفاة الإمام الصادق. ولكن من الذي سمّ الإمام وقتله، لقد دُسّ إليه السمّ بأمر المنصور. حين وصله الخبر اهتزّ وتأثّر. هل يمكن أن نعتبر أن المنصور كانت له ولاية؟! وهكذا غيره من الخلفاء الذين كانوا يعرفون عظمة أئمة آل البيت، ويكتّون إليهم الحبّ والاحترام، غير أن هؤلاء لم يكونوا من الموالين لهم. الولاية أمر أكبر من مجرد الحبّ. إذا فهمنا معنى الولاية عندئذ يجب أن نرجع إلى أنفسنا ونرى هل نحن من الموالين حقاً؟! وسأبين معنى ولاية أئمة الهدى (عليهم السلام) وكيف يمكن أن نعتبرهم أوليائنا وكيف نكون من الموالين لهم.

جرت العادة في عيد الغدير أن يتصافح أتباع مدرسة أهل البيت ويردّدون المأثور المعروف «الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)» وأنا أقول

١- المنصور ولي الخلافة سنة ١٣٦ بعد أخيه السفاح، دسّ السمّ إلى الإمام الصادق، وقمع ثورة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم وقتل أبي مسلم الخراساني.

لإخواننا: أخشى أن تكون العبارة كاذبة. قولوا: «اللهم اجعلنا من المتمسكين بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)».

أعتقد أننا نستطيع أن نسمي سورة الممتحنة بسورة الولاية بالمعنى الذي ذكرناه. وسأمر على بعض آياتها.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: احذروا أن يأخذوا مكانهم في قلوبكم وأن تعتبروهم بأنهم من جبهتكم ومن صفوفكم. بل انظروا إليهم باعتبارهم يناصرون لكم العداء ويعارضونكم.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ لا يجوز أن تميل إليهم قلوبكم فتبعثوا لهم رسائل مودّة، بينما هم كافرون بما أنزل الله إليكم من الحق.

﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ هؤلاء بسبب إيمانكم بالله وبرسوله يخرجون رسول الله ويخرجونكم من دياركم، فلا تتخذوهم أولياء.

﴿إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ إذا كنتم صادقين في جهادكم وفي ابتغاء مرضاة الله، فلا توالوا الأعداء. طبعاً الآيات التالية تذكر ذلك النوع من الكافرين الذين تجب مقاطعتهم، فالأمر بالمقاطعة ليس عاماً بشأن كل الكافرين.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ تبعثون إليهم برسائل المودة سرّاً، والله يعلم ما تخفون وما تعلنون. والذي يوالي الأعداء سرّاً فقد انحرف عن جادة الصواب.

والآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وهو صحابي أبدى ضعفاً في إيمانه حين أرسل إلى قريش سرّاً رسالة يُعلمهم فيها أن الرسول جهّز إليهم جيشاً. أراد الرجل وهو في صفوف المسلمين أن تكون له أيضاً مكانة عند القرشيين كي يحموا أسرته في مكة. كتب الرسالة وأعطها لامرأة لقاء أجر كي توصلها إلى زعماء قريش. علم الرسول بذلك بوحي من الله، فأرسل علياً ومعه آخر، فلحقا بالمرأة وهي متجهة إلى مكة. هدّداها، فاضطرت إلى تسليم الرسالة.

ثم دعا رسول الله حاطبًا فقال له: «يا حاطب ما حملك على هذا؟» فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت، ولي بين قريش ولد وأهل فصانعتهم عليه. أي حاولت أن أكسب حمايتهم. فعفا عنه الرسول.

ثم توضح الآية لحاطب وأمثال حاطب سبب ضرورة مقاطعة الكفار.

﴿إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

لا تظنوا أنكم لو ساعدتموهم فإنهم سيردّون إليكم الجميل، كلاً بل سوف يفرضون عليكم سيطرتهم، ويعتدون عليكم بأيديهم وألسنتهم، وسوف لا يتركونكم أحراراً في إيمانكم، إذ يودّون أن تتخلّوا عن دينكم وتصبحوا كافرين.

ثم تخاطب الآية حاطب بن أبي بلتعة وأمثاله على مرّ التاريخ وتقول:

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إنه

تأنيب للذين يوالون الكافرين من أجل منفعة للأرحام والأولاد، من أجل أن يحصل هؤلاء الأقارب على منصب وعلى امتياز دنيوي. ترى كم يستطيع هؤلاء الذين توالون الكافرين من أجلهم أن ينفعوكم. هؤلاء سوف ينفصلون عنكم يوم القيامة ولا يُجدونكم نفعاً. فذلك اليوم هو ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ • وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ • وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾^١ ففي ذلك اليوم كل امرئ مشغول بنفسه ﴿لِكُلِّ امْرئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ هذا الابن الذي تضحّي بقيمك من أجله اليوم سوف يفرّ منك يوم القيامة، هذا الذي ضحيت من أجله بدنياك وآخرتك سوف لا ينعفك فتبلى يوم القيامة.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ هذه الآية تبلغ الدورة في خطابها للمؤمنين. إذ تقول لهم إن إبراهيم والمؤمنين معه هم قدوة لكم فاعملوا ما عملوه. وماذا عملوا؟

﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾.

عدم البراءة من المشركين يلوّث طُهر البشرية ونقاء فطرتها، فالبراءة هي من أجل سموّ الحركة الإنسانية.

والسائرون على طريق إبراهيم فعلوا مثل ذلك على مرّ التاريخ. يحيى بن أم الطويل^١ وهو من أصحاب الإمام السجاد كان يأتي إلى المسجد في مدينة رسول الله فيتلو هذه الآية الكريمة، ليذكر الحاضرين بمفهوم الولاية. فالولاية في زمن إبراهيم هي نفسها الولاية في عصر الإمام السجاد علي بن الحسين. وهؤلاء المخاطَبون كانوا على معرفة بآل بيت رسول الله، لكنهم كانوا مهزومين بسبب إرهاب السلطنة الأموية. يحيى هذا الذي كان يذكر الناس بأسوة إبراهيم والذين معه واجه إرهاب الحجاج بن يوسف، فقطع يده ورجله، لكن لسانه ظل ناطقًا. فأمر بقطع لسانه وارتقى إلى الرفيق الأعلى. لكنه ترك آثاره فيما بعده حين انتشر مفهوم الولاية أكثر بعد الإمام السجاد. والحمد لله رب العالمين.

الجلسة الرابعة و العشرون
وشائج الأمة الإسلامية
السبت ٢٥ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية
١٣٥٣/٧/٢٠ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ
أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾

(المائدة / ٥١-٥٢)

ذكرنا في الجلسة السابقة أن الولاية بالمعنى القرآني تعني التلاحم والارتباط ورض الصفوف. كما تعني الحذر من الذوبان والتصدع والهزيمة أمام العوامل الخارجية. إذن للولاية بُعدان داخلي يرتبط بالأمة الإسلامية في داخل مجتمعاتها وبُعد خارجي يرتبط بعلاقة الأمة الإسلامية بالمجتمعات الأخرى.

على الصعيد الداخلي لا بد من رص الصفوف والحذر من التفرق. ولو حدث اختلاف بين فريقين داخل الأمة فالقرآن يأمر بالإسراع في الإصلاح بينهما. ولو أصر أحد الفريقين في لجأته وتعنته ورفض الرضوخ إلى كلمة الحق فعلى العالم الإسلامي أن يعيد هذا الفريق إلى صوابه ولو بالقوة والقتال.

يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾^١. هذا أمر الله سبحانه من أجل صيانة وحدة الأمة الإسلامية.

أما في بعد علاقات الأمة الإسلامية بغيرها، فلا بد من تنظيمها بصورة تحافظ على استقلال الأمة وصيانة شخصيتها وكرامتها وهويتها. وكلّ ارتباط خارجي يسيء إلى هذه المحافظة فهو مرفوض.

في الخبر أن العالم الإسلامي كان يستورد النقود المسكوكة في عهد الإمام الباقر أو الصادق من الروم. ثم حدث أن هدّد حاكم الروم بقطع هذا التعاون. وهنا تدخل الإمام— وهذا من الاستثناءات في مثل هذا التدخل— فوجّه إلى طريقة صناعة المسكوكات النقدية. كي لا يتعرض المسلمون إلى ضغط خارجي.

ارتباط الأمة الإسلامية بغيرها يجب أن يكون إذن في إطار يحافظ على مكانتها المرموقة وهويتها وشخصيتها الرسالية. لا يجوز أن ترتبط بالعالم الخارجي ارتباطاً يفسح للأجانب فرصة الاستغلال والاستثمار، كالذي حدث في إيران في حادثة التبناك وشركة رجي^١. وكالذي حدث في الهند أيام الإمبراطورية المغولية في تأسيس شركة الهند الشرقية، وما جرّت هذه الشركة من بلاء على شبه القارة الهندية^٢. لا يجوز للأمة الإسلامية إقامة مثل هذه العلاقات. هذا لا يعني طبعاً الانعزال عن العالم الخارجي، لا بد من إقامة علاقات سياسية واقتصادية وتجارية وديبلوماسية، بل يعني أن لا تكون لنا معهم ولاية ولا علاقات نفسح المجال أمام التغلغل وأمام السبيل للتغلغل والنفوذ والهيمنة. هذا على صعيد العلاقات الخارجية، أما

١- في الزيارة الثالثة للشاه القاجاري ناصر الدين إلى أوروبا تم عقد اتفاقية بين حكومة إيران وجيرالد تالبوت مؤسس شركة رجي، وبموجبه مُنحت الشركة امتياز احتكار تجارة التبغ والتبناك في إيران لمدة خمس سنوات لقاء دفع مبلغ سنوي. وهذه الشركة بحجة ممارسة النشاط التجاري دفعت بكثير من أتباعها ليدخلوا إيران، وكان بينهم مبشرون مسيحيون. وهذا الامتياز ألغي بصدور فتوى المرجع الكبير الميرزا الشيرازي القاضية - في الزيارة الثالثة للشاه القاجاري ناصر الدين إلى أوروبا تم عقد اتفاقية بين حكومة إيران وجيرالد تالبوت مؤسس شركة رجي، وبموجبه مُنحت الشركة امتياز احتكار تجارة التبغ والتبناك في إيران لمدة خمس سنوات لقاء دفع مبلغ سنوي. وهذه الشركة بحجة ممارسة النشاط التجاري دفعت بكثير من أتباعها ليدخلوا إيران، وكان بينهم مبشرون مسيحيون. وهذا الامتياز ألغي بصدور فتوى المرجع الكبير الميرزا الشيرازي القاضية بحرمة تناول التبغ والتبناك.

٢- شركة الهند الشرقية شركة بريطانية مساهمة حصلت من ملكة بريطانيا ومن الحاكم الهندي على امتيازات احتكارية، استطاعت بموجبه أن تجني أرباحاً طائلة، وهذه الشركة بحجة الدفاع عن أموالها استقدمت قوة عسكرية إلى الهند، وبهذا الشكل استطاعت أن تجعل هذه البلاد جزءاً من مستعمرات بريطانيا.

العلاقات داخل الدائرة الإسلامية، فلا بد أن تتجه عناصر المجتمع جميعها نحو هدف واحد وتتبع سبيلاً واحداً.

هذه هي الولاية بالمفهوم القرآني، وهذه هي الولاية في مدرسة آل بيت رسول الله، وهذا هو سبب ما نعتقه بأن أوامر الإمام نافذة في كل شؤون الحياة الاجتماعية، لأن وحدة الهدف ووحدة الخطى تتطلب قوة متمركزة في المجتمع الإسلامي ترتبط بها القوى الداخلية جميعاً وتسير على خطى ما تصدره من أوامر. لا بد من قوة متمركزة لها إمام بجميع مصالح المجتمع ومفاسده كي تراقب بدقة مجريات الأحداث، وتضع كل شيء في نصابه. وللتشبيه نقول: خذوا بنظر الاعتبار معملاً لصناعة السجاد. عدد من العاملين يشتغلون في حياكة سجادة واحدة، وهؤلاء العاملون بحاجة إلى مَنْ ينسّق حركة أعمالهم كي يخرج العمل منسقاً تابعاً لطرح موحد في الحياكة، وإذا كان كل عامل يحك لنفسه دون تنسيق مع الآخرين فلا يخرج العمل إلا مشوّهاً.

حين ترون السجادة منظمة تنظيمًا دقيقًا في النقوش والتطريز فاعلموا أن العاملين عليها يتبعون مشرفاً واحداً ينسق العمل بينهم.

إذا أريد للمجتمع أن تتحرك طاقاته وتتجه نحو هدف واحد وأن لا تتبدد هذه الطاقات، بل تحتشد لخدمة مصالح البشرية، وأن تكون صفًا واحدًا أمام صفوف الخصم فلا بد من قدرة متمركزة ومن قلب نابض لهذا الجسم الاجتماعي. ومن الطبيعي أن تكون هذه القوة المتمركزة الموجهة ذات خصائص معينة كأن تكون على درجة عالية من الوعي والعلم وقدرة اتخاذ القرار وعدم الخشية من غير الله، والاستعداد للتضحية حينما يتطلب الأمر لذلك. وما اسم هذه القوة؟ إنها الإمام.

والإمام هو الحاكم والقائد الذي يعينه الله سبحانه. وما معنى أن يكون معيناً من قبل الله؟ إما أن يكون معيناً بالاسم كما في تعيين النبي إماماً. يقول سبحانه لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^١ أو في تعيين أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، أو أن يكون معيناً بالخصائص

كما ورد عن الإمام الحسن العسكري: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه»^١. والنص يعين الإمام بالخصائص، فهو الفقيه بالشروط المذكورة، وهو الذي يقود مسيرة المجتمع نحو الهدف المنشود. الولاية بالمفهوم القرآني تستوجب – إذن – وجود الإمام. وإذا أرادت الأمة الإسلامية أن تبقى حية وموفقة وقوية فلا بد أن تكون مرتبطة ارتباطاً مستحكما وثيقاً بهذا القلب المتحرك الخافق. وأي ارتباط؟ الارتباط الفكري والارتباط العملي. ومن هنا نفهم معنى ولاية علي بن أبي طالب. ومن هنا نفهم الحديث: «ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي»^٢ ومن الطبيعي أن يكون انتهاج طريق عليّ فكرياً وعملياً حصناً يقي الإنسان من عذاب الله.

هذا الذي يقول ليس من حقنا فهم القرآن فإنه لا يوالي علياً، لا فكرياً ولا عملياً، لأن الإمام يقول: «واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضلّ والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه بزيادة أو نقصان بزيادة في هدى أو نقصان من عمي»^٣. الإمام يدعو الناس إلى القرآن، وهذا الرجل الذي يدعي ولاية علي يقول: لا يمكن أن نفهم القرآن!! أهذا يوالي علياً؟! كلاً. عليّ يضحّي بكل وجوده في سبيل الله، وهذا ليس على استعداد أن يضحّي بشيء من ماله أو وقته أو مكانته الاجتماعية أو حتى راحته في سبيل الله. أهذه ولاية علي بن أبي طالب؟! يستطيع أن يدعي ولاية الإمام من كان ارتباطه وثيقاً به فكرياً وعملياً.

هذا الذي ذكرته هو المعنى القرآني للولاية. وما أقف عنده من آيات سورة المائدة يبين الجانب الإيجابي من الولاية وهو الارتباط الداخلي، والجانب السلبي من الولاية وهو قطع الطريق أمام التدخل الأجنبي، وكذلك البعد الآخر للولاية وهو الارتباط والاتصال بوليّ الله، أي بالقلب.. بالحاكم الإمام.

١- عن التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري، ذيل الآيات ٧٨ و٧٩ من سورة البقرة.

٢- حديث سلسلة الذهب، وهو حديث قديسي رواه الإمام الرضا عن آبائه عن رسول الله، قال: يقول الله.. الحديث.

٣- نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، الخطبة ١٧٦.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^١.

فهؤلاء اليهود والنصارى مرتبطون ويكونون جبهة واحدة وإن تعددت كتلهم، فهم يجتمعون على معاداتكم. والارتباط بهم يجعلكم في جبهتهم.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ مرضى القلوب يتوجهون بل يسارعون للالتحاق بهم، مرددين نغمة طالما سمعناها من المهزومين، يقولون نخشى أن يصيبنا سوء، نخشى أن تحدث لنا مشكلة إن لم نلحق بهم، يجيبهم الله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

عسى أن يكتب الله للمؤمنين الفتح والنصر أو يحدث بعد ذلك أمراً صالحهم، فيندم هؤلاء الذين لم يلتحقوا بصفوف المؤمنين، وراهنوا على جبهة أعداء رب العالمين.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ بعد أن يفضح أمر هؤلاء الذين ركنا للعدو، يستغرب المؤمنون، وتصيهم الدهشة من هؤلاء الذين كانوا يقسمون أنهم في جبهة المؤمنين، وأنهم معكم قلباً وقالباً، بعد ذلك تبين أنهم ينافقون، وأن قلوبهم مريضة. عندئذ يتبين خواء أفعالهم، ويصابون بالخسران.

هذا على صعيد العلاقات الخارجية، أما على صعيد الارتباط الداخلي يقول سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

إذا تخلّيتم عن دين الله وأدرتم ظهوركم للمشروع الإلهي، فإن هذه الأمانة سوف تصل إلى هدفها بيد أناس آخرين. سوف يأتي الله بقوم يقيمون المجتمع المطلوب حيث تتميز فيه العلاقات الداخلية والخارجية بالصورة التي تذكرها الآية: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ علاقتهم بالله سبحانه علاقة حبّ. وهذا الحبّ ليس ادعاء باللسان، بل هو نهج عملي يتمثل بالدرجة الأولى في اتباع النبي: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^٢.

هذه إحدى الخصائص، والأخرى:

١- المائدة/ ٥١ - ٥٦

٢- آل عمران/ ٣١

﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ والآية تركز على هذه العلاقة الداخلية بين أحباب الله. إنهم متواضعون أمام المؤمنين. غير متعالين عليهم. شعبيون يعيشون مع الناس وغير منزوين في أبراج عاجية. لكنهم أمام الكافرين أعزّة، مرفوعو الرأس لا ينفذ إلى صفوفهم الكفار ولا يخرقون تجمعهم.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ هؤلاء يجاهدون بإخلاص في سبيل الله، ولا يلتفتون للوم اللائمين، ولا يهتمون بالمرجفين.

الآية التالية تتناول ارتباط أجزاء المجتمع الإسلامي بالقلب، بالقوة المحورية، بالإمام وما أجمل الانسجام بين الآيات!!

﴿أِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

الولي الذي يستقطب نشاطات المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية وتُستلهم منه هذه النشاطات هو الله سبحانه، لكن الحضور الإلهي يتجلّى في النبي. والنبي ليس بباق ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ فمن هذا المحور بعد الرسول؟

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ المفسرون قرروا أن الواو في «وهم راعون» هي واو حالية، والآية تريد الإمام علي بن أبي طالب كما في أسباب النزول. قال بعضهم إنها تريد مطلق المؤمنين. ولو افترضنا ذلك فإن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رمز لهذا المعنى العام، والنموذج الأمثل الذي يتجلّى فيه هذا المعنى.

ولابد هنا من التأكيد على أن حديثنا عن الإمام والولاية يقوم على فكر مدرسة أهل البيت. ونحن نوصي المسلمين عامة والشيعة خاصة بتفهم طبيعة هذه المدرسة الإسلامية الأصيلة. لكن هذا لا يعني أننا نرفض المدارس الإسلامية الأخرى، إذ لا يجوز إثارة الاختلافات الفكرية والمذهبية. ونحن إذ يدور حديثنا في إطار التشيع فلاعتقدنا أن الحديث عن التشيع هو الحديث عن الإسلام، لأن فهم الشيعة للقرآن منطقي وعادل وعقلاني. نحن في الواقع نتناول الفكر الإسلامي، نريد أن نفهم الإسلام، بنظرة مدرسة أهل البيت، ولا نريد إثارة

خلاف بين السنة والشيعة، إذ كلنا إخوة، ونحن أمام عدوّ مشترك واحد، ولا يجوز إثارة الخلاف بين أبناء الأمة الواحدة، فمثل هذا العمل حرام في رأينا.

بعد ذلك نقول، لو راعينا الأبعاد الثلاثة من الولاية: حفظ التماسك الداخلي، وقطع السبيل أمام التدخل الخارجي، وحفظ الارتباط الدائم والعميق مع قلب الأمة أعني الإمام والقائد، فما الذي يحصل؟ تقول الآية: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ إنها من ضروريات النصر والنجاح والفلاح.

والحمد لله رب العالمين

الجلسة الخامسة و العشرون

جنة الولاية

الأحد ٢٦ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/٢١ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾

(الحج / ٤١)

متابعة للجلسات السابقة في حقل الولاية، نتناول اليوم أولاً طبيعة المجتمع الذي يقوم على أساس الولاية وطبيعة الفرد المتمسك بالولاية. وثانياً: الدور الذي يقوم به المجتمع القائم على أساس الولاية.

في أحاديثنا السابقة ذكرنا أن دلالات القرآن ومعارف أهل البيت في إطار الولاية تقرر أن التمسك بالولاية له أبعاد ومظاهر متعددة.

الأول: أن المجتمع المسلم لا يقيم علاقات مع الآخر بصورة تهدد استقلاله وهويته. ووضحنا أن ذلك لا يعني أن ينزوي العالم الإسلامي سياسياً واقتصادياً وأن يقطع علاقاته بالمجتمعات الأخرى. ليس الأمر كذلك، بل أن لا يكون تابعاً وذليلاً، وأن لا يذوب في القوى المهيمنة الأخرى، وأن يحافظ على استقلاله وشخصيته.

المظهر الآخر للولاية الانسجام والالتحام الداخلي بين المسلمين كما جاء في الحديث: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^١ وكما جاء في وصف المؤمنين بقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى

١- بحار الأنوار، كتاب السماء والعالم، أبواب الإنسان والروح، باب في خلق الأرواح قبل البدن، ح ٢٩.

الْكَافِرِينَ^١، وأوضح من ذلك قوله سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^٢.

هؤلاء يقفون صفًا واحدًا أمام الجبهة المعادية، لا يخترقهم العدو، ولا يؤثر على عزيمتهم، رحماء بينهم، يتواصلون بالحق ويتواصلون بالصبر وبالمقاومة تجاه عوامل الشر والفساد والانحطاط. هؤلاء مثلهم كمثل جماعة تتسلق الجبال — كما ذكرت في الجلسة الماضية — يشد بعضهم أزر بعض، ويأخذ بعضهم بيد بعض، إذا ضعف أحدهم يسعى الآخرون للمدَّة بالقوة وتوجيهه الوجهة الصحيحة.

والمظهر الآخر من مظاهر الولاية — وهو ما ذكرناه في الأيام الماضية أيضًا، وله أهميته الخاصة — هو وجود مركز إدارة ذي مواصفات خاصة يجعل الجسد الإسلامي متماسكًا متناسقًا منسجمًا على الصعيد الداخلي وذا موقف موحد كالبنيان المرصوص أمام التحدي الخارجي. كما أن الجهاز العصبي للإنسان بحاجة إلى مركز إدارة واحد ينسق بين الأعصاب الممتدة إلى سائر الجسم، كذلك المجتمع الرسالي بحاجة في تلاحمه الداخلي وفي دفع العدوان الخارجي إلى مثل هذا المركز القيادي المقنن الذي يوجه جميع العناصر الفاعلة في نشاطاتها. يضع الأفراد في المكان الذي يليق بهم، ويحول دون التعارض والانحراف. ولا بد أن تتوفر في هذا المركز خصائص العلم والوعي والأمانة وتبلور في وجوده عناصر الإسلام البناءة، وأن يكون مظهرًا للإسلام. وما اسم هذا المركز القيادي إنه «الولي».

المسألة التالية التي يجب تناولها هي: هل أنا وأنت من المتمسكين بالولاية؟ هل إن مجتمعنا له ولاية أم لا؟

ما الذي يجب أن يتوفر في الفرد ليكون من أصحاب الولاية؟ وما هي الخصائص التي يجب أن يتحلَّى بها المجتمع صاحب الولاية؟ هناك عدة أمور:

الأول: ماهي كيفية الإنسان صاحب الولاية؟

الثاني: ما هي خصائص المجتمع صاحب الولاية؟ وفي أية حال نعتبره محرومًا من الولاية؟

الثالث: إذا كان الإنسان صاحب الولاية يعيش في مجتمع يفتقد الولاية، ألا يتحمل هذا الإنسان مسؤولية إقامة المجتمع الموالي؟

الرابع: إذا كان الموالي يعيش في مجتمع يفتقد الولاية، ولم يؤد هذا الشخص مسؤوليته تجاه مجتمعه، ألا يضر ذلك بولاية ذلك الموالي؟ سأقارب بعض هذه الأبعاد، والمتوقع أن تقارنوا بين هذا المعنى التقدمي السامي المتعلّق القرآني للولاية، والمعنى الذي يتصوره المتقاعسون القاعدون البطرون للولاية.

هناك من يتصور أن الولاية هي أن يكتفي الفرد بالمشاركة في مجالس عزاء أهل البيت يذرف الدموع. يتصور أن الولاية مجرد حبّ أهل البيت في القلب لا غير. طبعاً عقد المجالس لأهل البيت والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم والبكاء لمظلوميتهم كلها لازمة وضرورية، لكن الاكتفاء بذلك لا يحقق معنى الولاية، فالولاية أكبر من ذلك. كل تلك أعمال طيبة لكن السيء هو الاعتقاد بأن الاكتفاء بذلك كاف لتحقيق معنى الولاية.

أرجو أن تفهموا ما أقول بدقّة، إذ من الممكن أن يخرج مغرض أو جاهل ليقول إنى أعارض البكاء على سيد الشهداء!! كلاً، أنا لا أعارض، بل أؤيد بشدة، أنا أقول إن البكاء على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد يؤدي إلى إنقاذ أمة. التوابون^١ في بدء حركتهم توجهوا إلى مدفن الحسين وجلسوا ليوم أو يومين أو ثلاث وهم يبكون، ثم كانت نتيجة هذا البكاء أن تعاهدوا بأن يضحوا بأنفسهم جميعاً كي يُعلو صوت مظلومية كربلاء وندم الذين تخلفوا عن نصره الحسين.

عقد مجالس لإحياء ذكر أهل البيت وبيان فضائلهم لا يخالفه عاقل من الشيعة ولا من السنة بل ولا من غير المسلمين. كل من يعرفهم يقرّ بعظمتهم، فهم الرهط الكريم الذي قدّموا كل ما لديهم حتى أرواحهم في سبيل نشر العدل ومقارعة الظلم والدفاع عن دين الله وكرامة الإنسان. لو ذهبتم إلى أوروبا وبيّنتم هناك للناس شخصية الإمام أمير المؤمنين وحياته لرأيتم

١- التوابون جمع من أهل الكوفة المواليين لآل بيت رسول الله، ثاروا بقيادة سليمان بن صرد ومسيب بن نجبة بعد استشهاد الحسين، وسَمّوا التوابين لأنهم أرادوا إعلان توبتهم بسبب عدم نصرتهم للحسين في كربلاء، التحموا مع جيش الشام، وقاتلوا ببسالة، وحققوا بعض الانتصار في البداية، لكن أكثرهم قد استشهد، وثورتهم أول ثورة بعد واقعة كربلاء سنة ٦٥ هـ.

احترام المخاطبين وإعجابهم بهذه الشخصية ولو جدموهم ينحنون إجلالاً له. إذن الاكتفاء باحترام أهل البيت لا يمكن أن يكون الولاية التي يستحق الشخص بموجبها الجنة. من المؤسف أن نفرًا يطرحون عن غرض أو جهل موضوع الولاية بشكل سطحي، ولا يكتفون بذلك بل يجاربون الذين يقدمون الفهم الصحيح للولاية، وللعاملين على طريق الولاية. حصر الولاية في نطاق محدود وضيّق لا يليق بهذا المبدأ الإسلامي الهام.

الإنسان الموالي هو من يعرف الولي، ويفهم فكره ويتبني هذا الفكر، ويفهم عمله، ويسير وفق هذا العمل فيتبعه فكرًا وعملاً. هذا هو صاحب الولاية.

إنه لظلم ما بعده ظلم أن يدّعي أحد أنه من الموالين لعلي بن طالب وهو في فكره وعمله يخالف علي بن أبي طالب. إنه لظلم بحق علي وبحق مفهوم الولاية.

الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه يؤكد أن ولايتنا لا تنال إلا بالعمل ومن لا عمل له فهو عدونا. فالولاية في ثقافة الإمام الصادق تختلف عن الولاية في ثقافة ذلك الجاهل أو المغرض الذي يدّعي ولاية الإمام الصادق. لماذا لا نفهم هذا المبدأ فهمًا صحيحًا؟! لماذا يصرّ بعضنا على تكريس الركود والجمود والتخلف والبعد عن الإسلام وعن الدنيا والآخرة. أخشى أن نبقى على أمل دخول الجنة بهذا الفهم الخاطئ من الولاية، وبذلك نخلق لنا جحيمًا في هذه الدنيا، وفي الآخرة نكون من الخاسرين، أي خسران هذا؟!

نكرر أن ولاية الإنسان هي الارتباط والاتصال المطلق بالولي واستمرار ذلك الارتباط. أما الولاية على صعيد المجتمع فإنها تتحقق حين يكون الولي مشخصًا في ذلك المجتمع. هذا أولًا. وثانيًا حين يكون الولي ملهم كل الطاقات والنشاطات في ذلك المجتمع. أن يكون القطب الذي يوجه المجتمع قانونيًا وتنفيذيًا. أن يكون المحرك للحياة في هذا المجتمع والحادي لقافلة الحياة فيه.

كان رسول الله (ص) وليّ المجتمع في حياته، وبعد وفاته كان المجتمع على نهج الولاية بقدر ارتباطه بالولي. كلما كان ارتباطه بالولي أكثر كان أقرب إلى الولاية. حين يكون الحاكم والموجه والماسك لزام الأمور في المجتمع من تتوفر فيه صفات الولاية، فذلك المجتمع هو المجتمع الذي يمتلك الولاية بصورة كاملة.

بهذا المعيار ارجعوا إلى أنفسكم وانظروا هل أنتم من أهل الولاية؟ إذا كنتم كذلك فاشكروا الله سبحانه على هذه النعمة فهي نعمة ما بعدها نعمة. وسأوضح عظمة هذه النعمة. وإن لم تكونوا منضوين تحت هذه النعمة فاسعوا إلى نيلها. إلى نيلها على مستوى شخصكم وعلى مستوى المجتمع البشري. حاولوا أن تسيروا وراء عليّ وعلى نهج عليّ، وأن توثقوا علاقتكم بعليّ وهو وليّ الله. أئمة الهدى سعوا جميعاً على طريق إحياء الولاية، سعوا إلى إحياء الإنسان بالولاية.

حاولوا أن تجعلوا وليّ الإسلام مقتدرًا في أداء مهامه. وذكرت أمس أن الوليّ إما أن يكون معيّنًا من قبل الله سبحانه بالاسم، أو معيّنًا بالخصائص: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه...»^١ وهذا التعيين بالخصائص هو من الله أيضًا.

وحين يسعى الإنسان إلى إحياء مشروع الولاية في المجتمع فإنه سيهتدي إلى السبيل ويفهم أبعاد المسؤولية الملقاة على عاتقه في عالمه المعاش، ويتعلم أساليب تحقيق ذلك. ولسنا في صدد الحديث عن الأساليب.

طيب، يبقى السؤال عن العطاء الذي يمكن أن تقدمه الولاية للمجتمع. في كلمة واحدة نجيب: إنه انتقال من الموت إلى الحياة. تصوروا الجسم الميت الذي فيه الدماغ والعين والجهاز الهضمي والدورة الدموية ولكن كلها لا تعمل، لماذا؟ لأن هذا الجسم يفقد الروح. وهكذا المجتمع الذي يفقد الولاية، فيه كفاءات لكنها باطلة مهدورة. له قوى مفكرة لكنها تُسخر فكرها للإفساد وللقتل ولإحراق الحرث والنسل. لاحظتم في التاريخ الإسلامي حينما خبت شعلة الولاية ماذا حدث. ولقد حذّرت فاطمة الزهراء سلام الله عليها مما سينزل بالمجتمع إذا ابتعد عن الولاية، لكن آذان المجتمع لم تكن تستوعب هذا التحذير، وهذا التحذير قائم إلى يومنا هذا.

المجتمع صاحب الولاية مجتمع تنمو فيه الكفاءات الإنسانية، وكل شيء فيه ينحو إلى السموّ

١- التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري، ذيل الآيات ٧٨ و٧٩ لسورة البقرة.

والكمال والرقى. ويسير المجتمع بتوجيه من الولي الحاكم على طريق الله، وتقسم الثروة فيه تقسيماً عادلاً، وتتجه الطاقات فيه إلى الاستزادة من المعروف واستئصال المنكر وكل ما يسيء إلى المجتمع.

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^١ في إقامة الصلاة معنى الحركة نحو الله، وفي إيتاء الزكاة معنى التقسيم العادل للثروة (وثمة قرائن تدل على أن الزكاة هي كل ما ينفقه الإنسان من مال في سبيل الله) وفي الأمر بالمعروف إشاعة كل ما هو مفيد للمجتمع، وفي النهي عن المنكر معنى اقتلاع كل ما يقف حجر عثرة على طريق حركة المجتمع نحو الكمال. هذا ما كان يسعى إليه أولياء الدين. أمير المؤمنين في حرب صفيين بيّن هدفه أنه يريد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. والحسين بن علي قال وهو يتوجه إلى كربلاء «أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي رسول الله»^٢. نعم حين تتحقق الولاية في المجتمع تتحقق معها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدبّ الروح والحياة في المجتمع. والتدبر في آيات هذه الجلسة، يبين الآفاق الواسعة لجنة الولاية والسرّ في تأكيد النصوص الدينية على أن أهمية الولاية لا تفوقها أهمية أخرى. والحمد لله ربّ العالمين.

١- الحج/ ٤١

٢- إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله وسلم). أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي رسول الله وأبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) «بحار الأنوار، كتاب تاريخ الحسين، باب ٣٧، وصيته لمحمد بن الحنفية.

الجلسة السادسة و العشرون

حول الولاية (١)

الاثنين ٢٧ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/٢٢ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

(النساء / ٥٨-٥٩)

ذكرنا في الجلسات السابقة المسائل الأساسية التي ترتبط بالولاية ولكن ثمة مسائل أخرى يمكن اعتبارها أيضًا أصلية وأصولية وموجهة للبحث. سأذكر اثنتين منها في هذه الجلسة وأترك الباقي للجلسة القادمة.

المسألة الأولى: هي من هو الولي الحقيقي في المجتمع الإسلامي؟ ذكرنا في الجلسة الماضية مهمة الولي في هذا المجتمع على الصعيد الداخلي وعلى الصعيد الخارجي. فمن هذا الولي في المنطق القرآني؟ إنه الله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^١ وهذا المنطق القرآني في تعريف الولي ينسجم مع أصل التوحيد وأصل النبوة، فهذه الأصول منسجمة مع بعضها، ولا يجوز أن نستنبط من أي واحد منها مسألة فرعية تتناقض مع بقية الأصول كما يفعل بعض السذج من المسلمين. في القرآن الكريم آيات عديدة تقرر هذا المبدأ وتؤكد أن المؤمنين ليس لهم ولي إلا الله، وأن الله يحكم في كل أمور البشر، وهنا تلزم الإشارة إلى أن الحديث ليس بشأن السلطة التكوينية لرب العالمين، فمعلوم أن الله هو المهيمن على السماوات والأرض،

وهو المدبّر لها بإرادته القاهرة، وإنما الحديث عن التشريع لحياة الإنسانية وتنظيم العلاقات الاجتماعية، وهي ما ينبغي أن تكون مستلهمة من الله تعالى، وأن يكون الحاكم في هذا النظام الإسلامي، وأسميه النظام العُلوي، هو الله وحده دون سواه.

هنا نتقل إلى مرحلة أخرى، وهي أن حاكمية الله في المجتمع تستوجب أن ينفذ هذه الحاكمية شخص، أو مجلس يضم مجموعة من الأشخاص يراقب عملية تنفيذ الأحكام والقوانين في المجتمع البشري، وبدون ذلك يختل نظام المجتمع. فَمَنْ هذا الفرد القائد أو المجموعة القيادية التي تمارس عملية الولاية؟ ثمة آراء مختلفة في هذا الحقل. فمن قائل «إن المُلك لمن غلب»، وقيل إنه ينبغي أن ينتمي إلى قبيلة معينة، وقيل إنه من يقبله الناس وقيل غير ذلك.

جواب المدرسة الدينية هو: «**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**»^١ فالرسول هو الذي يمسك بيده زمام الأمور من قبل الله. أما حين يرحل النبي من ساحة الحياة فمن الذي يستلم زمام الأمور؟ تشخّصه الآية بالقول: «**وَالَّذِينَ آمَنُوا**» هذا هو المعيار.. الإيمان الحقيقي لا الظاهري. فرد أثبت طول حياته بعمله أنه مؤمن حقاً. بعد هذا التشخيص يأتي التخصيص من بين المؤمنين. «**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**» وإقامة الصلاة غير أداة الصلاة. لأداء الصلاة يكفي فيها تعبير «يُصَلُّونَ»، أما إقامة الصلاة فتعني إحياء روح الصلاة في المجتمع. أن يكون المجتمع مصلياً. والمجتمع الذي تحيي فيه روح الصلاة يتجه نحو محو الجرائم والخيانة والقضاء على سحق القيم الإنسانية، إذ جميع الأعمال فيه تتجه للقربة إلى الله. سبب الخيانات والسرقات والظلم والاعتداءات هو الابتعاد عن ذكر الله. المجتمع الذي تسود فيه روح الصلاة هو ذلك المجتمع الذي يتولى الحكم فيه مثل علي بن طالب صلوات الله عليه القائل: «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة على أن أعصي الله في نملة أسلبها لب شعيرة ما فعلت». وأفراد ذلك المجتمع مثل أبي ذر الغفاري الذي تحمّل ما تحمّل من ضرب «ونفي»^٢ لكنه لم يرضخ للظلم. ولا ينتهي الأمر بإقامة الصلاة بل أيضاً:

١- المائة/ ٥٥

٢- نهج البلاغة، الكلمة ٢٢٤، يترأ الإمام من الظلم.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وفيه معنى التقسيم العادل للثروة والإنفاق في سبيل الله. ثم: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وفي ذلك إشارة إلى حادثة تاريخية وهي إن سائلاً جاء إلى المسجد وأمير المؤمنين في حال صلاة. وحين وصل إلى الإمام كان عليه السلام في حال ركوع فأهداه خاتمه الخاص. فنزلت الآية.

وقيل إن الآية لا تختص بحادثة تاريخية بل هي عامة، ولكن سياق الجملة العربية يقتضي أن تكون إشارة إلى حادثة خاصة. ثم إن إعطاء الخاتم لم يكن من الزكاة المعروف في الاصطلاح. وهذا يؤكد ما ذكرناه أمس أن الزكاة تعني عامة الإنفاق في سبيل الله. وفي «وهم راكعون» إشارة إلى اهتمام الإمام بالإنفاق، فلم يتأخر عنه حين انتهاء الصلاة، بل سارع للإنفاق بما يمتلكه من خاتم وفي ذلك دلالة أيضاً على ذوبان الإمام في أداء هذا التكليف.

هذه الآية تشير إلى تعيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولياً أمر بعد رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام. لكنه تعيينٌ ليس على طريقة أهل البطش والقوة، ليس على طريقة من يفرض ابنه ولياً عهدٍ بعده ويجبر الناس على قبوله. الله سبحانه يعين الإمام ولياً من بعد رسول الله بهذه المواصفات: الإيمان التام بالله، وإقامة الصلاة، والاهتمام التام بالإنفاق وإيتاء الزكاة. إنه تعيين لخليفة رسول الله وبيان لملاك هذه الخلافة ومناطها وفلسفتها.

الله سبحانه وحده له حقّ الحاكمية، لذلك هو وحده الذي يستطيع أن يمنح حق الحكومة لمن يشاء. ونعلم أن الله سبحانه لا يقرر شيئاً إلاّ لمصلحة الإنسان. فهو الذي يعين النبي لهذه المسؤولية، ثم يعين الإمام، ومن بعد الإمام يعين من تتوفر فيه معايير وصفات خاصة. فالله هو الولي، ونبيه ولي، والأئمة أولياء. إثنا عشر إماماً تنطبق عليهم مواصفات الولي، ومن بعدهم أيضاً من تتوفر فيه المواصفات التي ذكرناها من قبل.

الذي يركز عليه الإسلام هو أن زمام أمور الناس يجب أن لا تقع بيد من يسوق الناس إلى جهنم. لقد شهد التاريخ الإسلامي استيلاء أفراد على السلطة أذاقوا الناس سوء العذاب، وعاثوا في الأرض الفساد. كل هذا حدث في جوٍّ من غياب القيم التي قرّرها الله سبحانه للحاكم في المجتمع الإسلامي. رأينا في التاريخ كم عبث بعض الحكام بأموال المسلمين وأرواحهم. أنفقوا بيت المال على قصورهم ولهوهم وحفلات زواجهم. وتذكر لنا كتب

التاريخ ما يندى له الجبين من مشاهد زواج بنات بعض الخلفاء والأمراء في العصر العباسي، مما يشبه الأساطير، في حين كان هناك من لا طمع له في الشيع، ومن يعيش في شظف العيش. كان الخليفة في مناسبات متعددة يوزع الإقطاعات والمجوهرات على حاشيته وأتباعه، وإلى جانب هذا البذخ والترف كان يحيى العلوي^١ في جبال طبرستان قد أعلن الثورة على الظلم والظالمين، ولم يكن يملك هو و زوجته سوى رداء واحد، يلبسه يحيى ليؤدي الصلاة، ثم يعطيه زوجته لتؤدي الصلاة بعده.

واللوم في ذلك لا يتوجه إلى هارون الرشيد ولا إلى حاشية هارون، بل إلى الناس الذين كانوا يرون هذه المآسي ويسكتون.. يتوجه اللوم إلى المسلمين الذين فقدوا ما كانوا يملكونه من إحساس بالمسؤولية ومن درك ووعي في عصر صدر الإسلام. وما حدث ذلك إلا بسبب ما عملته السلطة من غسيل دماغ في العالم الإسلامي، وبذلك غيّت عن المسلمين المعايير التي عينها الله للحاكم الإسلامي.

لقد أشاعوا أن كل من أمسك بزمام الأمور فهو وليّ الأمر ولو كان فاسقاً. بينما مدرسة أهل البيت كانت متمسكة بمواصفات القرآن الكريم لولي الأمر، وكانت تشيع ذلك بين الناس وتقول إن وليّ الأمر قد عينه الله بمواصفاته ولا يحق لأحد أن يتولى أمور المسلمين بالقهر والقوة. لا يجوز تويي الحكم بمنطق العباسيين الذين يرون أن انتسابهم إلى ابن عم النبي يؤهلهم لذلك !! ولا يجوز تويي الحكم بمنطق المنصور الذي كان يدعي أن الإمام الحسن تنازل عن الخلافة للأمويين ونحن أخذناها منهم بالقوة!!

هذا كله مرفوض بمنطق القرآن وبمنطق السائرين على نهج القرآن من أهل بيت رسول الله والمتمسكين بمدرستهم. فلا يحقّ إذن لأحد كائناً من كان أن يدعي ولاية أمر المسلمين أو أن يقبل منه ذلك أحد. هذه هي المسألة الأولى.

المسألة الأخرى هي أننا ذكرنا أن الولاية لله. لماذا كانت له سبحانه؟ هذا ينطلق من نظرة الإسلام إلى الكون والحياة. وبموجب هذه النظرة فإن كل شيء في العالم ناشئ من قدرة الله

١- يحيى بن عبدالله، من أحفاد الإمام الحسن، ثار في عصر هارون الرشيد بطبرستان، قاتله الرشيد، وحين اشتد الأمر على يحيى طلب الأمان، فمنحه الرشيد الأمان، لكن الرشيد سجنه وقتله في سجنه.

تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^١ جميع ظواهر الخليفة له سبحانه، والحكومة التكوينية على جميع الأشياء تحت تصرفه، من هنا يجب أن تكون الحكومة التشريعية والقانونية تحت تصرفه أيضاً لأنه أعلم بما يصلح للبشرية، وبذلك تكون حركتهم التشريعية في الحياة منسجمة مع طبيعتهم التكوينية.

ولنبداً بالمرور سريعاً على الآيات:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^٢.

الآية الكريمة تتحدث أولاً عن ضرورة ردّ الأمانة إلى أهلها. والأمانة لا تقتصر على ردّ الوديعة المالية، بل أهم أمانة هي أمانة العمل بواجب الطاعة، وهو الميثاق بين الله وبين الناس. وهذا أهم مصاديق الأمانة. والآية تمهد للآية التالية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ والآية تعني أنه لا بد من وليّ أمر، وحاكم، وحكومة، خلافاً لما تدعي بعض المدارس أن التطور الاجتماعي التاريخي يؤدي في النهاية إلى عدم حاجة المجتمع إلى حكومة. وخلافاً لما ادّعى الخوارج بقولهم: «لا حكم إلا لله» وفي جوابهم قال الإمام علي بن أبي طالب: «كلمة حق يراد بها باطل»^٣. نعم، الذي بيده التشريع وزمام الحياة هو الله، لكنكم أيها الخوارج تقولون: «لا إمرة إلا لله»! لا بد من حاكم ينفذ ما أراه الله. ويطبق ما أراه الله في المجتمع. ولذلك يقول الإمام: «لا بد للناس من أمير». هذه هي طبيعة البشرية التي تقتضي وجود منقذ للقانون في المجتمع.

ومن هو وليّ الأمر؟ إن النصّ القرآني، وما عليه مدرسة أهل البيت هو أن وليّ الأمر ما كانت تتوفر فيه المعايير الإلهية، خلافاً لمن ذهب إلى أن من استولى على كرسي الحكم فهو وليّ أمر تجب إطاعته.

١- الأنعام/ ١٣

٢- النساء/ ٥٨ - ٦٠

٣- «كلمة حق يراد بها باطل. نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله» (نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، الخطبة ٤٠).

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

فالرجوع إلى الله والرسول هو خير وأحسن رجوع، وبذلك تحذر الآية من الرجوع إلى حكام السوء. وبعد ذلك تقول الآية الثالثة:

﴿لَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

هؤلاء الذين يدعون الإيمان، بدل أن يعودوا في قضاياهم إلى أولي الأمر بالمواصفات التي عينها الله، يتحاكمون إلى الطاغوت ليأخذوا منه أحكام حياتهم، بينما أمروا أن ينكروا الطاغوت ويكفروا به. وهذا هو من عمل الشيطان الذي يريد أن يبعدهم عن جادة الصواب. ومن المحتمل أن يكون الشيطان هو الطاغوت نفسه لا شيء آخر. هذا الشيطان أو الطاغوت يريد أن يلقىهم في وديان التيه. ويبعدهم عما يحقق مصالحهم الحقيقية ابتعادًا يصعب معه العودة إلى جادة الصواب.

والآية التالية تقرر موضوعًا ذكرناه من قبل وهو أن ولاية الله تنطلق من نظرة الإسلام إلى الكون والحياة، وبموجبها يعود كل شيء إلى الله، فهو السميع العليم بما يحتاجه البشر في تشريعهم:

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠﴾ قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَلْتَأْخِذُوا بِآيَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطَعَّمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١﴾﴾.

والحمد لله رب العالمين

الجلسة السابعة و العشرون

حول الولاية (٢)

الثلاثاء ٢٨ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/٢٣ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾
- ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾
- ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾

(النحل / ٩٨-١٠٠)

ذكرنا من قبل أن من يدّعي عبودية الله لا بد أن يكون له في حياته وليّ. وذكرنا أن الوليّ هو من عينه الله بالتخصيص ويتمثل بتعيين النبي لهذه المهمة والأئمة الذين يخلفون النبي، أو بالتشخيص وذلك بتعيين الخصائص التي يجب أن تتوفر في الوليّ. وفي هذه الجلسة نتناول حكم من يرفض ولاية الله وينضوي تحت إمرة غير الله؟ ثم ما اسم هذا العمل؟ وثالثاً ما هي نتيجته؟ هذه الأمور هي فروع من أصل الولاية، ولكن هي بذاتها من الأصول أيضاً. في القرآن الكريم كل ولاية لغير الله هي ولاية الطاغوت. وما هو الطاغوت؟ إنه من مادة «الطغيان»، وهو تجاوز دائرة الفطرة الإنسانية. الإنسانية خلقت من أجل أن تتكامل. ومن يصد الإنسانية عن طريق الكمال فهو طاغوت. البشر خلقوا فطرياً ليعيشوا وفق شريعة الله. ومن يعمل على إبعاد البشرية عن شريعة الله فهو طاغوت. الإنسان يجب أن يجد ويسعى ليكون وجوده معطاء ومثمراً. كل عامل يصد الإنسان عن هذا الجدّ ويدفعه إلى العبث والتعاس والارتخاء فهو طاغوت. الإنسان يجب أن يخضع لأوامر الله. وكل عامل يبعث على إخراج الإنسان من خيمة هذه الطاعة ويؤدي إلى عصيان الله فهو طاغوت.

الطاغوت إذن ليس باسم خاص. يُخيل للبعض أن الطاغوت هو صنم، نعم هو صنم ولكن ليس صنمًا معينًا. قد يكون هذا الصنم هو نفسك، وقد يكون المال، وقد يكون طلب حياة البطر والاسترخاء، وقد يكون ذلك الصنم هو من استسلمت له، وخضعت له دون تفكير ودون وعي ليأخذك إلى حيث يشاء، وقد يكون ما ليس له روح كالذهب والفضة، وقد يكون فردًا من الأحياء، وقد يكون نظامًا اجتماعيًا أو تشريعًا يتعارض مع ما قرره الله. ملخص ما ذكرناه أن من يخرج عن ولاية الله فقد دخل في ولاية الطاغوت والشيطان. وهل هناك ارتباط بين الطاغوت والشيطان؟ نعم. إن الشيطان هو الطاغوت، والطاغوت هو الشيطان نفسه.

أذكر لكم هذه الآية ليتبين أن الطاغوت يساوي الشيطان: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^١. ترون في الآية أن الشيطان ذكر بدل الطاغوت، والطاغوت بدل الشيطان. الشيطان كل عنصر خارج وجود الإنسان يدفعه إلى ممارسة أعمال الشر والفساد، وإلى الانحطاط، والتخاذل، والظلم وأعمال السوء، والانحراف.

عندنا شياطين من الإنس وشياطين من الجن، وشياطين من الكبراء، ومن قوى خارجية ومن أحاسيس داخلية. ومن مصاديق الشيطان إبليس. إبليس خالف رب العالمين بشأن سجوده لآدم صفي الله، ونحن نلعبه باستمرار، ولكنه ليس هو وحده الشيطان، فعندنا ما لا يحصى من الشياطين، شياطين يمكن رؤيتهم أو مسهم وأحيانًا معاشرتهم.

كل من لا ينضوي تحت لواء ولاية الولي الحقيقي فهو يرضخ لطاعة الشيطان والطاغوت. وقد يقول قائل: ما الضرر وما المفسدة في أن يعيش الإنسان تحت ولاية الطاغوت؟

في الجواب نقول: إذا رضخت لولاية الشيطان فإن الشيطان سيستولي على كل الطاقات الخلاقة في وجودك. إذا سلمت للشيطان والطاغوت وتقلدت ولايته، فإنك سوف لا تتحرر منه. وحين يستولي على جميع طاقاتك ونشاطاتك فإنه سيسوقك إلى الطريق الذي يريد. ومن الواضح أنه لا يسوقك إلى ما فيه مصلحتك بل إلى ما فيه مصلحته. فأنت منساق إلى تحقيق مصالحه الشخصية. إذا استلزم الأمر أن تضحي في سبيل مصالح الطاغوت فلا بد

أن تضحي، وإذا اقتضى أن تنحرف عن الطريق فلا بد أن تنحرف، فلقد سلّمت زمامك بيده وهو يأخذك إلى حيث يريد. هذه الآية التي سأمّر عليها بحاجة إلى كثير من التدبّر:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^١.

فمن فصل طريقه عن طريق الرسول بعد أن تبين له مسير الهداية، واتبع سبيلاً غير سبيل المجتمع الإلهي، فإنه سيُمنى بما اختاره هو من ولاية ونتركه إلى اختياره الفاسد الذي يؤدي به إلى جهنم ومصير السوء. وهذا تعبير آخر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^٢.

هذه مسائل هامة نحتاج إلى دراستها اجتماعياً وتاريخياً، نحتاج إلى نبحت عن مصاديقها في المجتمع وفي التاريخ. وأودّ أن أذكر اليوم لكم شيئاً من التاريخ وإن لم يكن من دأبي في هذه المجالس أن أتطرق إلى مسائل تاريخية.

انتقل بكم إلى مدينة الكوفة وما فيها من ذكريات حلوة ومرّة. تعلمون أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد اختار هذه المدينة من بين المدن الإسلامية لتكون عاصمة له. وتعلمون كم أن أهل الكوفة قد شاركوا مع علي في حرب الجمل والنهران وصفين. وفي مشهد آخر تعلمون أيضاً كم أن علياً قد اشتكى من أهل الكوفة لتقاعسهم وتعلّلهم في الدفاع عن حرّات المسلمين أمام ما كانت تتعرض له البلاد الإسلامية من غارات. وهؤلاء هم الذين كاتبوا الإمام الحسن (عليه السلام): أن أقدم لنا لنسلمك مقاليد الكوفة لكنه لم يأتهم. وهؤلاء هم أيضاً كاتبوا الإمام الحسين (عليه السلام) أن يقدم إليهم إذ: «أنه ليس علينا إمام»^٣، وكانوا صادقين في دعوتهم إذ بين الداعين سليمان بن صرد الخزاعي وحبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة، وأمثالهم. ولكن الأمور اتجهت إلى أن يُخذل الحسين حين قدم إلى العراق وحدث ما حدث من مأساة تاريخية في كربلاء. وبعد ذلك بقليل شهد التاريخ

١- النساء/ ١١٥

٢- الرعد/ ١١

٣- «أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى» (بحار الأنوار، تاريخ الحسين، باب ٣٧، ح ٢).

٤- حبيب ومسلم استشهدا في ركاب الإمام الحسين وسليمان قاد حركة التوايين فيما بعد.

حادثة نادرة وعظيمة وهي ثورة التوابين، فضحى الثوار بأنفسهم جميعاً لإثبات صدقهم في ندمهم وفي توبتهم من جراء عدم نصرتهم للحسين. وفي العصر العباسي نرى أن كثيراً من الثورات قد كانت بذرتها في الكوفة، وفيها نرى التضحيات الجسام، ثم نرى أيضاً مشاهد فيها الضعف والتواني والتقاعس.

أعتقد أن مجتمع الكوفة على مر التاريخ بحاجة إلى دراسات تاريخية ونفسية واجتماعية لفهم أسباب هذه المواقف المتباينة من أهل هذه المدينة.

مما لاشك فيه أن هذه المدينة كانت تضم من تأثروا بشخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقد حكم فيها أربعة أعوام، ولا بد أن هذا التأثير كان كبيراً حتى صارت هذه المدينة مهذاً لفضائل مدرسة أهل البيت. هذا لا يعني أن أهل هذه المدينة بأجمعهم هم من هذا النموذج الأصيل النادر، ولكن وجود هذه المجموعة الأصيلة الثائرة كان السبب وراء ما تعرضت له المدينة من اضطهاد وتخويف وتجويع وفرض المجرمين من الولاة عليهم، وكان هو السبب وراء انتخاب الحجاج بن يوسف الثقفي ليحكم فيهم.

لقد بعث الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الحجاج إلى الكوفة لأنه كان من أكثر ولاته وكلاً بسفك الدماء. وصل الحجاج الكوفة في عتمة الليل قبل صلاة الفجر ومعه بطانة مسلحة، ودخل المسجد والناس يتهجدون، وجلس على المنبر متنكراً، بعدها تقدم الناس نحو المنبر ليؤدوا الصلاة جامعة، والحجاج جالس لا يتكلم ولم يكشف عن وجهه. فلما غص المسجد بأهله حسر اللثام عن وجهه، ثم قام ونحى العمامة عن رأسه وبدأ خطبته بالقول:

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

وواصل يرتجز بالتهديد والوعيد. ومع أنهم عرفوا أن المتكلم هو الحجاج ولكن لم ينبس أحد ببنت شفة معترضاً. ساد المسجد السكوت والرهبة والخوف. هذا الضعف من الناس هو الذي جعل الحجاج يتسلط عليهم ﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ وجعله يتهادى في تهديده إلى أن تجرأ على القول: «إني والله لأرى أبصاراً طامحة، وأعناقاً متطاولة، ورؤوساً قد أينعت وحن قطفها، وإني لصاحبها، كأني أنظر إلى الدماء ترقرق بين العمام واللحي».

ثم أمر الكاتب أن يقرأ كتاب عبدالمملك بن مروان إلى العراقيين في تولية الحجاج. فقال الكاتب:

«.. من أمير المؤمنين عبدالمملك بن مروان إلى من بالعراق.. سلام عليكم..»

فقال الحجاج للكاتب: اسكت يا غلام! ثم قام غاضبًا وقال: يا أهل العراق، يا أهل.. (وأخذ يسبهم) يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام؟! واستمر يشتم ويهدد. ثم قال يا غلام اقرأ الكتاب. فلما بلغ السلام قال أهل المسجد: وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته^١. وهنا انشروا أسارير الحجاج، وعرف أن قد تم له ما أراد.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ لقد رضختم لتهديد الحجاج، وأجبتكم على سلام الخليفة الظالم، فإن الحجاج سوف يتسلط عليكم. والله لا يغير الحجاج بمعجزة ويأتي بمكانه زين العابدين (عليه السلام). سوف يبقى الحجاج يسيطر عليكم حينما ترفضوه. حينما قبلتم الحجاج فإنه سيستولي على فكركم وروحكم. هذه سنة الله في الخليقة. إنها سنة التاريخ.

لابد أن نقرأ التاريخ للعبرة ولنفهم سننه. ولا بأس أن أضيف هنا أن الذين استعملوا الحجاج ليطش بمعارضهم، بطشوا بالحجاج نفسه وقتلوه بأفطع صورة. وهذه أيضًا من سنن التاريخ: «من أعان ظالمًا سلطه الله عليه»^٢. إن الإمعان في حوادث التاريخ يسعفنا في فهم ما ذكره القرآن الكريم من سنن.

نقف عند آيات القرآن الكريم:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^٣ الآية تقول حين تقرأ القرآن، وتعلمت منه مفاهيم الإسلام، فاحذر أن يسلب الشيطان من قلبك هذه المعارف، واحذر أن يسد عليك طريق المزيد من الفهم.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ من انضوى تحت لواء ولاية الله فإن

١- مروج الذهب للمسعودي، ج٣، ص ١٢٧-١٣١، دار الهجرة، إيران - قم.

٢- نهج الفصاحة، ح ٢٩٤٥

٣- النحل / ٩٨ - ١٠٠

الشیطان لا یسلط علیهم. ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾. ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

الذي يتعد عن ولاية الرسول بعد أن اتضح له الطريق السوي، ويفصل عن طريق المؤمنين نجعله تحت ولاية من قبل ولايته، نجعل هذا الذي تولاه ليكون ولي أمره، وبذلك يُمنى بجهنم ومصير السوء.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^١ عودوا إلى ما ذكرناه في جلسات التوحيد، وافهموا ما هو الشرك وما هو التوحيد؟ فالذي أشرك قد خرج من ولاية الله ودخل في نفوذ غير الله. ومثل هذا الشخص لا يشمل غفران الله. بتعبير آخر مثل هذا الذنب قد أنزل بصاحبه جرحاً لا يندمل. ولقد ذكرنا من قبل أن غفران الذنب هو التمام الجرح الذي نزل بروح المذنب بسبب ذنبه. والدخول في ولاية غير الله جرح روحي لا يقبل الاندمال.

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ والمغفرة هنا أيضاً لها طريقتها. العودة إلى الله وطلب مغفرته. ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ الشرك يبعد الإنسان بعداً شاسعاً عن طريق الهداية. لقد ابتعد كثيراً، وهذا الابتعاد لا يمكن أن تكون معه عودة إلاً بمزيد من السعي، ومزيد من اليقظة، ويتطلب أيضاً موجهاً قوياً. فالمسافة بين الشرك وبين التوحيد بعيدة جداً.

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾ هؤلاء المشركون يدعون (إناثاً) من دون الله. وقيل إن المقصود من الإناث هو الأوثان التي تحمل أسماء مؤنثة مثل اللات والعزى، وأساف، ونائله. وقيل إن مادة (أنث) تعني المرونة والهشاشة. أي تدعون من دون الله موجودات ضعيفة لا تضر ولا تنفع. ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ والمريد هو الخالي من الفضائل والعماري من الحسنات.

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ الشيطان مطرود من رحمة الله.

﴿وَقَالَ لَا تَخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٦﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ﴾ هذه طبيعة الشياطين أن يضلوا

فريقاً من الناس، ليكونوا من نصيبهم ومن زميرتهم، يسلبون عقلهم وإرادتهم وبصيرتهم ويدخلونهم في ولاية غير الله.

﴿وَلَا مَنِّيَنَّهُمْ﴾ أي أغرقهم بالأمانى الكاذبة الموهومة. إنها ما يتلى به الإنسان من صغائر وأهداف تافهة تجعله يخضع لهذا وذاك من أجل الوصول إليها. وتهيج في وجوده الأطماع التي تذلل وتدق رقبتة.

﴿وَلَا مَرَنَّهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ إشارة إلى عادة خرافية كان يمارسها الجاهليون بقطع آذان الأنعام، فيحرمون ركوها، أو يفعلون ذلك لأغراض أخرى هي في الجملة خرافية. والأمر بهذا العمل الخرافي رمز للعادات والتقاليد الفارغة التافهة التي هي من عمل الشيطان.

﴿وَلَا مَرَنَّهُمْ فَلْيُعَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ أولئك الذين يوقعهم الشيطان في شراكه يدفعهم للابتعاد عن فطرتهم، وعن الطريق الذي رسمته لهم الفطرة، ويضع لهم نهجاً في حياتهم يتعارض مع فطرتهم، ليوصلهم إلى مالا ينسجم مع الطبيعة الإنسانية. هذا عهد الشيطان مع رب العالمين. وهذا هو دأبه مع البشر، ولذلك تُحذّر الآية من الدخول في ولاية الشيطان.

﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۖ يَعْدُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ الدخول في ولاية الشيطان لا نتيجة له سوى الخسران، يصدق الشيطان على الإنسان الوعود والأمنيات المغرية. غير أنها كاذبة خادعة.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^١.

المؤمنون وليهم الله، وهو سبحانه يأخذ بأيديهم لينقذهم من ظلمات الجهل والغرور والأهواء والشرك والظلم، ويدخلهم في عالم النور حيث المعرفة والعلم والحكمة. أما الكافرون فيأخذهم وليهم وهو الطاغوت من نور الدين والحكمة والفضائل الإنسانية إلى ظلمات الجهل والأهواء، وليس لهؤلاء مصير إلا عذاب جهنم. والحمد لله رب العالمين.

الجلسة الثامنة و العشرون

حول الولاية (٣) (الهجرة)

الأربعاء ٢٩ رمضان المبارك ١٣٩٤ هجرية

١٣٥٣/٧/٢٤ هجرية شمسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا
وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ
الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

(النساء/ ١٠٠)

ذكرنا أن الذي ينضوي تحت ولاية الله يجب أن تكون عناصره الوجودية ونشاطاته وقواه خاضعة لعبودية الله لا لعبودية الطاغوت. وإذا سلّمنا بذلك فإن سؤالاً يفرض نفسه هو: إن مثل هذا الإنسان لو أحاطته ظروف فرضت عليه أن يكون تحت ولاية الطاغوت والشيطان، فماذا يجب عليه؟ الجواب: عليه أن ينقذ نفسه من هذه الحالة ويدخل في ولاية الله، أن يخرج من ولاية الظلم ليدخل في ولاية العدل، هذه النقطة تسمى الهجرة. لقد تناولنا ثلاثة أمور ترتبط بالولاية وهذا هو الموضوع الرابع.

لماذا يجب على الإنسان أن يفرّ من ولاية الطاغوت؟ ألا يمكن أن يحافظ الفرد على إسلامه في إطار ولاية الطاغوت؟ ألا يمكن أن يبقى الإنسان عبداً لله في ظروف تسيطر فيها عوامل غير إلهية على فكره وعواطفه ومشاعره؟ فكروا في هذا الأمر ملياً.

بداية نعرف أن ولاية الطاغوت والشيطان كما يرى القرآن الكريم هو أن يستولي الشيطان على كل قوى الإنسان وطاقاته وكفاءاته وأعماله، وأن يسير في الطريق الذي يريده الشيطان وفي المسير الذي يرسمه له. مثله مثل شخص وقع في نهر ذي تيار قوي متدفق لا يستطيع إلا أن

ينجرف فيه، ولا يمكنه التخلص من هذا الانجراف مهما تشبث بشيء، فقد السيطرة على نفسه. هذه هي ولاية الطاغوت وولاية الشيطان، لذلك يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾^١ يسوقونهم إلى الجحيم وإلى سوء المصير. ويقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾^٢ لقد أغدق الله على الإنسان نعمًا كثيرة يستطيع بها أن يطوي مدارج الكمال المادي والمعنوي، لكن هؤلاء ساقوا هذه النعم التي أغدقها الله على الناس نحو مسير كافر بهذه النعم، ودفعوا قومهم إلى دار البوار والفناء والهلاك وإلى جهنم والمصير التعيس.

وهذه الآية تلاها الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) على هارون الرشيد ليفهمه أنه هو من الذين ﴿أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾. إذ في مجلس دار حديث أغضب هارون فصاح: أنحن كفار؟ فقال الإمام لا، ولكن كما قال تعالى «ألم تر..» وتلا الآية ليفهمه أن الكافر ليس من ينكر الله والوحي والنبوة صراحة. مثل هذا الكافر يستطيع أن ينظم الإنسان علاقته معه. الأسوأ منه هو الذي يكفر بما عنده من نعم، بل ويسوق من تحت إمرته إلى ولاية الطاغوت.. إلى جهنم.

من يخضع لولاية الطاغوت يفقد إرادته، بل إذا أراد أحيانًا أن يغيّر مسيره، فإن قوة التيار تمنعه من ذلك وتجرفه، والأسوأ من ذلك أنه لا يفهم بأنه منجرف في التيار.

الأسماك التي وقعت في شبك الصياد، يقودها الصياد دون أن تعرف الأسماك مقصدها، والصياد الذي يسحبها نحوه هو الذي يعرف المقصد. وشراك النظام الجاهلي تجرّ الناس نحو من بيده هذه الشراك دون أن يعلموا بأنهم يتجهون نحو ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾. ولنعد إلى التاريخ لنرى ما تنزله ولاية الطاغوت من خسائر بالأمة.

تعرفون أن الإسلام فجر طاقات الأمة وأيقظ كفاءاتها وقواها الفكرية فسجلت أروع انتصارات في حقل العلوم والمعارف، واقتبسوا علوم زمانهم وترجموها، وذلك ما بعث علماء الغرب أن يذكروا بإعجاب شديد ما حققه المسلمون من تقدم، من أمثال «غوستاف

لوبون^١ الفرنسي الذي درس الحضارة الإسلامية في قرون ازدهارها، ومثل «آدم متز»^٢ الذي كتب عن الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، ولكن الذي يبعث على الأسى هو أن المجتمع الإسلامي في عصور الازدهار الحضاري كان خاضعاً لخلافة وراثية استبدادية بعيدة عن القيم الإسلامية. ولذلك كان نصيب المجتمع الإسلامي من هذا التطور العلمي ضعيفاً، ونرى التاريخ ينقل لنا الأعاجيب من التمييز الطبقي في ذلك العصر. ولهذا السبب أيضاً أفَلَّت مسيرة التقدم العلمي والفكري، وأوصلت العالم الإسلامي إلى ما نشاهده اليوم. لو كانت ولاية الأمة بيد الصالحين، لو كان النجوم العَلَوِي هو السائد في المجتمع، لو كانت ولاية الأمر بيد أمثال الإمام الصادق، لكان عطاء التطور العلمي يعمّ المجتمع وينقذه من عوامل التخلف كلها، وَلَكُنَّا ننعَم حتى اليوم بذلك العطاء.

ثم هذه الحضارة الغربية المعاصرة، قد حققت انتصارات في حقل العلوم والصناعة والتطوير لكنها كانت ولا تزال في ظل الأنظمة الحاكمة التي لا تؤمن بقيم إنسانية وأخلاقية، فقادت الغرب بل والعالم إلى حروب ودماء ودموع، وإلى تمييز عرقي وطبقي فظيع، ولم يستطع ذاك التقدم العلمي أن ينعش الحياة الإنسانية والفضائل الخلقية.

وَمَنْ نستطيع اليوم أن نفخر بهم في القرنين الثاني والثالث الهجريين هم الذين وقفوا بوجه انحراف السلطة، ودعوا إلى ولاية تستطيع أن تحقق حضارة تسودها القيم الإنسانية النبيلة أمثال معلّى بن خنيس^٣ ويحيى بن أم الطويل ويحيى بن زيد، ومحمد بن أبي عمير^٤ وأمثالهم

١- غوستاف لوبون (١٨٤١ - ١٩٣١) عالم اجتماع ومستشرق فرنسي دراسته حول الحضارة الإسلامية أقرب إلى الموضوعية. اهتم بدراسة الحضارات في الهند ومصر والأندلس.

٢- آدم متز (١٨٦٩ - ١٩١٧) مستشرق ألماني، سكن في بازل بسويسرا. كتابه المعروف: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.

٣- معلّى بن خنيس: من أصحاب الإمام الصادق. اعتقله حاكم المدينة وهدده بالقتل كي يكشف أسماء أصحاب الإمام. لكنه أبى واستشهد على هذا الطريق.

٤- يحيى بن زيد بن علي بن الحسين، بعد استشهاد والده سنة ١٤١هـ فرّ إلى خراسان ثم إلى هرات، واشتبك هو وجمع من أصحابه بقوات حاكم خراسان، واستشهد سنة ١٤٥هـ.

٥- محمد بن أبي عمير الأزدي من أصحاب الأئمة الكاظم والرضا والجواد، تعرض للتعذيب على يد هارون ليكشف أسماء الموالين لآل البيت، وسجن مرات، وتوفي سنة ٢١٧هـ.

ممن نهضوا بوجه انحراف مسيرة المجتمع في عصرهم، وضحوا بأنفسهم حين رأوا أن كل ما يحققه المجتمع من تطور علمي لا قيمة له في ظل ولاية الطاغوت.

ويبقى السؤال عن إمكان أن يعيش الإنسان حياة إسلامية في ولاية الطاغوت. ما معنى أن يعيش الإنسان حياة إسلامية؟ يعني أن تكون إمكاناته وطاقاته وقواه وكفاءاته كلها من أجل الله. وهل عندنا نماذج لذلك؟ نعم عندنا نماذج من مجتمع عاش بهذه الصورة، ونماذج من جماعات هاجرت من نظام الطاغوت إلى الله.

مثال ذلك المجتمع، مجتمع المدينة في زمن حياة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد أقام النبي مجتمعاً يتحرك نحو الله في شؤونه أجمع. وفي هذا المجتمع يعيش اليهودي والمسيحي أيضاً في ظل الإسلام، كلاهما تحت ذمة الإسلام، ويتحركان على طريق المجتمع الإسلامي. طقوسهم الشخصية يمارسونها على طريقة دينهم، لكنهم مسلمون باعتبار عضويتهم في المجتمع الإسلامي. ولعل إسلامهم أقوى من ذلك المسلم العادي الذي يعيش في ظل نظام جاهلي. في عصر رسول الله كان كل شيء هناك في سبيل الله. المال والجهد بالنفس وباللسان وبالفكر في سبيل الله. وهكذا الأمر إلى حد ما في زمن حكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. فهو ولي الله بعد الرسول، لكنه ورث تركة من اضطراب الأوضاع.

هذا على مستوى المجتمع. أما على صعيد الجماعات فنرى الجماعات الملتفة حول أئمة أهل البيت (عليهم السلام). وكان المفروض أن نبحت ذلك بالتفصيل في فصل الإمامة بعد الولاية. كانت هذه الجماعات تعيش في مجتمع يحكمه الطاغوت، لكنها كانت تتحرك في اتجاه يعارض نظام الطاغوت. كذلك الجماعة الصغيرة التي كانت في كربلاء مع الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه. فقد شقت طريقها في اتجاه يخالف السيل الجارف في المجتمع آنذاك.

وفي التاريخ عندنا نماذج أخرى من هذا القبيل. أما على الصعيد الفردي فإن الفرد لا يستطيع أن تكون طاقاته وحركته ووجوده تحت ولاية الله بينما هو يعيش في مجتمع طاغوتي. مثل هذا الشخص لا بد أن يكون جزء من حياته على الأقل على طريق الطاغوت. ولا يمكن أن يكون عبداً لله بشكل كامل.

في الكافي للكليني وهو من الكتب الحديثية الأربعة عند الشيعة حديث قدسي في هذا المجال ذكرته مراراً مروياً بألفاظ مختلفة في باب «من دان الله عزّ وجل بغير إمام من الله» عن الإمام عن رسول الله عن الله سبحانه وتعالى: «لأعذبّن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله وإن كانت الرعية في أعمالها برّة تقيّة، ولأعفونّ عن كل رعيّة في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام عادل من الله وإن كانت الرعية في نفسها ظالمة مسيئة»^١.

التركيز عجيب في هذا الحديث عن أهمية الولاية في المجتمع! فالذين يعيشون تحت ولاية ولي الله من أهل النجاة وإن كانوا يرتكبون الإساءات في حياتهم الشخصية. والذين يعيشون تحت ولاية الطاغوت في شقاء وعذاب وإن كانوا في حياتهم الشخصية من أهل البرّ والتقوى.

وأمثل لهذا الحديث بسيارة تركبونها من مدينة مشهد لتذهبوا إلى مدينة نيشابور، فإذا انحرفت السيارة في اتجاه مدينة سرخس أو قوجان^٢ فإنكم لا شك لا تصلون إلى الهدف. ركاب السيارة—مهما كانوا مؤدبين ومحسنين—فإنهم لا يصلون على أي حال إلى هدفهم. أما إذا كانت السيارة تطوي طريقها إلى نيشابور فإنها تصل إلى المقصد حتى وإن كان ركبها قد خالفوا أصول آداب المعاشرة الإنسانية. لو كان هؤلاء الركاب ملتزمين بالآداب الإنسانية فهو المطلوب، أما لو أساء هؤلاء الركاب في الطريق فإنهم سينالون جزاء إساءتهم، لكنهم على أي حال سيصلون إلى هدفهم المنشود.

في الحالة الثانية لا بدّ أن يكون السائق أميناً عارفاً بالطريق: «إمام من الله». فإنه يوصلهم إلى الهدف وإن أسأؤوا: «وإن كانت الرعية في أعمالها ظالمة مسيئة». أما في الحالة الأولى فإن السائق جاهل بالطريق، السائق غير أمين، السائق من أهل الفسوق، ظلّ الطريق، أو كانت له مآرب أخرى في سرخس وقوجان ففضل مصالحه على مصلحة الركاب. على أي حال لا يبلغ الركاب مقصدهم وإن كانوا من أهل البرّ والتقوى: «وإن كانت الرعية في أعمالها برّة تقيّة».

١- الكافي للكليني، كتاب الحجّة، باب من دان الله عزّ وجل بغير إمام من الله، ح ٤.

٢- مشهد، ونيشابور، وسرخس، وقوجان، مدن من أعمال خراسان.

طيب، إذا كان الناس قد فُرضت عليهم ولاية طاغوتية شيطانية فماذا يفعلون، ما الذي يجب عليهم أن يفعلوا؟ تقول الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا^١﴾.

هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، وأساءوا إلى أنفسهم في الحياة الدنيا حين تأتيتهم الملائكة لقبض أرواحهم يسألونهم: فِيمَ كُنْتُمْ؟ وأنا أفهم من هذا السؤال أن الملائكة يستغربون مما يرونه من بؤس حالة هؤلاء ومما ينتظرهم من عذاب. فيقولون لهم: فِيمَ كُنْتُمْ؟! كما يأتي مريض إلى طبيب وهو في حالة يرثى لها، فيقول له الطبيب مستغرباً: أين كنت تعيش؟! فيقولون: «كنا مستضعفين في الأرض» أي لم تكن لنا إرادة ولا اختيار في مجريات المجتمع وحركته وسكونه واتجاهه. لم نكن نعلم إلى أين نحن متجهون، مثل حصان الطاحونة يدور ويتحرك وعيونه مشدودة، يظن أنه بمشيه المتواصل قد قطع مسافة كبيرة، ولا يدري أنه يدور في مكانه!! هكذا هو شأن المجتمع الذي يعيش في ظل نظام ظالم جاهل. أفراده مستضعفون لا يدرون إلى أين هم متجهون، ولا يعلمون ما يراد بهم. خلافاً للمجتمع الذي يُدار بنظام صحيح، فهذا المجتمع يعير أهمية لشخصية الإنسان وكرامته ومكانته، ويمارس الولي فيه عملية المشاورة مع الناس: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ^٢﴾ هكذا تأتي التعاليم إلى رسول الله، مع أن النبي لا يحتاج إلى مشورة، وذلك لغرس روح العزة في نفوس الأفراد. ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ فيأتيهم الجواب: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾؟! ألم تكونوا قادرين على الانتقال إلى بقعة أخرى من الأرض، لتكونوا أحراراً، ولتعبدوا الله وحده دون سواه، وتسخرُوا طاقاتكم على الطريق الصحيح هناك؟! واضح أنهم لا يملكون جواباً، و واضح أنهم سينالون سوء المصير.

طبعاً هناك استثناء في موضوع وجوب الهجرة، وهو أولئك الذين لا يقوون على هذا العمل، مثل الأطفال والضعفاء من النساء والرجال، فهؤلاء من المؤمل أن يعفو الله عنهم

١- النساء/ ٩٧ - ١٠٠

٢- آل عمران/ ١٥٩

فهو العفو الغفور تقول الآية: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا.

قد يخال المخاطبون بالهجرة أن الهجرة تسبب لهم أضرارًا وبؤسًا وخوفًا من المصير، فتقول الآية:

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾. أي يجد في الأرض المسالك والطرق الكثيرة والسعة في الحركة.

لقد كان هذا المهاجر قبل الهجرة يعيش في قفص لا يستطيع أن يرتفع أكثر من سقفه، أما بعد الهجرة فيستطيع أن يعيش في آفاق رحبة واسعة.

لقد كان المسلمون في مكة قبل الهجرة قد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وأصبحوا في المدينة يتحركون بمنتهى الحرية، ويتسابقون في الخيرات.

الأمر بالهجرة والتشجيع عليها يأتي في إطار ضرورة الحركة في العبادة والإنفاق والجهاد في سبيل الله، لتكون هذه الحركة قيمةً من قيم مكانة المسلم في المجتمع.

وقد يحدث للمهاجر من دار الكفر إلى دار الإسلام أن يتوفاه الله في الطريق. مثل هذا الشخص يكون قد أدى ما عليه من واجب وأجره على الله:

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

ولا بأس أن أشير ونحن في اليوم الأخير من هذه الجلسات أن الهجرة كما ذكرنا تكون من دار الكفر، من ولاية غير الله، إلى دار الإيمان، حيث ولاية الله، والنبى، ولاية الإمام، ولاية ولي الله. وإذا لم يكن هناك على وجه الأرض دار إيمان ودار ولاية الله ورسوله وولاية ولي الله، فما العمل؟ هل يبقى الإنسان في دار الكفر؟ في هذه الحالة لا بد من التفكير في إيجاد دار الهجرة، كما فعل رسول الله، إذ هجرته إلى المدينة أوجد دار الهجرة.

قد يستلزم الأمر أن تهاجر جماعة لتبني نقطة البداية في الهجرة، ومن ثم لإقامة المجتمع الإلهي الإسلامي، عندئذ تتوفر للمؤمنين أرض الهجرة.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات

سورة البقرة/ آية ٢١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

سورة البقرة/ آية ٢٢ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

سورة البقرة/ آية ٦١ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكِنَةُ وَبِأُوْ بَعْضٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

سورة البقرة/ آية ٨٥ ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

- ٢٦٥ سورة البقرة/ آية ١٢٤ ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾
- ٦٦ سورة البقرة/ آية ١٢٨ ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾
- ٩٧ سورة البقرة/ آية ١٤٣ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾
- ٩٧ سورة البقرة/ آية ١٤٤ ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾
- ٢٢٤ سورة البقرة/ آية ١٥٣ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾
- ١٩٢، ١٣٤ سورة البقرة/ آية ١٥٦ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾
- ١١٩ سورة البقرة/ آية ١٦٥ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾
- ١١٩ سورة البقرة/ آية ١٦٦ ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾
- ١٢٠ سورة البقرة/ آية ١٦٧ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾
- ١٨٦ سورة البقرة/ آية ٢٠٥ ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾
- ١٦٣ سورة البقرة/ آية ٢١٣ ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

- ٨٣ سورة البقرة/ آيه ٢١٤ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾
- ١٠٥ سورة البقرة/ آيه ٢٥٥ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾
- ٢١٣، ٨٧، ٢٩٥ سورة البقرة/ آيه ٢٥٧ ﴿اللَّهُ وَرَى الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
- ٥٦ سورة البقرة/ آيه ٢٨٥ ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾
- ٢٦٧ سورة آل عمران/ آيه ٣١ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
- ١٢٨ سورة آل عمران/ آيه ٦٤ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾
- ٢٨١ سورة آل عمران/ آيه ٦٨ ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَرَى الْمُؤْمِنِينَ﴾
- ٢٠٠ سورة آل عمران/ آيه ٧٩ ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾
- ٢٤٦ سورة آل عمران/ آيه ٨١ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾
- ٢٢٥ سورة آل عمران/ آيه ١٢٥ ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾

- ٣٨ سورة آل عمران/ آيه ١٣٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
- ٣٨ سورة آل عمران/ آيه ١٣١ ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾
- ٣٨ سورة آل عمران/ آيه ١٣٢ ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
- ٣٩ سورة آل عمران/ آيه ١٣٣ ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾
- ٤١ سورة آل عمران/ آيه ١٣٤ ﴿الَّذِينَ يُتَّقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
- ٤٢ سورة آل عمران/ آيه ١٣٥ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَخْتَارَ أَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
- ٤٢ سورة آل عمران/ آيه ١٣٦ ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَحْرِيًّا مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾
- ٢٢٣، ٩١، ٦٣ سورة آل عمران/ آيه ١٣٩ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
- ١٨٢ سورة آل عمران/ آيه ١٤٦ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾
- ٣٠٤ سورة آل عمران/ آيه ١٥٩ ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾
- ١٩٢، ٧٣ سورة آل عمران/ آيه ١٦٤ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾
- ١٥٢ سورة آل عمران/ آيه ١٧٢ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

- ١٥٢ سورة آل عمران/ آيه ١٧٣ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاصْبِرُوا لَهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾
- ٥٣ سورة آل عمران/ آيه ١٧٤ ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دَارِهِمْ لِيُذَكَّرُوا فَاتَّبَعُوا أَمْرًا ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾
- ٥٣ سورة آل عمران/ آيه ١٧٥ ﴿إِنَّمَا ذِكْرُ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
- ٥٤ سورة آل عمران/ آيه ١٧٦ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْبًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
- ١٦٣، ٥٨ سورة آل عمران/ آيه ١٩٠ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾
- ٥٨ سورة آل عمران/ آيه ١٩١ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾
- ٥٩ سورة آل عمران/ آيه ١٩٢ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾
- ٥٩ سورة آل عمران/ آيه ١٩٣ ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾
- ٢٨٥ سورة النساء/ آيه ٥٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾
- ٢٨٥ سورة النساء/ آيه ٥٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾
- ٢٨٦ سورة النساء/ آيه ٦٠ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ صَلَآلاً بَعِيدًا﴾

- ٣٩ سورة النساء / آية ٦٥ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
- ٢٩٠ سورة النساء / آية ٧٦ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾
- ٣٠٤ سورة النساء / آية ٩٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾
- ٣٠٥ سورة النساء / آية ٩٨ ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حَبْلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾
- ٣٠٥ سورة النساء / آية ٩٩ ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا﴾
- ٣٠٥ سورة النساء / آية ١٠٠ ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
- ٢٩٣، ٢٩١ سورة النساء / آية ١١٥ ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾
- ٢٩٤ سورة النساء / آية ١١٦ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾
- ٢٩٤ سورة النساء / آية ١١٧ ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾
- ٢٩٤ سورة النساء / آية ١١٨ ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾
- ٢٩٤ سورة النساء / آية ١١٩ ﴿وَلَا ضَلَّانَهُمْ وَلَا مَتِّبِينَهِمْ وَلَا مُرْتَبِّئَهُمْ فَلْيُبَيِّتَنَّ أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مُرْتَبِّئَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾
- ٢٩٥ سورة النساء / آية ١٢٠ ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَتِّعِهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾
- ٨٦ سورة النساء / آية ١٧٤ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾

- ٨٦ سورة النساء/ آيه ١٧٥ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾
- ١٤٤، ٣٨ سورة المائدة/ آيه ١٨ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾
- ٢٢٥ سورة المائدة/ آيه ٢١ ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾
- ٤٩ سورة المائدة/ آيه ٢٤ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾
- ٢٦٧ سورة المائدة/ آيه ٥١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
- ٢٦٧ سورة المائدة/ آيه ٥٢ ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخشى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾
- ٢٦٧ سورة المائدة/ آيه ٥٣ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأُصِيبُوا خَاسِرِينَ﴾
- ٢٦٧ سورة المائدة/ آيه ٥٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾
- ٢٨٢، ٢٦٨ سورة المائدة/ آيه ٥٥ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾
- ٢٦٩ سورة المائدة/ آيه ٥٦ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾
- ١٦٢ سورة المائدة/ آيه ٩٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

- ٥٩ سورة المائدة/ آية ١٠٤ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾
- ٢٠٠ سورة المائدة/ آية ١١٦ ﴿وَإِذ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُحْبَانِكَ مَا يُكَوِّنُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾
- ٢٨٦ سورة الأنعام/ آية ١٣ ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
- ٩٦ سورة الأنعام/ آية ٨٠ ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾
- ٩٦ سورة الأنعام/ آية ٨١ ﴿وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
- ٩٥، ٦٤ سورة الأنعام/ آية ٨٢ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾
- ٢١٤، ١٢٤ سورة الأنعام/ آية ١١٢ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾
- ٢١٤ سورة الأنعام/ آية ١١٣ ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾
- ١٣٤ سورة الأنعام/ آية ١١٤ ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾
- ١٣٤ سورة الأنعام/ آية ١١٥ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
- ١٣٤ سورة الأنعام/ آية ١١٦ ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾
- ١٣٥ سورة الأنعام/ آية ١١٧ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾
- ١٣٥ سورة الأنعام/ آية ١١٨ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾

- ١٣٦ سورة الأنعام/ آيه ١١٩ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾
- ١٣٦ سورة الأنعام/ آيه ١٢٠ ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾
- ١٣٦ سورة الأنعام/ آيه ١٦٢ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
- ١٣٦ سورة الأنعام/ آيه ١٦٣ ﴿لَا شَرِيكَ لَهٗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾
- ١٣٤ سورة الأعراف/ آيه ٥٤ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
- ٢٠٤ سورة الأعراف/ آيه ٥٩ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾
- ٢٠٤ سورة الأعراف/ آيه ٦٥ ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾
- ٢٠٤ سورة الأعراف/ آيه ٦٦ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾
- ٢٠٤ سورة الأعراف/ آيه ٦٧ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
- ٢٠٤ سورة الأعراف/ آيه ٦٨ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾
- ٢٠٤ سورة الأعراف/ آيه ٦٩ ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصِطَةً فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
- ٢٠٤ سورة الأعراف/ آيه ٧٠ ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
- ٢٠٥ سورة الأعراف/ آيه ٧١ ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَصَبٌ أْتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاذْكُرُوا إِيَّايَ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ﴾

- ٢٢٤ سورة الأعراف/ آيه ١٢٧ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مَوْسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَإِنَّا لَأَرْفِقُهُمْ قَاهِرُونَ﴾
- ٢٢٤ سورة الأعراف/ آيه ١٢٨ ﴿قَالَ مَوْسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾
- ١٩٥ سورة الأعراف/ آيه ١٥٦ ﴿وَاصْبِرْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾
- ١٩٦، ١٣٣ سورة الأعراف/ آيه ١٥٧ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
- ٤٢ سورة الأعراف/ آيه ٢٠١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾
- ٤٥ سورة الأنفال/ آيه ١ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
- ٤٧ سورة الأنفال/ آيه ٢ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾
- ٤٧ سورة الأنفال/ آيه ٣ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾
- ٤٧ سورة الأنفال/ آيه ٤ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾
- ٢٤٥، ٦٧ سورة الأنفال/ آيه ٧٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

- ٢٤٦ سورة الأنفال/ آيه ٧٣ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾
- ٢٤٦ سورة الأنفال/ آيه ٧٤ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾
- ٩٤ سورة التوبة/ آيه ٢٥ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ خُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدِيرِينَ﴾
- ٩٤ سورة التوبة/ آيه ٢٦ ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾
- ١٣٢ سورة التوبة/ آيه ٣١ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً واحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
- ٢١٣، ١١٥ سورة التوبة/ آيه ٣٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصَدِّقُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْزِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾
- ٩٥ سورة التوبة/ آيه ٤٠ ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَلَاثِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفلى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
- ٨٦ سورة التوبة/ آيه ١٢٤ ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سَوْرةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هِذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾
- ٨٥ سورة يونس/ آيه ٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾
- ١٢٥ سورة يونس/ آيه ٢٨ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَرَزَلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيمَاناً تَعْبُدُونَ﴾
- ١٢٦ سورة يونس/ آيه ٢٩ ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ﴾

- ١٢٦ سورة يونس / آية ٣٠ ﴿هُنَالِكَ تَبَلَوْا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾
- ١٢٦ سورة يونس / آية ٣١ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾
- ١٢٧ سورة يونس / آية ٣٢ ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَزَقَكُمْ الْحَقُّ فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾
- ١٢٧ سورة يونس / آية ٣٥ ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾
- ١٥٢ سورة هود / آية ٤٦ ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾
- ٩٧ سورة هود / آية ١١٥ ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾
- ٢٣٣ سورة يوسف / آية ١١٠ ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنَبِّئِهِمْ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾
- ٢٩١ سورة الرعد / آية ١١ ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾
- ٢٢٦ سورة الرعد / آية ١٦ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾
- ٢٢٦ سورة الرعد / آية ١٧ ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيبَةٍ أَوْ مِتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾
- ٢٢٧ سورة الرعد / آية ١٨ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾
- ٩٥ سورة الرعد / آية ٢٨ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

- سورة الرعد / آية ٢٩ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ ٩٥
- سورة إبراهيم / آية ٢٨ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ٣٠٠، ١٠٦
- سورة إبراهيم / آية ٢٩ ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقُرْآنُ﴾ ٣٠٠، ١٠٦
- سورة الحجر / آية ٢٩ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ١٧٤
- سورة النحل / آية ٣٦ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ ٢٠٣
- سورة النحل / آية ٦٨ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ١٦٠
- سورة النحل / آية ٦٩ ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٦٠
- سورة النحل / آية ٩٨ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ٢٩٣
- سورة النحل / آية ٩٩ ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ٢٩٣
- سورة النحل / آية ١٠٠ ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ ٢٩٤
- سورة النحل / آية ١٢٥ ﴿أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ٢٥٦
- سورة الإسراء / آية ٧٠ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ١٤٦
- سورة الإسراء / آية ٧٨ ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ١٦٢
- سورة الكهف / آية ٣٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ٩٧

- ٨٢ سورة الكهف / آية ٣١ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾
- ٤١ سورة الكهف / آية ١٠٣ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾
- ٤١ سورة الكهف / آية ١٠٤ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾
- ١٠٨ سورة مريم / آية ٨٨ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾
- ١٠٨ سورة مريم / آية ٨٩ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾
- ١٠٨ سورة مريم / آية ٩٠ ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾
- ١٠٩ سورة مريم / آية ٩١ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾
- ١٠٩ سورة مريم / آية ٩٢ ﴿وَمَا يَتَّبِعِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾
- ١٠٩ سورة مريم / آية ٩٣ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾
- ١٠٩ سورة مريم / آية ٩٤ ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾
- ٤١ سورة طه / آية ٨٢ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾
- ٢٣٦ سورة الأنبياء / آية ٧ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
- ٢٣٦ سورة الأنبياء / آية ٨ ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾
- ٢٣٦ سورة الأنبياء / آية ٩ ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾
- ٢٣٦ سورة الأنبياء / آية ١٠ ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
- ٢٣٦ سورة الأنبياء / آية ١١ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾

- سورة الأنبياء/ آية ١٢ ﴿فَلَمَّا أَحْسَنُوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ ٢٣٦
- سورة الأنبياء/ آية ١٣ ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ ٢٣٦
- سورة الأنبياء/ آية ١٤ ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٢٣٦
- سورة الأنبياء/ آية ١٥ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ ٢٣٦
- سورة الأنبياء/ آية ١٦ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢٣٦
- سورة الأنبياء/ آية ١٧ ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ٢٣٦
- سورة الأنبياء/ آية ١٨ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ ٢٣٦
- سورة الحجّ/ آية ١١ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ٢٢٤
- سورة الحجّ/ آية ٤١ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ٢٧٨
- سورة الحجّ/ آية ٧٧ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٦٥
- سورة الحجّ/ آية ٧٨ ﴿وَاجْهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ٦٦
- سورة المؤمنون/ آية ٨٤ ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١٤٤
- سورة المؤمنون/ آية ٨٥ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٤٥
- سورة المؤمنون/ آية ٨٦ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ١٤٥

- ١٤٥ سورة المؤمنون/ آية ٨٧ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾
- ١٤٥ سورة المؤمنون/ آية ٨٨ ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
- ١٤٥ سورة المؤمنون/ آية ٨٩ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾
- ١٤٥ سورة المؤمنون/ آية ٩٠ ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾
- ١٤٥ سورة المؤمنون/ آية ٩١ ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾
- ٧٥ سورة النور/ آية ٤٦ ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
- ٧٦ سورة النور/ آية ٤٧ ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾
- ٧٦ سورة النور/ آية ٤٨ ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾
- ٧٦ سورة النور/ آية ٤٩ ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾
- ٧٦ سورة النور/ آية ٥٠ ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
- ٧٧ سورة النور/ آية ٥١ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
- ٧٧ سورة النور/ آية ٥٢ ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾
- ٧٧ سورة النور/ آية ٥٥ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾
- ١٧١ سورة الشعراء/ آية ٢٠ ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾

- ١٣٧ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ٩٠ ﴿وَأَرْلَقْتَ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾
- ١٣٧ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ٩١ ﴿وَبُرَزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾
- ١٣٧ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ٩٢ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾
- ١٣٧ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ٩٣ ﴿مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾
- ١٣٧ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ٩٤ ﴿فَكَبَّجُوا فِيهَا هُم وَالْغَاوُونَ﴾
- ١٣٧ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ٩٥ ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾
- ١٣٨ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ٩٦ ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾
- ١٣٨ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ٩٧ ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾
- ١٣٨ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ٩٨ ﴿إِذْ نَسَوَإِكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
- ١٣٨ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ٩٩ ﴿وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾
- ١٣٨ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ١٠٠ ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾
- ١٣٨ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ١٠١ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾
- ١٣٨ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ١٠٢ ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
- ١٣٨ سورة الشُّعْرَاءِ / آية ١٠٣ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
- ١٨٥ سورة الْقِصَصِ / آية ١ ﴿طسم﴾
- ١٨٥ سورة الْقِصَصِ / آية ٢ ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾
- ١٨٥ سورة الْقِصَصِ / آية ٣ ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
- ١٨٥ سورة الْقِصَصِ / آية ٤ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾

- ١٨٦ سورة القصص/ آيه ٥ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾
- ١٨٦ سورة القصص/ آيه ٦ ﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمَ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾
- ٣٠٠ سورة القصص/ آيه ٤١ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾
- ٩٥ سورة العنكبوت/ آيه ٤٥ ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾
- ١٥٩ سورة العنكبوت/ آيه ٤٨ ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لِأَرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ﴾
- ٨٧ سورة العنكبوت/ آيه ٦٩ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾
- ٥٠ سورة الروم/ آيه ٣٠ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
- ١٦٩ سورة الروم/ آيه ٥٦ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
- ٨٨ سورة الأحزاب/ آيه ٤١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾
- ٨٨ سورة الأحزاب/ آيه ٤٢ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾
- ٨٨ سورة الأحزاب/ آيه ٤٣ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾
- ٢١٦ سورة سبأ/ آيه ٣٤ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾
- ٢١٦ سورة سبأ/ آيه ٣٥ ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾
- ١٢٤ سورة يس/ آيه ٦٠ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

- سورة الصافات/ آيه ١٧١ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرسَلِينَ﴾ ٢٣٢، ٢٢٧
- سورة الصافات/ آيه ١٧٢ ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ ٢٣٢، ٢٢٧
- سورة الصافات/ آيه ١٧٣ ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ٢٣٢، ٢٢٧
- سورة الزمر/ آيه ١٧ ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ١٠٤
- سورة الزمر/ آيه ١٨ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ١٠٤
- سورة الزمر/ آيه ٣٠ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ٢٦٨
- سورة المؤمن/ آيه ١٦ ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ١١٩
- سورة المؤمن/ آيه ٢٣ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ٢١٥
- سورة المؤمن/ آيه ٢٤ ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ٢١٥
- سورة المؤمن/ آيه ٢٥ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ٢١٥
- سورة المؤمن/ آيه ٢٦ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ٢١٤
- سورة المؤمن/ آيه ٣٦ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أبلغُ الْأَسْبَابَ﴾ ٢١٣
- سورة المؤمن/ آيه ٥١ ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ٢٣٥
- سورة المؤمن/ آيه ٥٢ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ النَّارِ﴾ ٢٣٥
- سورة المؤمن/ آيه ٥٣ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ ٢٣٥

- ٢٣٥ سورة المؤمن / آية ٥٤ ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾
- ٢٣٥ سورة المؤمن / آية ٥٥ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾
- ١٣٥، ١١٤ سورة الجاثية / آية ٢٤ ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾
- ٢٧٤ سورة الفتح / آية ٢٩ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَابِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾
- ٢٦٣ سورة الحجرات / آية ٩ ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تَاقَاتِلُوا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
- ١٤٦ سورة الحجرات / آية ١٣ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
- ٧٧ سورة ق / آية ٣٧ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾
- ١٧٥ سورة النجم / آية ١ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾
- ١٧٥ سورة النجم / آية ٢ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾
- ١٧٥ سورة النجم / آية ٣ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾
- ١٧٥ سورة النجم / آية ٤ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾
- ١٧٥ سورة النجم / آية ٥ ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾
- ١٧٦ سورة النجم / آية ٦ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾
- ١٧٦ سورة النجم / آية ٧ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾

- ١٧٦ سورة النَّجْمِ / آية ٨ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾
- ١٧٦ سورة النَّجْمِ / آية ٩ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾
- ١٧٦ سورة النَّجْمِ / آية ١٠ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾
- ١٧٦ سورة النَّجْمِ / آية ١١ ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾
- ١٧٦ سورة النَّجْمِ / آية ١٢ ﴿أَفْتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾
- ١٣٧ سورة الْقَمَرِ / آية ١ ﴿إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾
- ١١٤ سورة الحديد / آية ٢٥ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
- ٣٧ سورة الحديد / آية ٢٧ ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾
- ٩١ سورة الْمُجَادِلَةِ / آية ٢١ ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
- ٢٥٨ سورة الْمُتَحَنِّنَةِ / آية ١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾
- ٢٥٩ سورة الْمُتَحَنِّنَةِ / آية ٢ ﴿إِنْ يَتَّقِفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدَّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾
- ٢٥٩ سورة الْمُتَحَنِّنَةِ / آية ٣ ﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

- ٢٥٩ سورة الممتحنة/ آية ٤ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾
- ٢٤٤ سورة الصف/ آية ٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
- ٢٤٤ سورة الصف/ آية ٣ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
- ١٦٥ سورة الجمعة/ آية ١ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
- ١٦٥ سورة الجمعة/ آية ٢ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾
- ١٦٥ سورة الجمعة/ آية ٣ ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
- ١٦٥ سورة الجمعة/ آية ٤ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾
- ١٤٤ سورة الجمعة/ آية ٦ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
- ١٤٤ سورة الجمعة/ آية ٧ ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾
- ٢٤٢ سورة المنافقون/ آية ١ ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾
- ١٢٧ سورة الملك/ آية ١ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
- ١٦٣ سورة المدثر/ آية ٤٣ ﴿قَالُوا لِمَ نَكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾
- ١٦٣ سورة المدثر/ آية ٤٤ ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾
- ٢٥٩ سورة العنكبوت/ آية ٣٤ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾
- ٢٥٩ سورة العنكبوت/ آية ٣٥ ﴿وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ﴾

- ٢٥٩ سورة العَبَس / آية ٣٦ ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾
- ٢٥٩ سورة العَبَس / آية ٣٧ ﴿لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾
- ٩٣ سورة الفَجْر / آية ٢٧ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾
- ٩٣ سورة الفَجْر / آية ٢٨ ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾
- ١٧١ سورة الضُّحَى / آية ١ ﴿وَالضُّحَى﴾
- ١٧١ سورة الضُّحَى / آية ٢ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾
- ١٧١ سورة الضُّحَى / آية ٣ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾
- ١٧١ سورة الضُّحَى / آية ٤ ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾
- ١٧١ سورة الضُّحَى / آية ٥ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾
- ١٧١ سورة الضُّحَى / آية ٦ ﴿أَلَمْ يَجِدِكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾
- ١٧٢ سورة الضُّحَى / آية ٧ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾
- ١٧٢ سورة الضُّحَى / آية ٨ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾
- ١٧٢ سورة العَلَق / آية ١ ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾
- ١٧٢ سورة العَلَق / آية ٢ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾
- ١٧٣ سورة العَلَق / آية ٣ ﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾
- ١٧٣ سورة العَلَق / آية ٤ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾
- ١٧٣ سورة العَلَق / آية ٥ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
- ١٧٥ سورة العَلَق / آية ٦ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِبَطْغَى﴾
- ١٧٥ سورة العَلَق / آية ٧ ﴿أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى﴾

١٧٥	سورة العلق / آيه ٨ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾
١٦٣	سورة الماعون / آيه ٢ ﴿فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾
١٦٣	سورة الماعون / آيه ٣ ﴿وَلَا يَخْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾
١٩٣	سورة النصر / آيه ١ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾
١٩٣	سورة النصر / آيه ٢ ﴿وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾

